عشرينات الألفية الثالثة

زاوية منفرجة

رواية

سامح يسري

كل الحقوق محفوظة

دار لوغاريتم للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 23101/ 2018

I.S.B.N: 978-977-6642-47-8

تصميم الغلاف: عبير محمد.

المراجعة اللغوية: أميرة أسامة.

الإخراج الفني: ضياء فريد.

المديـــر العـــام: إيناس ناصر.

المدير التنفيذي: شادي أبو شهبة

Logarithpublish@gmail.com

٠١٢٨١٠٥٢٨٢٤

الإهداء

إلى عالمٍ أرقُّ بنا

هل عدنا إلى عصر العشرينيات أم نحن فى عصر الألفية الثالثة؟، هل الزمن السابق يتكرر في الألفية الجديدة؟، أم تطورنا بالزمن حتى عدنا به إلى الوراء؟، هل نبني مِن خلْفِنا.. أم نبني خلفائنا؟، هل يحكم من يأمرنا.. أم نأمر من يحكمنا؟، هل ركبنا قطار الألفية الجديدة.. أم هي التي تركبنا؟، ثم نستفيق فنجد .... أنفسنا فى عشرينيات الألفية الثالثة ولكن سقطت منّا ألف سنة.

«**يا من تمنيت لأرنو إلى نوره الوضَّاء من جماله المنهام**»

لا.. لا.. لا أعتقد أن هذا سيفلح معهن.. فهن يحببن الصراحة الزائدة قليلًا.. كما سأبسِّط اللغة.. سأحاول مرة أخرى.. تعبت من كثرة المحاولات.. فلتكن المرة الأخيرة إذًا..

«**وعندما رفعت يدي عن خِصرك.. تألمتِ وتحطمتِ وأرديت بالدموع نهيرًا.. مما جعل قلبي يترقرق في سفوح الظهيرة ولم ينم.. ولن ينم حتى يصبح الغني فقيرا**».

يا خبر اسود! إيه الكلام دا؟! ماكانتش رسالة غرامية عايز أبعتها لواحده لسه عارفها امبارح.. لو مفهمِتش كلمة واحده بس من كلامي يبقى انا كده ضعت.. الرسالة العاشرة أكتبها وبرضو مش نافع.. جربت أجزاء من أشعاري لقيتها برضو صعبة.. أي نعم هيا فِرحت لما عِرفتْ إني بكتب شعر علشان طبيعة الشاعر إنه رقيق ورومانسي بس أنا مش بكتب شعر عن الحب.. كل أشعاري سياسية وبالفصحى.. أنا بكتب في عشق الثورة ممكن.. في حب تراب الوطن مثلًا.. لكن دي شابة في العشرينات وعايزة تعيش أيامها زي صاحباتها الأربعة التانيين.. أما

عليها شوية بنات أصحاب.. يا خبر أزرق.. لوز.. ويبقى خبر كحلي لو اتدلعوا علينا شوية زي امبارح.. عليهم دلع يخلي الواحد ينسى نفسه.. ويبقى خبر اسود قوي بقى لو قالت لي سمعنى شعر رومانسي.. تبقى مصيبه.. أنا لسه مش لاقي كلام رومانسي بسيط أقوله.. يا ريتني بعرف أكتب أغاني.. مش بحب أنقل من الإنترنت.. أنا شاعر وليا كياني.. لما حبيت أعرف دماغ كل واحده فيهم طلعوا كلهم دلع وتهييس وتقضية وقت.. حسيت إني وقعت في حفره ومش هاعرف أطلع منها أبدًا، كلهم بيحبوا الفسح والمياصه والهيصه في (**الديجيهات**).

أنا اتخنقت...

تهييس؟؟؟؟

لم أستطع إكمال ما قد بدأته بهذه الطريقة، لم تعجبني (**تهييس**) و (**هيصه**)، فهل تهييس من فعل هاس؟، وهيصة من هاص؟، وما هذه الـ (**كانتش**) وما هذه الـ (**تش**) التي تجعل الكلمة منفية؟

أقنعني أصدقائي أن أكتب باللغةِ العامية (**لغة الشارع**) كي يفهني الناس، وأقنعوني أن أكتب بها في جميع أشعاري، أنا شاعر سياسي معجب بفتاة، وفقط أريد التعبير عن مدى إعجابي بها، بماذا أفادتني السياسة الآن؟، كم أنا تعيس، لم أستطع أن أكتب بيتًا رومانسيًا بسيطًا، أعترف أنني فشلت في تأليف هذا البيت لأجذب فتاةً تافهةً، فما حال بيتي الرومانسي هذا الذي تعبت وسهرت لتأليفه طوال الليل في اعتقادها؟« **يا امرأة ذات الرياح بين شعرها ترقص.. تعالي ولطِّفي لي قلبي المشتاق**».

هل ستفهمه؟!!

◈

ظل الشاب (**مدحت**) في معاناةٍ من الانهيار اللغوي الذي كاد يخوضه رغم أنفه، ولم يستطع في ليلتهِ أن يُنفذ ما حاول أصدقائه إقناعه به، وكأن الأمر بسيط.

ما جعل أصدقائه يقترحون عليه هذه الفكرة؛ هو تعرُّفهم على خمس فتايات جميلات ليلة أمس، وأرادوا أن يستغلوا مقدرته المؤثرة في الشعر السياسي لتأليف بيتًا رومانسيًا لكلٍ منهم ليقوله لصديقته الجديدة.

في صباح اليوم التالي، تجمع أصدقائه منذ الجامعة واحدًا تلو الآخر بالكافيتريا المعتادة على كورنيش الإسكندرية، والتي كانت سببًا في تعرفهم على الفتيات الجدد، يجلس كلٌ من (**بوكسر**) و (**فورا**) منتظرين حضور (**مدحت**) والبقية، مدحت قادمٌ في الطريق وهو غاضبٌ ينعتهم بالتافهين الذين يريدون بالمثقفين الهلاك قبل أن يحضر (**زيزو**) ويعلم بالمشكلة التي سيوقعهم فيها مدحت، زيزو صاحب فكرة التعرف إلى الفتيات ومُنفذها، ولولاه لما تعرفوا على فتاة أصلًا، فما يتمتع به من قدارت خاصة ووسامة يرضخ أية جميلةٍ لتتأمله، وهو يحب أصدقائه كثيرًا لأنهم يمثلون له الأخوة الحقيقيين بدلًا من الذين حُرم منهم، وهو أيضًا يُمثل لهم جانبهم الجريء.

كل فردٍ في (**الشلَّة**) يُمثل جانبًا مهمًّا في تكوينها؛ إن افتقدوه ضاعوا جميعًا، هم يخططون بعقولهم السياسية المتمثلة في (**مدحت**) ـوأطلقوا عليه (**ميكو**)ـ الذي يكتب شعرًا سياسيًا عظيمًا، ويزيع صيته في جميع أنحاء غرفته ولا يتعدى (**أجندته**) أو درج مكتبه، يؤمن به أصدقائه ويضعونه في مخططهم القادم ليظهروه للعالم بأنفسهم بعد أن يأس وفشل في رؤية الأمل لدى الوسط الثقافي المنصوح له

بمتابعته، فما رآه من ركود وجمود بالإسكندرية وترابٍ غطى عظماء قبله لا يعرفونهم سوى جيرانهم زرع مزيدًا من الإحباط داخله.

(**فورا**) الذراع الأيمن لمدحت؛ لأنه يستطيع بفطرته بلورة أفكار مدحت وإعطائها الطابع الواقعي وكبح جماح طيران خياله في أفق الشعر، وقد انضم إليه بسهولة لهذه الموهبة منذ كانا في الجامعة، وبعد التعارف وتبادل الحوار شطح مدحت بخياله الفذ لتحقيق أمنيته بدعوة الكلية إلى رحلةٍ إلى الكون والفضاء لرؤية الأجرام السماوية، حتى ردع (**فورا**) خياله على الفور وترجم ذلك إلى رحلة لمدينة الملاهي (**دريم بارك**) وركوب قطار الموت والإعصار الذي يرفعه إلى عنان السماء فيرى الكواكب والكائنات الفضائية، وأيضًا يرى جهنم من شدة الرعب، ثم يهبط مرة أخرى، فأعجب مدحت بالفكرة لأن حلمه سيتحقق على أرض الواقع وانضما إلى أول رحلةٍ لقطار الموت.

كانت هذه الرحلة سببًا في تعرفهما على (**زيزو**) و (**بنكرياس**) الصديقان القادمان على متن أوتوبيسٍ آخر لنفس الجامعة وقت أن كان كل منهما يلفت انتباه الجميع ومنهم (**مدحت وفورا**)؛ أثناء أدائهما لإحدى المسرحيات المضحكة لجذب انتباه مجموعة مكونة من عشرة فتيات مثيرات قدمن في رحلةٍ مشابهة من جامعةٍ أخرى، لا يبالي (**زيزو وبنكرياس**) بعدد الفتيات، فهما قادران على ردع غرور أي عددٍ من الجميلات، وأخيرًا نجحا في التودد إليهن مما أثار إعجاب (**مدحت وفورا**) من قوة ذكائهما ودمهما الخفيف، وبمحض الصدفة تعرف الصديقان على الصديقين فيما بعد أثناء ركوب الألعاب المرعبة وما يلقيه بنكرياس من تعليقاتٍ مهلكة من الضحك أضاعت رهبة الخوف السائدة، فسأل مدحت بنكرياس لماذا سُمي بهذا الاسم؟، رد زيزو بدلًا

منه وأخبره أنه هو من أطلق عليه هذا الاسم؛ لأن بنكرياس يعمل في بنك، واسمه ياسين؛ فأدمج وظيفته (**بانكر**) و (**يس**) وجعلها بنكرياس، فامتزجت عقولهم على وجه السرعة وأصبحت متلونة المجالات، خيال مدحت، واقعية فورا، وجرأة زيزو، وهزلية بنكرياس.

كان شعورهم مُلحًا بأنهم ينقصهم شيئًا حتى تعرفوا على (**بوكسر**)، زميل نفس الجامعة، أطلقوا عليه هذا الاسم لأنه ضخم ومفتول العضلات، وبه من الشراسة ما يتمتع به نوعية الكلاب الشرسة التي تسمى (**بوكسر**)، وما إن أوقعوا أنفسهم في مشكلة ما حتى تعيد عضلات بوكسر حقوقهم الضائعة على الفور.

◈

«على فكرة.. لن أكتب بالعامية مرة تانية لا في شعر السياسة ولا في شعر الرومانسية.. يا راجل بلاش كلام فارغ»

افتتحت هذه الجملة حديث اللقاء بين الأصدقاء الخمسة في كافيتريا (**عرباوي**) على كورنيش الإسكندرية، مما أثار الغضب والجدل لما سوف يفتقدونه من جانب رومانسي جديد عند لقائهم بالفتيات الجدد..

حنق زيزو وبنكرياس من ذلك لما وضعته الشلة على كاهلهما من ضغطٍ ذهني، ومجهودٍ إضافي لما سيقوما بابتكاره لكي يجعلا ساعات اللقاءالتالي بالفتيات مسليًا، تدخل (**بوكسر**) وأعرب عن سعادته بأنه لن يحتاج إلى مجهودٍ أبدًا، بعد أن أعجبت به فتاته، وتدعى (**زيزي**)، حين عرض لها عضلاته وترابيسه وقدرته على حملها بخفة منذ المقابلة الأولى، مما أشعرها بأنها الجميلة الملهمة بالوحش، فهي تخضعه بجمالها وتفاصيل جسدها المفعم بالحيوية ليرفعها إلى عنان السماء،

وتهبط كالعصفورة بين أحضانه، فهو لن يحتاج إلى الشعر نهائيًا، قاطعه (**فورا**) وعرض مشكلته مع فتاته التى لم تحل بعد حتى الآن، ففي مقابلة أمس أعجبت به فتاته –وتدعى (**عزة**)– كثيرًا وبطموحه العقلاني، ولكنها ظلت تنظر إلى حذائه عدة مرات وتسرح إلى أفق البحر البعيد، ولم ترد نظرها إليه مرة أخرى وكأنها غاضبة، على الرغم من أنها كانت تحب النظر إلى عينيه العسليتين وشَعره الذي يتبع الموضة، وكان يشعر بنفور عينيها منه حتى أدرك أنها تهتم لحذائه القديم، فإن لم يحز على إعجابها في جميع الأحوال بشراء حذاءٍ جديد يأخذ لب نظرها ستنفر منه عما قريب.

«**قولوا لي بقى فين الفلوس عشان أجيب جزمة جديدة؟.. وانا بقالي سنتين متخرَّج ولسة ماشتغلتش أي شغلانة.. وأبويا مش هايديني غير كل إسبوع ١٠٠ جنيه.. وصرفتهم كلهم امبارح.. دبروني ياخوانَّا**».

أجابوه جميعًا في صوتٍ واحد «**شوف أمك.. هي بتحبك وهاتديلك**».

فقال لهم: «**بس دي لو عرفت إنى عايز حاجة بـ٥٠٠ جنيه على الأقل أكيد هاتطردني برة البيت**».

لم يعقب الأصدقاء لعلمهم بطبيعة الموقف، وأن الفتيات لديها حاسة سابعة خاصة بالأحذية وأثمانها، وإن قل ثمن الحذاء عن ذلك، أصبح هناك احتمالًا بعدم استكمال صداقتهم، فاقترحوا عليه بأن يأتي من أمه بالنقود المستطاعة وهم سيكملون له الباقي بأيةِ طريقة، فوافقهم ولكن اعترض (**بنكرياس**)، على الرغم من أن اعتراضه ليس في محله؛ لأنه ما زال يعمل في البنك، وراتبه تخطى الستة آلاف جنيه شهريًا،

أوضح أن اعتراضه على مشكلات (**مدحت وفورا**) المتوالية تلك التي ستؤدي إلى (**طفشان**) الفتيات كلها، حيث فاجأ الجميع أنه استطاع أن يوقع فتاته ـ وتدعى رقية ـ في براثن حبه وهيئته المودرن، بل وأكثر من ذلك أنه تصدى لاندفاعها المتلهِّف إليه لتُقبِّله إعجابًا به ولكنه تمنَّع واشترط عليها أن تثبت له صدق مشاعرها أولًا قبل قُبلتها الأولى؛ فوافقته متلهفة على مضض، فانبهر (**مدحت وفورا**) مما سمعاه بقدرة بنكرياس تلك، الذي قال لأصدقائه محذرًا في حالة إن أقنعت إحداهن الباقيات بغباء وفقر أحدنا ماليًا ستؤثر عليهن ويرحلن جميعًا، واقترح أن يتكفل بثمن الحذاء كاملًا بدافع السلف؛ فأسعد قلب فورا وكَنَّ له عرفانًا مهيبًا.

تدخل (**زيزو**) على الفور مستعرضًا قدرته ونتائجها التي حققها بصحبة فتاته ـ وتدعى باكينام ـ، فهو لم يشعر بأية خطورة على علاقته بها لأنه استطاع ببراعتهِ في صيد خبايا قلبها، واستدراج أحاسيسها حتى أجلسها على حجره نصف وقت المقابلة، وتكفيه وسامته وأناقته بالإضافة إلى خفة دمه، لكنه يخشى أن تلاحظ بؤس إحدى صديقاتها وبالتالي عدم رضاءها بالفعل.

هذان الدنجوانان اللذان أفقدا الفتاتين شعورهما منذ اللقاء الأول، واندفعتا إليهما بالمشاعر والأجساد من حرارة العسل الذي يخرج من فمهما فأسكرهما، فالشَعر الذي مسَّه سلك الكهرباء بقوة ٣٦٠ فولت انتصب به واقفًا ممثلًا أهدابًا قصيرة شائكة بفروة (**بنكرياس**)، وحبات الحصى البنية والملونة التي زينت معصميه وصدره المكشوف، وأجزاء لامعة غطت نصف حذائه؛ كل هذا كفيل بالتأثير على أيةِ فتاةٍ تسعى (**للروشنة**).

أيضًا (**زيزو**) الذي لا تطيق أسرته ابتعاده عنهم للحظة؛ لأنه روحهم الضاحكة وأمانهم في الخوف، وقلبهم في الحزن، وبطشهم في الشدائد، فهو وحيدهم، ويحبونه دون عقل، فكيف إن أعرب عن حبه من أول نظرة لفتاة تافهةٍ تسعى لقضاء وقتٍ قصير معه بكل تركيبته الوجدانية تلك أن ترفضه؟، حتى أعربت له في المساء عن وحشة الساعات البعيدة فيها عنه، تمنت أن تغوص داخله ليس فقط في أحضانه.

توحدت قواهم العقلية لحل مشكلات مدحت وفورا قبل مقابلة الغد، فتاة فورا تنقصها حذاء، وفتاة مدحت تنتظر سماع شعر يرديها قتيلة في حبه وأبيات شعر للأصدقاء إن وجدت، والوقت قصير للغاية.

◈

- ماماااااااااااااا.. يا ماماااااااااااااااا.. قولتلك تعالي هنا.. بسرعة بقى إيه القرف اللي أنا فيه دا..
- أجابتها أمها من داخل غرفتها بصوتٍ عالٍ: قرف إيه يا بت يا موكوسة؟.. الله يخرب بيت تربية أمك..

(**زوبة**) والدلع زيزي، تعتاد على هذه الدعوة من أمها ربة المنزل البدينة، المنشغلة بإعداد بعض ملابسها الجديدة التي انتقتها مؤخرًا من محلات زوجها والد زيزى الذي يعمل تاجرًا، فهي تحب أن تواكب العصر بموضته وما فيه من تطوراتٍ مذهلة أيًا كانت، سواء في الملابس أو الأثاث أو السكن أو التنزُّه.

زيزي في حيرةٍ لأي من ملابسها سترتدي أثناء اللقاء مع صديقاتها والشباب الخمس الجدد غدًا، هي تريد أن ترتدي أرقى الملابس وأغلاها ثمنًا حتى لا تقل عن صديقاتها في الأناقة وتكون متألقة

وتستحوذ على عقول الجميع، لا تعلم أمها أنها ستخرج مع شباب، التي لا تظن ذلك أبدًا، صديقاتها البنات فقط كالعادة، فهي تعرفهن كلهن وأسرهن، ومتأكدة تمام التأكد أنهن بنات ليس من بينهن شباب ولا داخلهن ميول لشباب، فأم زوبة صديقتها ولا تخفي زيزي عنها شيئًا قط.

- خارجة مع مين يا زوبة؟
- مع صحابى.. هو فيه إيه مالك؟.. دا انا ماعنديش غيرهم..
- كاميليا جاية معاكم؟
- ماسمهاش كاميليا.. اسمها كارما.. إتمدِّني بقى يامَّا.
- تقصدي إيه يا بت؟
- ولا حاجة.. تعالي قولي لي ألبس إيه في اليوم الأسود ده؟
- أسود على دماغك يا سافلة.. ما تلبسي البرواز يا بت.. ماهو حلو عليكِ.
- يادي النيلة.. اسمه تركواز.. تركواز يامَّا.. طب فين البنطلون بتاعه؟.. أنا لسه قلعاه امبارح؟
- دي كانت ريحته طين يا بت.. كنتي قاعدة بيه فين انطقي؟
- هايكون فين يا ست انتِ.. ما تخلِّي بالك من كلامك.. على سور الكورنيش طبعًا ماهو كله تراب (**وهي تتخيل أرجل صديقها بوكسر**).
- البسي أي حاجة غيره علشان صحباتك المعاويج دوول.. ولا انتِ عايزة تفضحينا ويقولوا علينا شحاتين؟

- لأ.. أنا مش عايزة حد يشوفك أقل منه.. عشان عارفة اللسان الطويل بتاع أهاليهم.. هيا المقصوعة (**برج الحمام**) دي جاية معاكوا؟
- أحيييه عليا.. اسمها (**باكينام**).. طبعًا معانا.. دي كانت لابسة حتة شراب امبارح.. يهبل.
- عارفاه.. الكمبليزون ..
- يا مصيبتي السودا مع امي.. ماسمهوش كمبليزون..
- اسمه الفيزون.. الفيزووووون.. افهمي بقى إنتي هاتفضحينا يا ولية.
- أنا هافضحك؟!.. طب والنبى لأجيب لك أحسن منه.. ولا إن حد من المقاصيع دول تتعوج علينا.. أنا هاجى معاكي.

سعدت زيزي سعادة غامرة، بما استفزت به أمها كي تشتري لها ملابس جديدة اليوم، بالطبع سوف لن تكتفي بشراء البنطلون الجديد فقط، ستلقي كلمة أو كلمتين استفزازيتين لتُكمل بقية الطقم ساعة الشراء، فهم لديهم المال الكافي لذلك، فأبوها تاجر (**ميني فاتورة**) أميّ، أعتقد أنه سيعلمها من صغرها مهنة التجارة كما علمها لأخيها الأكبر الذي كرس حياته للسفر خارج البلاد لشراء البضائع.

ففي بداية عمرها تعلمت الاختلاط، والمتاجرة، والدفاع عن النفس، كانت تقضي معظم وقتها في الشارع ومحلات أبيها، رسَّخت لديها أمها أن الجميع أخوة بالنسبةِ لها، وعليها تبادل الحب والعطاء معهم دون أن تعطيها آلية محددة لتنفيذ ذلك، ولكن عندما كبرت زيزي وتفرعت بتضاريسها؛ لاحظا أبواها أنها لا تراعي حرمة جسدها الفائر جميل التناسق عند الاختلاط بالعمال أو الزبائن أو الجيران.

وكانت تُعامل زيزي الجميع على أنهم سيدات مثلها لا رجال، أو أنها رجل مثلهم ولا حرج؛ فينتهز الرجال سواءَ كانوا من العمال أو شباب المنطقة فرصة الاحتكاك بها بحجة أنها لا تبالي جسدها الفائر، وهي اعتادت على ذلك النوع من المعاملة واستحسنته منذ نعومة أظافرها.

أن يربي الرجل ابنته مثل الرجال ولا فرق بينهم قد تكون طريقة صحيحة رآها تصلح وتليق بابنة تاجر مرموق يخشاه الجميع، لكنه أيضًا تكاسل عن تحديد تفاصيل تربيته ومتابعتها منذ صغرها وهو كثير التنقل.

مرت على الإثني عشر عامًا ثم الخامسة عشر وهي سعيدة بعلاقاتها وطريقتها المميزة التي أجبرت الجميع على معاملتها بها، محددة أسلوبها في التقرب وتبادل العطاء والحب للجميع بطريقتها الخاصة، وخاصة بعدما وجدت فيها لذة لا تستطيع الاستغناء عنها، ولكن كانت تتعجب لماذا يقتصر العمال والشباب على معاملتها بهكذا معاملة في الأماكن الضيقة أو المخازن والبدروم فقط؟، فأبيها ما دفعها إلى حب الجميع، وبالطبع لا حرج من وجهة نظرها.

ذات يوم، وأثناء تواجد أمها في نفس المحل منشغلة كعادتها بتجميع أحدث الأزياء لتبيعها لجيرانها لتتربح منها، لفت نظرها أمرًا مريبًا كانت لا تباليه من قبل، يتعلق بتغيُّر نظرة العمال بل وجميع الرجال إلى ابنتها وهي سعيدة بذلك، وجُل ما استطاعت فعله حيال ذلك هو منعها عن ممارسة التجارة في أيٍ من محلات أبيها مرة أخرى وفقط، وأقنعت زوجها بذلك لنفس السببً، واعتقدا أنهما قد منعا عنها

الخطر، بغياب إدراكهما لم يعلما أنهما قد أخذا قرارهما هذا بعد فوات الأوان؛ فقد فقدت ابنتهما بلُّورتها.

زيزي لم تشغل بالها بتبعات ذلك أبدًا؛ فهي تحب الجميع والجميع يحببنها، وذاقت من مميزات وعيوب التجارة بخبرةٍ متناهية الاحتراف مترامية الأطراف منذ الصغر، وبعد أسابيع قليلة من تركها للتجارة، استوعبت ما كانت فيه وما خرجت منه وما آلت إليه؛ فنظرت لأبويها وكأنهما بذلك قد أتمَّا تربيتها؛ فسخطت عليهما ولم تعد تعيرهما أية هيبة أو احترام بعد ذلك أبدًا.

شعر أبوها بتبدل حبها إليه دون سببٍ واضح، سوى أنه أبعدها عن محاله التجارية، وأمها في تبدل أسلوبِ النقاش معها والولاء إلى المنزل.

بعد سنواتٍ قلائل دخلت الكلية وفي اعتقادها بمشروعية الاختلاط، فكلهم إخوة، وإن تطور الاختلاط فلا بأس، وإن تداخلت الأعصاب فهذا جائز عن طيب خاطر بدافع الصداقة ليس إلا، وانتهت من كليتها بنجاحٍ بل وبتفوق أذهل الجميع.

خرجت أمَّها من الغرفة بعد هذا النقاش، وعلى الفور اتصلت زيزي بصديقاتها الثلاثة، تدعوهن لتأتين معها لمشاركتها في اختيار الملابس الجديدة مع أمها؛ فوافقن وأيضًا بصحبتهن أمهاتهن دون أن يخبرن صديقتهن باكينام؛ لعدم استطاعة إحداهن أن تغلبها في الأناقةِ والذوقِ الرفيع لا هي ولا سيارتها الحديثة التي تصطحبهن فيها لأي مكانٍ يتفقن عليه حتى لو كان خارج الإسكندرية دون علم أهلهن، فمعظم الوقت كن تقضينه في إحدى فيلات أبيها بالساحل الشمالي، ولولاها كن لن يذهبن إلى فيلا العين السخنة أبدًا اللاتي ذهبن إليها

على اعتبار أنهن سيحضرن عيد ميلاد صديقة قديمة لم يرونها منذ الطفولة، وفي فيلا بمنتجعٍ فاخر قضوا ليلة رقص وعربدة وتعارف جديد، وقبل المغادرة اشتروًا تورتة، وأخذن بجوارها لقطات مهذبة مع بنتٍ غريبة لإثبات عيد الميلاد.

◈

أوصدت باب غرفتها بإحكام، وأول من اتصلت بها زيزي هي كارما التي رحبت بفكرة شراء ملابس جديدة، واقترحت أن تشتري ملابس جديدة لنفسها أيضًا ليُعجب بها صديقها الجديد (**مدحت**) في مقابلة الغد، وأخذت موافقة أمها في الحال.

- إزيك يا كارما.
- حبيبتي.. أجمل صديقه في الدنيا.
- أي خدمه.. إنتي بس احلمي وانا أنفذ.. قولي لي إيه رأيك؟؟
- رأيي؟؟ دول شوية شباب تحفه.. مزز إيه.. وشياكة إيه.. وفلوس إيه.. وجمال إيه..
- عِدِّي الجمايل بقى.. كده ليا عندك واحده.
- هاردها لك ماتخافيش.. إنتي عملتي إيه خلتيهم يعملوا كل دا وييجوا يكلمونا؟!!

استطردت زيزي وتملأ نبرتها الاعتزاز بالنفس:

- ولا حاجه.. أنا بس قولت (**لبوكسر**).. ألاقي معاك فكه؟!! قال لي لأ.. بس ممكن أفك أي حاجه لو تحبي.. قمت سيبته ومشيت وكل واحد راح لحاله.. شويه وجالنا على الترابيزة هو والواد العسل اللي اسمه (**زيزو**) ومعاه كيس صغير فيه

مائتان جنيه فكَّه فضيه وبيفتحه قدامنا.. و(**بوكسر**) بيقول لي اتفضلي الفكَّة بتاعت إسكندرية كلها تحت أمرك.. في اللحظه دي كنتي انتي لسه واصله.

ـ بس جابوا الفكه دي كلها منين مش عارفه؟؟.. دول مجانين.

ـ أنا ضحكت غصب عني لما لقيته بيوزع الفكة علينا بسرعه كأنه بيوزع ترمس.

استرجعت كارما لحظة أعجبتها فقالت:

ـ شفتي لما زيزو حط الباقي في كبايه ونده على توأمه ياسين.. قصدي (**بنكرياس**).. عشان يجيب الشمعه ويحطها في كباية الفكه.. كأنها تورتة عيد ميلاد تعارفنا.. (**بنكرياس**) دا مشكله.. إزاي عرف يزغرد زي البنات وهو بيحط الشمعه.

ـ إحنا كلنا هلكنا من الضحك..

ـ دول مجانين حقيقي.. كلهم دمهم شربات.. إحنا أول مرة نقعد على الكافيه دا بس حبيت القاعدة هناك أويعلّقت زيزي:

ـ شفتي (**زيزو وبنكرياس**) كأنهم روح واحدة فاهمين بعض خالص.

ـ سيبك انتي.. بس (**مدحت**) ميكو حبيبي.. أحيييييه.. أمُّوووور وهادي وبيكتب شعر.. إحساسه عالي أوي.. وعليه كلام بصوت جميل.. تحسي إنه راجل ورقيق ومرتب وطموح.

ـ أيوه يا عم هاتعيشي حياتك.. قال لك شعر؟؟

- رومانسي لأ.. سياسي بس.. بس مش مشكله عندي أصلًا الشعر الرومانسي.. المهم إنه شاعر ومستقبله كبير.
- مستقبل إيه اللي بتفكري فيه؟؟ إنتي لازم تعرفي إذا كان هايدلعك ولا لأ.. عضمه طري ولا زي بوكسر حبيبي.. عشان يحميكي ويكسر الدنيا عشانك.. شفتي بوكسر بعد كده رفعني ازاي في الهوا.. أحيييييه دا أسد.. نزلت في حضنه بالظبط.. عصرني.. ماكنتش عايزة أرجع البيت تاني.

قاطعتها كارما منبهة:

- بس لازم تخلي بالك يا زيزي.أخلي بالي من إيه؟ ما خلاص.. ماعدش فيه حاجه أخلي بالي عليها..كبري دماغك.. وبعدين إيه اللي هايجرى.. عيشي حياتك وكل حاجه ليها حل.
- كان نفسي أعمل زيك.. بس ماتعودتش أعمل كده.. ما علينا.. مش عارفه ليه كان نفسي أطلع حاجه كبيره أو مشهوره.. كل حاجة راحت.. حتى بعد ما تعبت نفسي في الهندسه.. وقلت هاطلع مهندسه مدنيه.. بابا قال لي إن دا مش شغل بنات وهايلعبوا بيا كوره.. وفيها إيه لما يلعبوا بيا شويه واتعلم.. مش كفايه طول عمري مقفول عليا وبيخافوا إني أخرج بره البيت.. دا حتى مش عايزيني أتعلم أسوق العربية بتاعتنا.. هو انا هاعمل بيها إيه مش عارفه.. أول ما اطلب أي حاجة يجيبوها لي عالطول ومانزلش أبدًا لوحدي.. الصراحة مش محتاجه حاجه خالص أنا واخواتي.. إنتي عارفه شغل بابا وشركات البترول بقى..

- أنا برضو أمي نفسها تجيب لي كل حاجة.. بس لازم أفضح الدنيا واقول فلانه جابت وفلانه جابت.. وهكذا.. لدرجة إنها هاتشتري لي هدوم النهاردة عشان أكون أحسن من باكينام.. وانا عمري ما هاكون زيها.. هي فين وانا فين أصلًا.. هيا عندها كل حاجه وانا بحاول أبقى أي حاجه ومش عارفه.. لغاية ما كل حاجه راحت.. والدنيا لعبت بيا الكوره وخلاص.. إحمدي ربنا إن أبوكي بيخاف عليكي.

ردت كارما بسعادة غامرة:

- هاهاها طب منا بعمل اللي أنا عايزاه بردو بس بشكل تاني.. فكك.. قولي لي هي أمك اللي هاتشتري لك؟.. دا انتِ تشتري بلد بفلوسك.

أجابتها زيزي باضطرابٍ فجأة:

- حاسبي اوعي تجيبي سيره لحد.. الفلوس دي ماحدِّش يعرف عنها حاجة خالص.. أنا كسباها بدماغي انا.. ما انتِ عارفه.. إنما قولي لي.. إنتِ قلتي إيه لأمك وأبوكِ علشان حوار التظبيط بتاع بكرة؟؟

- بابا كالعادة مسافر عالطول.. قلت لأمي بس إني رايحه أزور باكينام علشان عملت حادثة بالعربية.. ها ها.. ودخلت عليها كالعادة طبعًا.

صعقت زيزي فجأة من جملتها:

- بجد؟ الله يخرب بيتك.. أنا قلت لماما إننا رايحين نحضر حفل افتتاح محل أبو باكينام الجديد في سموحه. إزاي؟ طب ماقلتليش ليه؟؟ كنا ظبطناها مع بعض من الأول.

- وانتِ ماقلتليش ليه قبل ماتقولي كده.. إحنا كده هانروحوا في داهية.
- أنا فكرت في أي حاجه زي كل مره.. عادي.
- طب حاولي تقولي لها إنه افتتاح المحل الجديد وبلاش الحادثة دي.مقدرش أغيَّر كلامي.. لو ماما عرفت إني بكذب عليها.. هاتبقى أيامي كلها سودا ومش هخرج تاني.. هي بتطَّمِّن لما أكون معاكم بس.. طب حاولي انتِ تقولي حادثة مش افتتاح..
- برضو مقدرش أغير كلامي.. قلتي حادثة ليه بس؟؟
- هاعمل إيه خليكي ذكية.. إحنا كنا امبارح مع بعض.. واتعرفنا على شوية شباب مزز.. وخصوصًا الواد (**ميكو**) دا مز.. ماكانش ينفع أنزل تاني يوم من غير سبب مقنع أبدًا.. فقلت لها الحادثة علشان توافق من غير اعتراض.. أنا مش عايزة أضيَّع الواد من إيدي بصراحة.
- يعني انتِ تضمني نفسك وأنا اتحرق بجاز؟؟ قولي لي أمك جاية معاكي تشتري حاجات؟
- أيوه جاية معايا وقالت لي فرصة تشتري لنفسها حاجات بردو.
- يا نهار أسود.. أنا كمان أمي جاية وهايشوفوا بعض..

تضافرت مفردات الكارثة لديهما فأدركتها كارما قائلة:

- آه صحيح.. وأكيد هايعرفوا إن كلامي مش زي كلامك يادي المصيبة.

تخشى زوبة وكارما من تقابل أمهما في السوق، وبالتبعية سينكشف أمرهن جميعًا لسبب تافه، وبخبرة زيزي المبكرة الخطأ الصغير، فإن انكشف كذبهما؛ ستقضيا بقية عمرهما في المنزل في سخط وعدم أمانة.

تحرص كارما على ألا تنكشف أمام والدها الذي يعمل بإحدى حفارات البترول ويغيب بالإسبوعين أو الشهر في عرض البحر، وأمها التي لم ترها إلا أربعة أيام فقط في الشهر، برغم أنهما يعيشان في نفس الشقة مع أخويها الصغار، فكل منهما منشغل بما يفعله، تذهب أمها إلى عملها في فترة الظهيرة كمديرة لمكتب محاماة، وتصطحب معها الابن الأصغر ذو الخمس سنوات، وتترك الابن الآخر ذو الاثني عشر عامًا بصحبة كارما التي لم تستيقظ من النوم بعد، وتظل الشقة هادئة بعد أن يخرج أخيها ليلعب مع أصدقائه في الشارع دون استئذان، حتى تستيقظ كارما فتجد هدوء المنزل الذي تحبه، فتعد طعام الغداء لها ولأمها وأخوتها ثم ترتدي مسرعة ملابس فضفاضة وتغادر الشقة إلى جارتها المقابلة (**شوشو**) ـ فى نفس عمرها ـ لتقضي معها طيلة النهار ومعظم الليل، وعند عودة أمها تلتقط ابنها من الشارع وتصعد بالطفلين وتتأكد أن كارما برفقة صديقتها فتدخل في هدوءٍ، وتحمد الله أن ابنتها وجدت من يخلصها من تبرم ابنتها وطلباتها المتكررة، لتعود كارما في منتصف الليل لتجد أن أمها وأخويها الصغار قد تناولوا الطعام التي أعدته وخلدوا إلى النوم، فتنام هي الأخرى.

حتى شعرت بالوحدة والحياة المملة التي غرقت فيها مع جارتها شوشو لعام كامل بعد انتهائهما من الجامعة، فلا سبيل للنقاش مع أبيها، ولا سبيل لحضن الأم، أو شكوى تهنأ فيها بيد حنونة تربت على كتفها

أو تحتويها، ليس أكثر من جارتها (**شوشو**)، التي تبحث مثلها على قلب يحتويها ويدفء براثينها الهائجة، منذ أصبحتا تتبادلان حكي علاقاتيهما المتعددة مع الشباب، أو يستفز مشاعرهما بطل مسلسل أجنبى شديد الوسامة من خلال الإنترنت وتظلا تتباحثان عن بقية صوره، في حمام السباحة الخاص به ومن ثم الساونا والمساج، وتكرر ذلك في العديد من الممثلين العالميين حتى توغلتا إلى أكثر من ذلك، وبدتا مستمتعتين بكل جسد رجل جديد عبر الإنترنت، فهو طريق مثير تقضيا فيه على أوقات الفراغ والملل الذي اختلقته لهما الأهل، أيضا طريقة شبكات التواصل الاجتماعى التى سهلت لهما التعرف على فتيات ليس عليهم سلطان الأهل.

◈

أغلقت زيزي الخط مع كارما، وعلى الفور قامت بالاتصال بصديقتها منذ الجامعة عزة:

- عزة إنتِ بتعملي إيه؟؟
- هوايتي المفضلة طبعًا.. دا أنا جبت شوية (**كليبات**) رقص بلدي.. إنما إيه.. تجنن.. اتعلّمتهم كلهم.. هاتتفرجوا وهاتتهبلوا في (**الدي جي**) اللي جاي..
- اسمعيني.. إنتِ قلتي إيه لأمك وأبوكِ على خروجة بكرة؟؟
- عادى يا (**زوبة**).. أنا مش بخبي عليهم حاجة.. قلت لهم خارجة مع أصحابي نتمشى على البحر..
- ووافقت عالطول كدة؟ ما انتِ كنتِ امبارح معانا بنتمشى على البحر برضو.

- لا.. ما انا قولت لها بصراحة يا ماما.. إحنا كلنا نازلين علشان باكينام هاتتخطب لشاب وهاتقابله على كافيتريا.. وقالت لنا تعالوا علشان تقولوا لي رأيكم فيه من بعيد لبعيد.. علشان (**باكي**) بتثق في رأينا.. ومن طيبة أمي.. قالت لي حتى العريس بتاخد رأيكوا فيه؟؟ قولتلها طبعًا.. إحنا أصدقاء في كل حاجة.. وانا مقدرش أتأخر عليها في قرار مصيري زي دا.. فقالت لي ماشي روحي طالما مع أصحابك.. ما انتِ عارفة أمي غلبانة وعلى نيتها.

ثم استطردت بثقة:

أصل انتِ أول ما قلتي لي ننزل نشتري هدوم النهاردة.. قلت لماما وألحِّيت عليها علشان تيجي معايا.. وعلشان تحس إني مش بحب أخرج لوحدي أبدًا.. ومش بحب المعاكسات.. يا إمَّا معاها أو معاكم انتوا أصحابي حبايبي.. هاها... عشان بتحموني من المعاكسات يا أووووختيييييي هاهاها..

اضطربت زيزي من كلامها فسألتها فجأة:

- يعني أمك جاية معاكِ النهاردة؟
- طبعًا يا بت خليكي ذكية.. لازم تحسسيها بالأمان.. مش كل الخروجات لوحدك.. علشان لا تشك فيكِ ولا حاجة.. وكمان أقنعتها تشتري لي حاجة على الأرض جديدة ألبسها بكرة.. علشان الواد (**فورا**) يحس على دمه شوية ويشتري جزمة جديدة.. بس إيه رأيك فيه.. مافيهوش غلطة أصلًا.. واللي عاجبني فيه إنه عقلاني وزي القمر.

صعقت زيزي بعدما تأكدت لوقوع كارثة وشيكة، فانفجرت قائلة:

- نهارك هايبقى أسود بكرة إن شاء الله.. أنا أمي جاية معايا النهاردة.. وعارفة إن باكينام عزمتنا كلنا على افتتاح محل أبوها الجديد.. وكارما رايحه لها المستشفى.. وانتِ رايحه تعايني عاريسها.. انتوا عايزين لفظ يلمكوا والله.

اضطربت عزة مفكرةً:

- إيه اللخبطة دي؟ إنتِ بتقولي إيه!.. ليه قلتوا كل ده؟ عايزة أمي تشك فيا؟؟ ماتخلنيش أقول لك كلمة قبيحة على الصبح.
- قولي مع نفسك بقى.. سلام

ساور عزة القلق والريبة فيما قد تصنعه الحوارات المتناقضة لدى آبائهن وأمهاتهن، تقلصت بطنها التي اعتادت على الليونة، واقشعر جسدها المعتاد على الانسياب، سرحت لدقائق في صورة (**بوستر**) معلقة أمامها على الحائط لراقصة أجنبية احترفت الرقص الشرقي وهي تفكر وتحاول أن تجد طريقة تمنع بها اصطحاب أمها معها اليوم كي لا تتقابل مع أمهات صديقاتها.

لأكثر من ساعة داخل غرفتها تحاول إيجاد سبب مقنع، وسرحت فتخيلت أنها تقنع أمها بشدة مرضها فوق خشبة المسرح، ثم تألمت برقص تعبيري فأقنعت الجمهور بمرضها وصفقوا لها، وتبقت أمها لم تقتنع بعد.

أفاقت، جلست على أرض الواقع تخشى المستقبل الأسود الذي ستكتشفه أمها إن بدأت معها مشوار الشك، كما ستنكشف جميع أسرارها على التوالي التي طالما حرصت على إخفائها، فلديها ما يؤدي إلى اللعنة والطرد من الرحمة والمنزل عن جدارة.

وفجأة قالت بسعادةٍ: «**وجدتُها**».

أغلقت الكمبيوتر المحمول، قامت من جلستها من فوق سريرها، ذهبت إلى أمها المنشغلة بإعداد الطعام داخل المطبخ، وهي تحمل كمية كبيرة من ملابسها التي أخرجتها من دولابها، تحاول أن تقنعها بأنها ستختار من بينهم ما يناسبها، وليست في حاجةٍ إلى الخروج مع زيزي، وليس بدًا من شراء حذاءٍ جديد، كما أنها تشعر بوعكة خفيفة في بطنها ظهرت فجأة ولن تستطيع الذهاب، استمعت إليها أمها كما لو أنها تفهم ألاعيب ابنتها، فنظرت إليها بعينٍ شاخصة وقالت:

- وجع إيه ده؟ النهاردة كام في الشهر؟
- لا مش الوجع دا.. شكلي كده أكلت حاجة امبارح تعبتني قوي.جاية تتعبك دلوقتي؟! ما انتِ طول النهار من ساعة ما صحيتي وانتِ عمالة ترقصي على أغاني أشكال وألوان!!!
- آه ممكن من الرقص فعلًا.. مش عارفة.. أنا هادخل أستريح شوية.. إوعي تصحيني.. أنا مش هاخرج مع حد النهاردة.

دخلت عزة غرفتها الضيقة لتنام في قلق، صمتت أمها وتريد معرفة سر عزوفها عن الخروج مع صديقاتها، فهي تعشق الخروج معهن ولن تمانع لو تكرر كل ساعة.

فجأة، دخلت أمها عليها الغرفة بعدما أنهت الطبخ لتوقظها، وبخبثٍ قالت:

- قومي يا عزة علشان عايزة أشتري شوية حاجات.. بالمرة نقابل أصحابك.. مش هما كمان بيشتروا هدوم النهاردة؟!!

فزعت عزة ودق قلبها بشدة ولم تفتح عينيها ولم تجب.

أدرك أمها القلق؛ لأنها تصنِّف ابنتها حسب التصنيف الحديث للفتيات بكونها (**مزة المزز**) مبهرة، علاوة على أنها راقصة بارعة، وجسدها المنحوت المتفنن في توزيع كتلهِ اللحمية؛ ارتسم ونمى بدقة متناهية فأصبحت جميع ثيابها القديمة والجديدة تؤول إلى الرقص من تلقاء نفسها حين ترتديها، وقلق قديم يساور أمها منذ لاحظت فوران جسدها خشيت منه كل الخشية أن تكون قد استثمرت فنَّها الراقص خارج المنزل، وإن كانت هوايتها الرقص فهي ترقص في مناسبات العائلة فقط، علاوة على ارتدائها الحجاب بإحكام، وتثق في سلوكها وسلوك صديقاتها الأربعة البنات، التي تعرفهن عمق المعرفة، وتحمد الله أن لها صديقة مثل زيزي موكَّلة للدفاع عنها عند أي خطر، وأخرى مثل باكينام التي لديها سيارة، فانتشلتهن من (**مرمطة**) المواصلات والمضايقات، فهن منفتحات ولكن ملتزمات بحدود، لا يتمكن منهن أحد أو يلمسهن أحد، ولن يكون هناك خطرًا من شبابٍ أبدًا.

كانت أمها تتمنى أن تُنمِي فيها موهبة الطبخ، ولم تفلح، لقناعتها بأن الطفل له هواية محددة تظهر رغما عن الجميع، لا يجب لأحد أن يعترضها، حتى لا يحصل عليها خارج المنزل، وإن أرادت الحصول عليها خارج المنزل لن يعلم أحد عنها شيء، فلا حول لها ولا قوة من ردعها عن الرقص، ولا حتى أبوها الموظف الحكومي المطحون، الذي لا يكفي راتبه نهم مصروفات زوجته وأولاده على مواكبة الآخرين في رفاهيتهم.

لم تدرك أمها أنها هي السبب الرئيسي لنمو حاسة الرقص في دمها منذ طفولتها حين كانت ترسلها لجيرانها لتقضي أوقات طفولتها برفقتهم؛ كي لا يتسرب إليها الشعور بالوحدة، فكانت عزة وحيدة أبويها، ولسوء الحظ كان جيرانها من البنات والمطلقات اللاتي كن يقضين أوقاتهن سأمرين تحترفن الرقص المنزلي اللولبي، حتى أنها كانت تبيت عزة وسطهن وهن يسهرن في تفنن الرقص، وكانت أعمار جيرانها تتفاوت بين خمسة وعشرين وخمسة وثلاثين، وهي في الثامنةِ من عمرها، كانت ثقة أمها في جيرانها تنبع من أسلوبهن المهذب معها، وتقديم الخدمات لها بلا مقابل، ولم تعلم أن الأسلوب والخدمات لا يكفيان للكشف عما بداخلهن بوضوح، ولا يجب الاعتماد على ذلك، فامتزجت بهن عزة؛ فأدمنت الرقص فور ما وجدتهن يمزجانه بالتقسيمات المثيرة، بل وبجرأة تخشى أن تؤديها الراقصة المحترفة، متناسين أن بينهن طفلة، لا يعيرنها أي اهتمام، حتى في الألفاظ فيما بينهن، فتعلمت المزيد والمزيد بنضوجها، وأمها أصبحت الراعية الرسمية للموهبة دون أن تدري، ساعية إلى خلوة متكررة مع الأب التي لم تأتِ بأطفال أبدًا إلا نادرًا، وتقول مرارًا ..»لعلها تأتي ثم لعلها تأتي»، وتترك الطفلة لأوقات طويلة ساعية وراء الانجاب الثاني؛ فذهبت الأولى من بين يديها حتى نضجت على ذلك وبلغت الثماني عشرة عامًا، استطاعت أمها على حد اعتقادها أن تنتشلها من احتراف الرقص الذي ألحَّ عليها لفترةٍ طويلة، بعد أن جن جنون عزة به ذات يوم، وكادت تلعن أبويها في سبيل الاشتراك في إحدى مسابقات الرقص الدولية تحت سن العشرين، التي بحثت عنها بواسطة جيرانها وانتظرتها بفارغ الصبر، حتى مرت المسابقة بسلام وهدأت قليلا وأصبحت لا

تبحث عن مسابقة أخرى، نجحت أمها في تخطيها مرحلة الاحتراف الذي يتنافي مع شكلهم الاجتماعي، ولكنها لم تعلم أن ابنتها الآن تبحث باستمرار وبطريقة أخرى عن إشباع رغبتها، في أي مكانٍ آخر.

يراود أمها أشباح تلك الذكريات في كل مرة تطلب منها عزة طلب ما، وتستشعر الريبة تجاهها دوما، وتتحسس جميع الجمل التي تتفوه بها في طلبها، وجميع ردود أفعالها تجاه طلباتها تلك، ولذلك تحرص عزة دوما بذكاء شديد على عدم ظهور رائحة الشك لدى أمها في طلباتها أو خروجاتها، وتعمل جاهدة على احتراف التصنُّع والثقة المتناهية، موقنة أن ذلك غاية في رضائها الذاتي بعد كل ما جنت عليها أمها فيه وكبحها لجماح رغباتها الدفينة.

وعزة الآن ورطت نفسها لأنها اضطرت إلى تغيير قرارها بالذهاب مع صديقاتها، وشعرت بتهديد شديد سيصيب كيانها الذي بنته داخل وخارج المنزل.

◈

اتصلت زيزي بصديقتها الثالثة رقية:

- رقية ازيك..
- الحمد لله.. ازيك إنتِ يا زيزي.. عاملة إيه؟
- إنتِ فين؟؟
- أنا عند الكوافير.
- ليه.؟
- ليه إيه.. انتوا لغيتوا حوار التظبيط بتاع بكرة ولا إيه؟
- لأ ما اتلغاش ولا حاجة بس اتكعبل.

- ليه اتكعبل.. إنتِ زعلتي مع بوكسر ولا إيه؟
- لأ.. بس كعبلة من نوع تاني
- لاااا.. . اتكعبلوا مع نفسكم.. أنا لسة مكلِّمة بنكرياس ومظبطين مع بعض.. وهانشوف بعض بكرة.. ومالیش دعوة بيكم.
- لا يا مزة.. إنتِ رجلك معانا.. هاتلاقي أمى بتكلمك في أي وقت وتسألك رايحين فين بكرة؟
- لا يا روح أمك مش هارد عليها وهقفل التليفون لغاية بكرة.
- مش هاينفع.. كان غيرك أشطر.. لو تليفونك مقفول.. هاتروح تتصل بأمك عالطول.
- الله يخرب بيوتكم.. بنات مكعبلة وعايزة قِشرة صحيح.
- ما تلمي نفسك وقولي هاتعملي إيه؟؟
- هيا إيه المشكلة أصلًا فهميني؟!فهمت رقية المشكلة، ورفضت أن تذهب الليلة معهن لشراء الملابس؛ فهي لم تقل لوالديها شيئًا، ولن تقول لهما شيئًا كالعادة، فكرت سريعًا لكي تتحاشى اتصال إحداهن بأمها، لم تطل التفكير وفتحت تليفونها الحديث وأرسلت منه رسالة إلى تليفون أمها، تحوي فايروس إلكتروني يُدمر الجهاز فور فتح الرسالة، هكذا سلاحا فتاكا في الأزمات، حصلت عليه من شاب مهندس إلكتروني كان صديقها السابق، أنهت مشكلتها وحصنت نفسها من أيةِ عقبات قد تعكر صفو مزاجها أو صداقاتها أو حياتها ككل، تقول في نفسها: «**اه يا شوية بنات هبلة.. اتكعبلوا مع نفسكم مش معايا أنا.. دا أنا ريري.. عايزين يطيروا الواد**

من إيدي.. دا بُعدكم.. الواد متريش وروش ودمه خفيف وبيموت فيا.. رغم كل اللي عرفتهم قبله مالقيتش حد فيهم عنده كل الحاجات دى مرة واحدة.. دا انا عمري مالقيت نفسي عايزة أبوس في الشارع بالطريقة دي لولا هو اللي منعني.. أحيييه يخرب بيته عسل قمر.. مز قوي.. كنت عايزة أأأأأ..... دا انا ادفع عمرى وما اسيبهوش.. أحسن من أمي اللي عايزة تخطبني لواحد دمه بارد.. وقال إيه..

«**غني**».. غني إيه المعفن دا! خطوبة إيه وقرف إيه.. أنا عايزة أعيش حياتي.. عايزة حد يحس بيا وبمشاعري الحقيقية.. مش عايزة أشوف الغم اللي شايفاه من أبويا وأمي كل شوية.. مش كفاية إنهم مطَّلقين.. لأ وإيه.. طلاق نهائي.. وعايش معانا بردو في نفس الشقة.. لما انت معندكش مكان تروح فيه ومش لاقي تاكل.. بتطلقها ليييه.. خللي شهامة أهلك تنفعك.. كفاية إن عيشته معانا حرام.. إيه الغباء دا.. ويا ريته بيعاملني كويس.. دا انا ولا كأني درِّتُه.. قال إيه.. كان عايزني ولد.. أنا مالي إن كانوا ماجابوش غيري.. هو العيب مني؟؟ لولا شغلي في السياحة وطفشاني برة البيت كان زماني مت بالسكتة.. هما بس فالحين ياخدوا منى فلوس.. فلوس بس.. ومالهمش دعوه بيا.. أتحرق.. أنحرف.. مش مهم.. دا انا عايشة لوحدى في أوضتي ولا حد حاسس بيا.. أمي عند الجيران وهنا شوية وهنا شوية.. وأبويا على القهوة مع صحابة في أي سبوبة.. قال رجل أعمال قال.. دا لو كانت سبوبة واحدة قضت كان زمانه بقى غني.. يشوف الخمسمائة

جنية منِّى.. ينسانى طول الشهر.. طول السنة أساسًا.. هو انا باخد كام ألف في الشهر؟؟ همَّا الثلاث آلاف جنيه ومش مكفيين أشترى بيهم لا (**ميك أب**) ولا (**هدوم**).. ولا (**أكل**).. الواحدة نفسها تاخد واحد زى بنكرياس دا وتغور في داهية بعيد عن البشر كلها.

اعتصرتها أفكارها المؤلمة، التي تؤرقها كلما شعرت بأنها ستفتقد إلى شيءٍ تتمنى الحصول عليه، منذ كحلت عينيها لأول مرة بالكحل الأسود و طلاء الأظافر والشفاه الأسود، لم ينتبه أحدٌ كونها في السابعةِ من عمرها، كما هى عادة أمها، تعيش في حي شعبى اعتادت الطلاء والأفراح الشعبية ومشاركة الجيران جميع تفاصيل حياتهم وحياتها، حتى قاربت على الانتهاء من العقد الثالث، لم تشعر أنها ملكت شيئًا مفيدًا من بيئتها سوى الحرمان والنميمة، ترفض الزواج، لم تعلم أمها ما السبب وراء ذلك لأن كلمتها تعلو الجميع، تعلم فقط أن ابنتها منسِّقة رحلات صارمة التعامل، من البيت للشغل ومن الشغل للبيت.

أفاقها الكوافير، أخبرها أنه انتهى منها وعليها دفع الحساب، دفعت الحساب، خرجت من الكوافير تبحث عن تاكسي لأن الكوافير بعيد جدا عن منزلها، هي اختارته لأن صيته يذاع في الأوساط الراقية، وكان سببًا في تعارفها على سيدات أغنياء كوَّنت معهن صداقات عادية، وعلاقات متفرعة أخرى، بعضهن تُطلعنها على عالم جديد من الأناقة بملابسه الضيقة وعاداته التي نقمت بها على معيشتها البائسة بعد ذلك، وبعضهن على رجال المال والأعمال؛ جعلتها تنفر من بيئتها ومن أبويها شر النفور، وتعاملهما معاملة الأغراب؛ لشعورها أنهما جعلوها عديمة الفائدة، حتى عندما كان أبيها يدخل عليها غرفتها على غفلةٍ ليتفقد

ما تصنعه في خلوتها؛ يفزعها بمفهومه الغبي عن متابعة الأب للأبناء وسلوكياتهم، وكان أبوها يرفض تركيب قفلٍ لباب غرفتها، كان يزعج مراهقتها في خصوصياتها؛ فصرخت وقررت منع دخوله مرة أخرى ولكن على طريقتها، خلعت ملابسها وهددت أبيها بفضيحة التعدي عليها، وتعمدت قضاء وقتها في غرفتها بملابسها الداخلية فقط عنادًا ونيَّة على الشر، وبالتهديد أجبرته على التراجع.

كانت أمها ترفض هذا التطفل منه على ابنتها، حتى تصاعد الخلاف لمحاولته معرفة سبب عزوفها عن الزواج أدى إلى تطليق أمها، وغبائه جعله يخسرهما إلى الأبد، أمها تركتها على حريتها تفعل ما تشاء لافتقادها هذة الحرية طوال حياتها، فكانت أمها تعيش حياة منغلقة صارمة متدينة، قهرت فيها الشعور بكيانها، أو حتى مشاركة إخوتها الرجال حريتهم لكونهم رجال، كانت أمها وأخوتها البنات يعاملون معاملة الخادمات ليس أكثر، حتى تزوجت من والد رقية الذي لم تعرفه وسُجِنَتْ سجنًا آخر ليس سعيدًا ينقصه الحياة كما تنقصها، توعدت للحياة أن تعيشها مع أطفالها حين يولدون لتنسى بهم عذابها وترسم بهم آمالها، لم ترزق إلا بطفلتها رقية، وآخر مات جنينًا، تراقبها وهي تكبر، ستلعن يوم الزواج إن لم تحصل على أطفالٍ كُثر، جن جنونها من العقم الذي أصابها، أثر موت الجنين الثاني في مرحلة حرجة سادها سواد العالم إلا إبيضاض وجه رقية.

وصلت رقية إلى المنزل، وجدت أمها عند جارتها؛ تفترشان أرضية مدخل العمارة، لم تقدر أمها على استجوابها عن ملابسها المستفزة، أو أين تقضي وقتها بعد مواعيد العمل، فإن أزعجتها أو افتعلت مشكلات؛ زادت رقية من حصتها الشهرية كي لا تزعجها مرة أخرى.

اتجهت إلى الدولاب تتفقد ملابسها، وما سترتديه غدا في هذا اللقاء الحراري في مضمونه شريف في هيئته، فالصداقة في اعتقادها لا بد لها من وقتٍ يُبذل فيه مجهود ما للحفاظ عليها. ابتسمت وهي تختار (**بادي**) ـ أيِ تيشيرت ـ كانت قد اشترته من محلات (**بادي موود**) ـ (**Body Mode**) ـ بصحبة زيزي، كانت الغرابة في شرائه ما جعلها تبتسم حين اشترطت بائعة المحل عليها شرطًا هامًا قبل شرائه، يتعلق بمواصفات جسم الفتاة التي سترتديه، لأن البادي ملحق به صدرية خاصة لكي يظهر مفاتنه التي تريدها الشركة المصنعة في شكلها النهائي لحرصها على بيع (**بريستيج**)، لا إلى تضييع مجهودها في التصميمات على أجساد قبيحة لسيدات قبيحة، وكان سعره شامل الرسم على طول الذراع الأيسر، ألف وثمانمائة جنيه.

رغم أنه التهم أكثر من نصف راتبها، إلا أن ثمنه لم يُثِر اهتمامها أكثر مما أثار فيها شغف التأكد أن جسدها سوف يجتاز المواصفات العالمية للجمال أم لا، وبالفعل فازت في اختبار المقاسات داخل المحل، حتى طارت من الفرحة، ودفعت ثمنه عن طيب خاطر، وتخيلت إمكانية مشاركتها بسهولة في مسابقات (**MISS EGYPT**) ملكة جمال مصر.

◈

أوضحت زيزي لكلٍ من كارما وعزة ورقية حجم المشكلة التي من بساطتها كدن يقعن فيها ويفضح أمرهن جميعًا، إن لم تتنبه إليها زيزي لكان نهاية عصر التزحلق على الجليد والطرقات الخفية التي ترتدنها سويًا.

- «حتى لو عرفوا يا حبيبتي، على مين.. إحنا شوية ولا إيه.. هاننزلوا يعنى هاننزلوا.. بس بدال ماكانوا عارفين إن احنا مع بعض.. هايبقوا مش عارفين إحنا فين ومع مين وإمتى وليه.. دي لو هاتوصل إني أطفش لهم من البيت.. هطفش.. ومحدش يفتح بوئه معايا.. إحنا فاضل لنا شوية ونكمل مائة وخمسين ألف جنية.. إنتِ ناسية ولا إيه.. إنتِ بس تهزِّي شوية وانا هظبط شوية من حبايبي.. واوعى وشك.
- لو قعدتي في البيت ١٠٠ سنة مش هاتشمِّي ريحة الفلوس دي لغاية ما هايجيلك في الآخر راجل زي القفا من جواز الصالونات.. وهايكون مش عايزك أساسًا بس غصبوا عليه يتجوز.. أو عينه طلعت عليكِ شوية وبعدين يعاملك زي الكلاب.. ومشاكل من أول يوم لغاية آخر يوم في حياتك.. ولو اتطلقتي هاتعيشي عيشه أسود من شعر راسك.. واقول لك على حاجة.. يا ريت يعرفوا.. عشان الواحدة تغور وتخلي عيشتهم سودا.. دا هما اللي ضيعونا بغبائهم يا شيخة.. أبويا اللي رماني لكلاب السكك والعمال وقال إيه.. بينشف عضمي.. روح يا شيخ إلهي ينشف عضمك بدري.. ولا أمي اللي كل همها تبقى أحسن من غيرها في أي حاجة.. بلا قرف.. ما هو انتِ أهه.. أمك شايلة من أبوكِ من أول ما عرفته.. ولا عاجبها ولا عجباها عيشتها أصلًا.. وانتِ فضلتي محرومة من كل حاجة وتيجي تقولي لي خايفة.. طول ما انا معاكِ ماتخافيش.. جرا إيه يا عزة.. بتفتحيني ليه بس!!..
- اهدي يا زيزي.. دي مشكلة هايفة وهاتتحل.

- عيب عليكِ أنا حليتها خلاص.. وهاخد أمي ونازلة دلوقتي.. وهبعتلك رسالة أقول لك تعملي إيه عشان أمي جاية عليا.. سلام.

◇

تقابلت كل من زيزي وصديقاتها دون أمهاتهن، فرحين فرحًا شديدًا وتتضاحكن من جام قلوبهن، ضحكات مدوية تهز أركان مول سان استيفانو، وليست المنشية كما كان يُخططن، أثرن فضول جميع المارة وغرائزهم وحنقهم، تزداد ضحكاتهن مع تقصعات أجسادهن التي تريد أن تحتضنها الأعصاب لتهدأ، الملابس الخفيفة الضيقة الشفافة؛ ملتصقة لا تترك أية تفصيلة من تفصيلات أجسادهن إلا وقد أعلنت عنها، كما المؤخرات العنفوانية، ورياضة التنطيط الصدرة اللاتي احترفنها جعلت رواد مول سان استيفانو يغيرون اتجاههم نحو ما يتجهن إليه، شملت أعمار التابعين تحت سن الخمسين، إلى أين يذهبن لم يدرِ أحد، مما تدافع إليهن بائعي المحال يعترضوهن يدعوهن إلى الشراء من محالهم، منهم من صاحبهن لفترةٍ يحاول إقناعهن للشراء منه دون غيره، منتظرين دخولهن محلٍ ما علهم يعرفون أصحابه.

الرفاهية التي تظهرعليهن من ملابسهن وأحزيتهن المرتفعة وشعورهن الهفهافة، أقصد شعر زيزي فقد كان يطغى على الجميعِ؛ لأن كارما وعزة ترتدين حجابًا محكمًا لا يُظهر شعرة واحدة حفاظًا على رضاء الأهل وثقتهم.

إن ضايقهم شاب بحركة ما تراجع بنظرة ساخطة منهن على الفور، لا يريد أحدهم أن يكون منقومًا عليه من فتيات جميلات اتفق على جمالهن المول كافة، هدأت الضحكات شيئًا فشيئًا وأول ما اتجهن إليه

لشرائه ما ولعن به وتفنَّنَّ في اقتناء الجديد منه، وما يساعدهن على إظهار مفاتنهن المترجرجة، أثناء سير أو ركوب أو نوم أو ما شابه، فالشعور بالحرية ينبع من الثقة بالذات، يعلمن كيفية الحصول على منابع الثقة، فهو دليلهن إلى الرفاهية، والدليل على سذاجة من يعتقد عكس ذلك، كان لابد من التخلص من الأمهات كلها كي تنعمن بالحرية والشراء، ولا مبرر لشراء ذلك أبدًا أمامهن، الملابس الداخلية يدخلن في سبيلها أرقى المحلات، يخترن ما يحلو لهن من المحال ما يليق بزوقهن الرفيع ذات الخبرة الطويلة.

دخلن أحد المحال، شعر البائع الشاب أنه عامٍ جديد بدأ من اللحظة، عرض عليهن أحدث الصيحات وأغربها تشابكًا، كن يعايين القطع المختلفة بثقة واحتراف، يقم بتشجيعهن المراهقين خارج المحل الزجاجي، حتى انتهز البائع الفرصة وتوجه بالفتيات إلى ركن آخر داخل المحل بعيدًا عن أعين المشجعين، انتهين باختيار ثلاثة أطقم من أحدث الموديلات، عرض البائع عليهن الفاتورة وقد تخطت الألف جنيه، وعرض عليهن عرضًا آخر، بأن يقوم بتخفيض كبير من الفاتورة إذا تفضلت إحداهن بإعطائه رقم تليفونها؛ فرفضن الخصم وقمن بدفع القيمة كاملة وخرجن على الفور.

زيزي وعزة وكارما فقط، أعدن تعديل اتجاه السير في المول إلى حيث يسرن، فما بالهم إن انضمت إليهن أكثر الفتيات شراسة جسدية، وهي رقية، أو أكثرهن رفاهية وجمال وهي باكينام.

كارما تتحدث إلى زيزي:

- زيزي إنتِ ليه خلتينا ندخلوا المحل دا؟؟ إنتِ ناوية على إيه بالضبط؟؟

- أنا؟؟ هاكون ناوية على إيه عادي محنا بنشتروا عالطول..
- بنشتروا عالطول آه.. بس مش بالفلوس دي كلها.. اشمعنا النهاردة.. إحنا بنروحوا لتجار الجملة في المنشية.. إيه الجديد يعني.. إنتِ ناويه على إيه بالضبط.. ماتخلنيش أزعل منك بقى.. إنتِ مزوداها قوي.
- مزوداها ولا مش مزوداها.. محدش ليه دعوة.. خليكِ إنتِ في المستقبل اللي بتدوري عليه مع الواد بتاعك.. ما امك بردو ماتعرفش.. مالك! قلبتي عليا ليه؟؟.. أنا قصرت معاكِ في حاجة.. ما انتِ كل ما تقعي في مشكلة بحلها لك.. ولا انتِ نسيتي البلوزة اللي قلعتيها في الديسكو وضاعت بعد ما نسيتي نفسك هناك.. وماكنتيش عارفة ترجعي البيت.. ولفيت لك اسكندرية كلها علشان أشتري لك زيها؟؟
- بس دي كانت غلطة واحدة وما اتكررتش.
- اتكررت.. ما اتكررتش.. بس اسمها غلطة.. مش عايزة وجع دماغ بقى.
- تتدخل عزة وتقول: خلاص ياكارما مش وقته خالص الكلام دا.. إحنا جايين نتمشى شوية ومش عايزين عكننة.. زيزي بس عضلات المز بتاعها لحست دماغها شوية.. هيا حرة.
- ما تفهميها يا عزة يا روح قلبي إنتِ.. جسم المز لا يقاوم بصراحة.. أعمل إيه؟! أطفش؟؟
- لأ.. تطفشي إيه.. كارما بس خايفة عليكِ.. إحنا من غيرك مانعرفش نعيش.. إنتِ نسيتي من غيرك ماكانتش أمهاتنا وثقت فيكِ وخليتنا ننزل معاكِ خالص.. كفاية زكائك في

الإقناع.. دا انا أمي لا يمكن تخليني أنزل إلا وانتِ معانا علشان بتعرفي تدافعي عن نفسك.. دا انتِ قلبي الذي يدق.

- خلاص بقى.. قولي لها مش كل شوية هانفتحوا الموضوع دا.. خلِّي القلب لما يحب يدق.. يدق براحته.. علشان الباقي يعرف يعيش.. . هاهاها

علت الضحكات في الكافيه بعد الكلام الهمس، تعلم كل من عزة وكارما مجهود زيزي منذ أن تعرفتا عليها في الجامعة؛ أن لديها تأثير السحر على الأمهات، وموهبتها الفائقة في طبع الطمأنينة في قلوبهن، مكتسبة القوة من المواقف العديدة التي تعرضت فيها إلى السرقة والتحرش، واستطاعت أن تحمي نفسها وتضرب المعتدين عليها بخبرتها في فنون القتال الت قد تعلمتها منذ صغرها، وحصلت على بطولة مدرستها الثانوية للمحافظة، فما أن سمعت الأمهات شجاعتها وتصرفاتها السليمة حتى وقعن في أسر حبها، بالإضافة إلى سيارة باكينام التي تُكمل عملية حمايتهن من المضايقات.

لم تتدخل عزة بموقف عكس ذلك ضد زيزي، لأنها تحمل عرفانًا كبيرًا لها في حياتها المستديرة حول نفسها، متمثلة في الرقص، حيث جعلت من رقصها الذي لم يتخطَّ العائلي؛ رقصًا أيضًا ولكن يُدِر أموالًا طائلة، إبتداءً من حفلات أعياد ميلاد الصديقات والأصدقاء حين أجبرت زيزي الحاضرين بالحفل بتجميع مبلغ من المال في سبيل تشجيعها على الرقص، وإن رقصت حصلت على المال المجمع؛ فرقصت ونالت إعجابًا شديدًا من الجميع وكسبت الرهان والمال، وأدى بها إلى مصاحبتها في حفلات الدي جي، ودفعتها إلى تقديم عرض شرقي استطاعت به أن تجذب لب مالك الدي جي؛ فأعطاها

نسبة من النقطة التي ألقيت عليها، وكانت تقدر بعشرة آلاف جنية رغبة منه في إقناعها لمواصلة هذا العرض المثير يوميًا، أخذت الأموال ووضعتها على الفور في الحساب البنكي السري لزيزي كي لا تسألها أمها عنهم.

احتياجها المُلح إلى النقود أرادت به أن تستعيض عن الحرمان والفقر، وغياب الحنان من أبويها بقدر استطاعتها، وبعد ترددٍ كررت العرض شهريًا ثم إسبوعيًا بصحبة صديقاتها، وأصبحت العشرة آلاف بالدولار لموهبتها الغريزية، تنهم رقصًا، تلهب جسدًا، تستشاط بها عقول، نمت ثروتها دون علم أمها التي اعتقدت أنها حافظت عليها، ولم تعلم أنها أرست فيها الشعور بكونها كلب ضال يحمد الله أن آواه بيتًا نظيفًا وله أب وأم، وما تذكره لأبويها هو إيواء المنزل الغبي الأعمى الذي لا يُوضح معالمه إلا صلة الرحم، عاشت عدم الاهتمام فطاحت بما تتقنه في الجميع.

أمها التي فقدت آمالها في الحصول على أطفالٍ خمس أو ست، ولم تستطع إنجاب سوى عزة وأخيها الأصغر بعد ستة عشر عامًا من اليأس، حتى مات الأمل فيها، وعكفت نفسيتها عن منح الحب، عزة تبحث عنه في أمها ولم تجده، أفرغت طاقاتها في الخفاء ولم تهتدِ إليه، سلكت طرقًا أوشكت إلى هلاكها، كادت أن تفقدها مستقبلها الشرعي، لولا أن أفاقتها زيزي في اللحظةِ الأخيرة وضربت من دفعها إلى هذا الاستسلام؛ مما جعلها تحب زيزي أكثر من نفسها، لكن لم تهتدِ أيضًا.

لم تتخيل قط أنها تستطيع أن تعيش وسط كآبة الأبوين، وعفونة الحنان، ووحشة المنزل، ومساخة الأطعمة يومًا وحدًا إلا بصحبة صديقتها زيزي، بحياتها الجديدة؛ يمرحن، يتنزهن، يشترين أرقى

الملابس وأغلاها ثمنًا من أموالها الخفية، ثم تُعلم والديها أنها بخسة من أكوام التصفيات، أو ممنوحة من باكينام كهدية، فإن أعطتها أمها مائة أو مائتين جنية؛ اشترت هي بألف، وتنمح صديقاتها الهدايا ببزخ، فقد تخطى رصيدها الجاري في حساب زوبة المائة وخمسين ألف جنية، على عكس اعتقاد أمها بأنها لم تستثمر رقصها أبدًا.

زيزي تتحدث (**لكارما**):

- ما تزعليش يا كارما.. أنا جبت لك دي (**وتعطيها قطعة ملابس داخلية مغلفة مما اشترته**).. تعجبك؟
- جميلة قوي يا زيزي؟؟ بس انتِ عارفه.. هاقول لهم إيه في البيت؟؟ أمي لو شافته معايا (**بشكله الفضيحه دا**) هايبقى آخر يوم في عمري.
- البسيه لما تيجي تخرجي معانا بس.. أو خبيه.
- مش هاينفع.. أنا كفاية خبيت (**كارتة الميموري**) اللي عليها كل الفضايح بتاعتي بالعافية.. ما انتي عارفاها.. دي بتخليني مرعوبة لما ماما بتدخل الأوضة.. أنا مش خايفة على نفسي.. أنا خايفة علشان انتوا معايا فيها.. لو أنا وقعت في مشكلة إنتوا هاتنقذوني منها.. لكن لو انتوا وقعتوا في مشكلة هبقى أنا كدا بح.
- امسحيهم بقى يا كارما وما توجعيش دماغك، واوعدك هظبط لك رحلة أجمد منها.
- مش قادرة أمسحهم.. دول كل حياتي.. فيهم أحلى أيام وأحلى شباب قضيت معاهم أحلى أوقات عشتها في عمري كله.. وفيها صورنا واحنا في شرم الشيخ والمايوهات وصور

تحت المياه.. والغردقة وصور في الشاليهات.. بحب اتفرج عليها قوي قوي قوي.

- ارفعيهم على الانترنت.
- رفعت الصور بس الفيديو مش عارفة.
- قولي لجارتك البت (**شاهي**).. ما هي خبرة جامدة في الفيديوهات.
- (**شاهي**) دي خبرة في تحميل الفيديوهات الشِمال غير كدة لأ.. وبعدين مش عايزاها تعرف حاجة خاصة بيا.. أمي مفكراها تمام.
- لسه مش بتشوفي أمك باليومين؟
- يومين إيه.. قولي إسبوع.. مهي ملهية في شغلها.. بتنزل وأنا نايمه وبتيجي وانا عند (**شاهي**) تاكل وتدخل تنام.. واحنا ولا في دماغها.. هما بس فالحين يجيبوا فلوس واحنا مش مهم.. ويا ريت تيجي على الفلوس وبس.. دا كمان الفترة الأخيرة تليفوناتها كترت قوي.. كل شوية ازيك يا محسن.. ازيك يا شوقي.. ازيك يا حسين.. سنين على الموال دا.. أنا لولا بخرج معاكوا وبنسى القرف دا كان زماني اتجوزت في الأوضة بتاعتي ولا حد كان هايحس بحاجة.. نفسي أغور من البيت دا واتجوز.
- تيجي يا بت أشوف لك عريس متريّش؟؟
- لا.. عارفاهم.. دوول بيفكروا في حاجة واحدة بس.. ياخدوها ويرموني رمية الكلاب.. أنا عايزة واحد زي (**ميكو**).. شاعر ولسه بيبتدي حياته وبسهولة أخليه يحبني..

ونعيش مع نفسنا عالطول.. أو نهاجر من البلد دي كلها.. والفلوس موجودة زي الرز.

- يا بت تتجوزيه إيه!!
- إحنا كلنا بنقضي وقت وخلاص.. زيهم زي غيرهم.. مافيش حاجة دلوقتي اسمها جواز.. إنتِ فكرتيني بأمي.. (**يا بت مش عايزة تتجوزي ليه يا بت؟**) وانا أقول لها علشان مش لاقية راجل.. واخلص نفسي.
- (**تتذكَّرن أمهاتهن**) إيه دا؟؟ أمي مستنية أروح لها على الكافيه جنب المول.
- (**عزة تتذكر**) آه صحيح.. وأمي أنا كمان خليتها تستناني على أول الشارع.. هانعمل إيه يا زيزي؟

زيزي تفكر كيف ستكمل مخططها، التي استطاعت به أن تجعل ثلاث أمهات لم تتقابلن رغم إصرارهن على معرفة الحقيقة التي اضطربت في أعين بناتهن، كل منهن اصطحبت أمها ولكن جعلتهن متفرقات كلن في مكان.

زيزي اصطحبت أمها إلى كافيه مجاور لمول سان استيفانو، وتركتها وذهبت بحجة البحث عن صديقاتها وإحضارهن.

ودفعت كارما إلى إلغاء موعد زيارة صديقتها باكينام إثر حادث كاذب، وجعلتها تخرج من المنزل بعد ذهاب أمها للعمل، غير قلقة من اتصالها النادر بها، وأبلغت عزة أن تجعل أمها تنتظرعلى كافيه آخر بعيد عن المول، وفرَّت الصديقات الثلاث لتتقابلن داخل المول تتضاحكن.

انتظرت الأمهات في الكافيهات قدوم بناتهن بصديقاتهن، عاد ثلاثتهن إلى أم عزة أولا، التي ضاق بها الانتظار، تسألهن سؤالًا واحدًا:

- هو انتوا اتأخرتوا ليه و رايحين فين بكرة بالظبط؟؟؟
- (**أجبنها على الفور**) رايحين لـ (**باكي**) على كافيه علشان هاتقابل شاب عايز يخطبها.. عايزة تشوف رأينا فيه بصراحة.. علشان إحنا أقرب الناس ليها.
- زيزي تقول: عقبال ما تفرحي بعزة يا طنط.. ونزغرد لها ونلبِّسها ونرقصوا لها وكده يعني..
- (**تقاطعها بحزمٍ**) طب وهي فين (**باكي**) ماجاتش ليه؟؟
- (**تحاول تغيير الموضوع**) يا طنط دي مش فاضية خالص وسافرت مصر تشتري هدوم جديدة.. ربنا يجيبها بالسلامة.. ادعي لها ربنا يتمم لها على خير والنبي يا طنط.
- يا رب يتمم لها على خير ويسعدها يا قادر يا كريم.. وانتِ يا زيزي أمك فين؟؟
- أمي اتعاركت مع أبويا كالعادة وغضبت ومارضيتش تيجي.. وقالت لي أروح أنا وهاتبقى تيجي ورايا.. بس هيا مش عارفة إننا نزلنا سان استيفانو.. واتصلت وقالت لي إنها راحت المنشية.. أمي دي مدوخاني معاها.. أعمل إيه!!
- تيجو معايا المنشية؟؟ (**للجميع**)
- (**ترد عزة**) لالا.. منشية إيه دا مشورا صعب قوي.. أنا هاشتري أنا وماما من محل قريب من البيت علشان تعبانة خالص النهاردة مش عارفة ليه، وماما ماكانتش مصدقة إني تعبانة.. وفكرتني بكذب عليها.. (**لأمها**) خلاص يا ماما

اطمنتي؟؟ أصحابي دول ولا مش أصحابي.. رايحين نشوف خطيب (**باكي**) ولا مش رايحين.. عيب عليكِ يا ماما.. أنا بنتك تظني فيا كده؟

- (**كارما تقول**): أنا هاجي معاكِ يا زيزي.. علشان أرجع البيت من المنشية بالمرَّة.
- Ok.. تعالي سلِّمي على مامتي الأول.. مع السلامة يا (**لوجي**) ـعزةـ، مع السلامة يا طنط.

تودِّعاهما بالقبلات، ـزيزي وكارماـ ذهبتا إلى والدة زيزي، التي تنتظر في كافية (**ستاربكس**)، ولكن أمها لم يضِق بها الانتظار مطلقًا؛ لأنها شعرت حينها أنها تشارك عِلْية القوم كافيترياتهم الراقية، وهى تتفقد تليفونها المحمول بالشاشة اللمس دون أن تفقه فيه شيئًا، تتنظر ابنتها بشعرها الهفهاف الذي يفوق شعر سيدة الأغنياء ذاتها في اعتقادها، تنظر باحتقار للبنات والسيدات الجالسات بجوارها، تدخل في مشادة كلامية مع الجارسون لعدم إحضار مشروبها بسرعة كافية، وهو كوكتيل الفواكه الإستوائية المغطى بالأيس كريم وجوز الهند والمكسرات ـوالتي تدَّعي أنه المفضل لديها منذ الطفولةـ، فهي طلبته فقط لأنه الأغلى ثمنًا في قائمة المشروبات، تهمهم بردائة الأجواء المحيطة بها من عوادم السيارات وعدم نظافة الأرضية، مما جعل الجرسون كاد أن يشكوها إلى مديره، تأتي إليها زيزي وبصحبتها كارما، امتلأت الكافيتريا اضطرابًا وأعين زائغة على أجسادهن واضحة المعالم، واستفهامات عديدة، هل بنات من طبقة راقية كهاتان تتحكم فيهما امرأة تظهر عليها بيئتها المنحطة من ملابسها وأسلوبها الفج للجرسون، أم أصلهن الرديء ماكشف عن أمهاتهن؟والدة زيزى تسألها:

- إنتوا فين كل دا؟؟
- معلش يا ماما.. انتظرنا عزة كتير قوي وماجاتش خالص واعتذرت لنا في التليفون علشان تعبت فجأة.. بنات ورق بقى نعمل إيه!!
- إزيك ياكاميليا يا حبيبتي.. أومال أمك فين يا بت.. ماجاتش ليه؟؟
- مامي.. مامي في الشغل.. ومش بتعرف تنزل معايا في أي وقت.
- مامي؟!! ما هو لسان أمك المعووج دا هو اللي محببني فيكِ، (**فتقول لزيزي**) وانتِ مش بتقولي مامي ليهِ يا بت يا زوبة.. الله يخرب بيت تربية أمك.شششششش.. وطِي صوتك هاتفضحينا.. إنتِ نافع معاكِ ماما ولا حتى مامي؟؟ اسكتي خالص لغاية ما نمشي من هنا.. (**ثم تشير إلى كوكتيل الفواكه وتقول**) وإيه (**الجردل**) اللي انتِ طلبتيه دا كله.. تلاقيكي مش عارفة إيه هو!! غير (**الشفشق**) اللي متعبي فيه دا اللي تعرفيه.
- فواكه يا بت اخرسي..
- فاواااااكه يا بت؟! دي فواكه استوائية.. تعرفي يعنى إيه استوائية وشكلها إيه؟؟ قومي.. قومي يالا بينا نروح نهبب اللي جايين علشانه.

تصمت أمها نهائيًا وتقف على الفور بعد أن كشفتها ابنتها بجهلها، تكتم كارما الضحك، تنادي (**زوبة**) على المتر وتطلب الفاتورة، تدفع ثمن المشروب، ويتركنه كما هو، تنظر إليه أمها وتقول :

- طب نخليه يلفُّهولنا يا بت.
- يلفُّه إيه! يا وقعتي السودا.. امشي تعالي.. إحنا هاندخل المول تاني نشتري حاجة ونطلعوا عالطول.. مش عايزة اسمع صوت.. فاهمة ولا مش فاهمة.
- ما تخلصي بقى يا بت مش عايزة أعلِّي صوتي.

خوفًا أن تهتز سمعتهن اللاتي ألقينها في عقول رواد المول منذ قليل أن تضيعها اصطحابها لأمها، دخلن المحل الأول مباشرة، وكان أحد سلسلة محالات بادي موود (**Body Mode**) العالمية المتخصصة في أحدث الموديلات المحاكية للجسد، وهو نوع متطور مشتق من موضة الفيزون الشفاف للجسم، وهم أول من ابتكروا الرسم المحاكي للملابس على البشرة، حتى إنك لا تستطيع التفريق بينهما، وجدن المحل عبارة عن معرض ضخم جدًا متعدد الأركان، كل ركن به المانيكانات ترتدين بنطالونات طويلة. وحين تقتربن تجدهن أنها رسومات وليست قماشًا، ومن خلفه شاشة عرض توضح كيفية الدمج بين الملابس والرسم، وعلى الزبونة أن تختار ما يحلو لها من موديل كي يقوم المحل بتكليف خبير الرسم، ليرسم على جلدها نفس نقشة الملابس التي اختارتها، تعتاد زيزي وكارما أن تدخلاه لتتفقدا أحدث التصميمات، مع الحرص على الاحتفاظ بالسائل المزيل للرسم قبيل العودة إلى المنزل، وإن لم يردن إزالته سيستمر إلى ثلاثة أشهر، ولكن هذه المرة هي الأولى لأمها على الاطلاق أن ترى مثل هذه المحال، ليسئلن عن ثمن القطعة؛ فتجيب البائعة أن ثمنها (**ألفيْ جنيه**)، وكلما يكبر حجم الرسم يتزايد الثمن إلى خمسة آلاف جنيه، سمعت أم زيزي هذا المبلغ فقالت للبائعة :

ـ خمسة إيه يخمسوا عليكِ بدري.ش ش ش ش.. بس خالص.. استني يامّا.. يااااا مامي.

تسمع أمها كلمة (**مامي**)، فتصمت وكأنها لم تتفاجأ، تريد زيزي في قرارة نفسها أن تشتري واحدة بخمسة آلاف أو حتى عشرة آلاف فلديها المال الكافي، لكن لا تستطيع البوح بذلك أمام أمها الآن، ولا تستطيع رسم شيئًا على جسدها أمامها، فكانت ترتدي وترسم وتزيل خارج المنزل فقط، ومن فوقه الملابس العادية، تفكر زيزي في الحيلة التي اتفقت عليها من قبل مع صديقتها الغائبة باكينام كي تخرج من هذا الموقف وتشتري ما يحلو لها،

وقع اختيارها على موديل خفيف شفاف، يُجسِّد الإلتواءات الطرية بعناية فائقة، علاوة على أنه ليس به رسومات كثيرة إلا عند المعصم وفوق الكعبين إلى تحت الركبة فقط، فذلك معقول أمام أمها، تتشارك الرأي مع أمها وكارما في هذا الموديل، أثارت به حنق أمها في صمت، فبادرت كارما بإعجابها الشديد له ولمدى رفاهيته ورُقيّ مستواه، عدلت أمها عن حنقها ولم ترد الظهور بالمظهر الرجعي المتخلف مرة أخرى، ووافقت هي الأخرى على الموديل، تعلم زيزي كيف ومتى تجعل أمها توافق على ما يحلو لها، فهي رجعية تأكلها الحداثة، متجاهلة كون الملابس الشفافة تزيد من نسبة الطلاق بين المتزوجين في الشارع، تشترط أمها أن تكون صديقتهن باكينام لم ترتدي مثل هذا الموديل من قبل، وافقتها فورًا وقالت:

ـ آه طبعًا.. (**باكي**) ماتقدرش تلبس دا أصلًا علشان غالي جدًا وراقي جدًا.

سألن عن ثمنه فقالت البائعة أن ثمنه (**ألفين وخمسمائة جنيه**)، اغتاظت الأم وبرقت عيناها وكتمت غضبها على الثمن المبالغ فيه التى لا تملك أن تدفعه لابنتها، ليس أكثر من الخمسمائة جنية كحد أقصى.

بدأت حيلة زيزي في الظفر بالموديل، على الفور اتصلت اتصالًا مزيفًا بصديقتها باكينام، تدَّعي أن صاحب المحل صديق عزيز لوالدها منذ الطفولة، وسوف تحصل على خصم حيال ذلك بالتأكيد، أقنعت أمها بهذا الخصم وأخذت منها النقود الخمسمائة، وذهبت بالتليفون بعيدًا وكأنها تبحث عن غرفة مدير المحل لتشرح له موضوع الخصم، غابت عن الانظار، لتذهب وتدفع الفاتورة بمبلغ الألفين والخمسمائة كاملة، من (**كارت الفيزا**) التي تخفيه، وتخلصت من الفاتورة فورًا، وعادت إلى أمها تهنئها على حصولها على الخصم حتى وصل إلى (**الخمسمائة جنيه فقط**) بالتمام والكمال، والفضل يعود لوالد باكينام صديق صاحب المحل، ثم خرجن من المحل فورًا.

عزة تقف مع والدتها داخل محل عالمي للملابس والأحذية، وقعت عينيها على بنطلون وحذاء طويل، أخذت تتفقد البنطلون وجدته يمتاز بغلاظة قماشته، فلم يعجبها فاختارت آخر رقيق القماش لقناعتها الدفينة بضرورة أن يمتاز بسهولة الحركة والإحساس بالحرية، وعلى الفور ينقل شعور الجسد لمن يراه أو يتحسسه، لونه شديد الاقتراب من لون بشرة سيقانها، ترفعه وتقلِّبه أمام أعين أمها، تشده من زاويته الحادة لتطمئن على راحتها النفسية، مر البنطلون على أمها مرور الكرام ولم تُعلق، كيف لها أن تعلِّق بعد مرور ما يقرب من عشرة أعوام من حرية الاختيار، بعد أن وضعتها على أول الطريق الضيق للملابس؛ لانتشارها

ورخص ثمنها بحجة الشراء على الموضة منذ لقنتها عبارة «**عشان محدش يشوفك بيئة يقول عليكِ محرومة**».

دخلت غرفة (**البروفا**) لتقيسه، شعرت أن يدًا ناعمة بنعومة ريش النعام تمر فوق ساقيها حتى انتهت بالخصر، خرجت منها كلمة «**أحيييييه**»، «**الله يخرب بيوتكو بتجيبوا البنطلونات دي منين؟! أنا مش هاشتريه.. أنا هالزق فيه**»، وكان يفوق لمعانه درجة بشرتها، مما يزيد من إثارته، فهي لن تترك فرصة كهذه، تلهب فيها عقول خمسة شباب دفعة واحدة، فكرت إن خرجت لأمها به سترفضه لأنه يشف خصوصياتها ولا يستر، ولكنها أيضا تتملك سر التأثير عليها، وعلى الجميع بخبرتها، فأمها بالنسبةِ لها أولى درجات السلم التي داست فوقها بل وأسهلها حتى تبلغ بقية درجات النقص داخلها لتشبعها.

ليس بُدًا أن تراه في البروفا، فبداية ستخلعه وتخبر أمها أنه جيد، لم تكمل عزة التفكير ونادت عليها أمها لتريها إياه، خرجت إليها؛ فصعقت أمها كون ابنتها كأنها لم ترتدِ شيئا.

ـ «إيه دا يا بت.. الله يفضحك يا بعيدة؟؟

ـ استني بس مش دي المشكلة.. هالبس حاجة طويلة وخلصت..

بس نشوف ثمنه كام الأول.. عشان مانتخانقش على الفاضي

جاءت إليها البائعة وأخبرتها أنه بخمسمائة جنيه.

ـ تقول أمها: أهه شفتي بقى.. اقلعي.يا أمي استني شوية على جنب كده الله يكرمك.

دخلت البروفا وخلعته، وخرجت لتتجه إلى الحذاء الذي أعجبها، ارتدته وسألت عن ثمنه؛ فأخبرتها أن ثمنه ستمائة جنيه، غضبت أمها

وصرخت من المشتريات التي تخطت الألف جنيه، تتعجب من ثقة ابنتها فيما تفعله، رغم غلو الثمن لما يفوق الحد، رغم ذلك رفضت وجذبت عزة من يدها، وهمَّت بالخروج، خارج المحل أقنعتها عزة أن صاحب المحل صديق عزيز لوالد باكينام، وستُهاتفها ليتوسط لها في الحصول على خصم كبير، وأقنعتها بأنهن لا يشترين دومًا إلا من المحال التابعة لوالد باكينام فقط، فالخصم يقل عن نصف ثمن الجملة، «**يعني حاجة ببلاش كده.. إحنا نطول**»، صمتت أمها لهذا العرض المغري، وكانت تنتظر بشغف سماع قيمة ذلك الخصم الكبير، أخذت عزة النقود القصوى منها ـ (**ستون جنيه لحذاء وستون لبنطلون**) ـ، وجعلتها تنتظرها خارج المحل، اتجهت هي لسداد الفاتورة بالألف والمائة كاملة من نقودها الخفية، غابت لخمس دقائق، ثم خرجت إليها سعيدة بالبنطلون والحذاء بعدما تخلصت من الفاتورة، استحوذت على دهشة وإعجاب أمها بعدما علمت أن الخصم تخطى التسعمائة جنيه، فسَّرت بعدها مقدار الثقة التي كانت عليها ابنتها.

سعدت أمها بصداقتها بباكينام، وما قدمت إليها من واجب يستحق الرد أو الهدية أو الزيارة المنزلية، كي تخدمها إلى هذا الحد غير المتوقع، ومن علاقات أبيها المليونير، اعترضت عزة ونوهت أن باكينام لا تحب ذلك، فهي تستطيع أن تقدم خدمات أكثر وبدون مقابل؛ لأنها غنية ولديها الكثير، سارتا تدعين لباكينام بطول عمرها، وزيادة رزقها في الدنيا والآخرة، وأوصتها أن تبدي لها رأيها في عريسها غدًا بصراحة ووضوح وأمانة وعدم نفاق، وافقت عزة، وسعدت لإحكام خطتها على أمها، وعادتا إلى المنزل.

الصديقات اتفقن فيما بينهن على هذه الحيلة، لتكون مخرجًا مقنعًا من المواقف الحرجة مع الأهل، وسبيلًا جديدًا للاستمتاع بإنفاق الأموال التي لديهن.

◈

باكينام في الأصل من القاهرة، وجاءت إلى الاسكندرية لعمل تقارير عن موديلات الملابس في محال أبيها، لِحسّها الفني في هذا الاتجاه منذ وكّلها أبيها بهذه الوظيفة، ومنحها نسبة من المبيعات التي تباع نتيجة التعديلات التي ستقوم بها في أي موديل، وكانت تمتلك القدرة على الإبداع في التصميمات، حيث ازدادت المبيعات بشكل ملحوظ، وكوَّنت ثروة طائلة خلال ثلاثة أعوام فقط، لم يرض لها أبيها التفاهة والاعتماد على الغير، لم يرض لنفسه أن يراها تلعب لعبة الأطفال الخاصة بتلبيس العرائس التي تلعبها بنات العالم أجمع ويتركها هباءًا، يعلم أن هباء الطفل هباءًا للأسرة، وهبة الطفل أموالاً هباءًا للمجتمع، ماله وفيرًا لكنه ليس لإطعام عاطل أو باطل، حتى من أولاده، غني ولكنه يبالي بإطعام فم التفكير، فم البيان لا فم البنيان، فالطعام مختلف والجوع واحد، إن اعتنى بطرف أنملة مما يفكر به طفله ربحه، وهكذا ما تحقق وزُرع فيها، تسعى باكينام الآن إلى إدارة الإقليم كله من الإسكندرية، بل من جهازها المحمول قبل الذهاب إلى النوم.

صديقاتها اللاتي كن زبائنها في يوم من الأيام، تعرفت عليهن بعد شراء تجاوز العشرة آلاف جنيه للأربعة فتيات العام الماضي، جمالها ونظرتها الخلابة جذبت قلوب صديقاتها الأربعة، ابتسامتها الرقيقة في المحل أوقعتهن في حبها، كلماتها وأوامرها بها رقة صارمة،

تحبب العمل تحت إدارتها، شعرت زيزي بفائدة غريبة سوف تعم عليهن من مصادقتها، وكانت فكرتها بالتودد إليها أثناء الشراء، دعتها زيزي لحفلٍ راقص في أحد الفنادق الراقية، فقبلت الدعوة، وانضمت إليهن من حينها، هن أحببنها فما بال الرجال، هن رأين المستقبل الزاهر لطاقم العمال، فما بال صديقاتها اللاتي ستصبحن مقرَّبات.

باكينام تتحدث تليفونيًا إلى زيزي في الصباح الباكر ليوم المقابلة، أيقظتها من نومها:

- إزيك يا زيزي أخبارك إيه؟
- حبيبة قلبي.. جيتي من لبنان إمتى؟
- من ساعة بس..
- إزاي حد يروح لبنان وييجي في ٢٤ ساعة!!
- عادي شغل.. طمنيني إيه أخباركوا؟
- اسكتي كنا هانقع وقعة امبارح.. كلنا كنا جاينلك البيت امبارح بأسباب مختلفه عند كل واحدة.. وانتِ مش في مصر أساسًا..
- لا والله.. هاهاها.. إزاي؟؟
- ما انتي عارفة النظام.. بس أمهاتنا كانت هاتعرف.. والدنيا تبوظ على دماغنا.. بس على مين.. زيزي حبيبتك خلصت الموضوع.
- تمام هبقى أعرف التفاصيل.. قولي لي إيه النظام النهاردة.. رايحين المشوار بتاعنا بالليل ولا لأ؟
- رايحين ولا لأ؟؟.. دحنا كنا بنحارب عشان المشوار بتاع بالليل ده.

- بتحاربوا ليه حصل إيه؟؟
- هابقى أقول لك.. الأول ماقولتيش إيه رأيك في (**زيزو**)؟؟؟
- زيزو إيه وبتاع إيه.. يا حبيبتي أنا لو هابص للوسامة ولخفة الدم إنتِ عارفة ممكن يجيلي كام واحد تحت رجلي؟؟ كبري دماغك.
- بس البنات اتجننت على الشباب يا اختي.. البت رقية شتمتني وبوظت تليفون أمها لما حست إن الميعاد هايبوظ.. والبت كارما العبيطة نفسها تتجوز المز بتاعها وتعيش معاه عالطول.. وعزة عاجبها الواد وعندها استعداد تنضفه وتصرف عليه قال إيه.. طموح.
- هاهاها.. لا والله.. طب وانتِ يا زيزي؟؟
- أنا.. أنا ماخبيش عليكِ.. الواد يهبل.. والصراحة ناوية معاه على أي حاجة.
- إيه دا كله.. ماكانتش خروجه.. ومش أول شباب في حياتنا.. أنا عايزة أسألك سؤال.. في حد داخله فلوس من ورا الخروجة دي؟؟
- لأ طبعًا.. دحنا كنا ناويين نصرف عليهم كمان.. ونعرفهم أن احنا مش أي بنات.
- خلاص فككوا من الموضوع دا والخروجة الهبلة دي.. واسمعي بقى الكلام الصح.
- صح إيه قولي؟!

- بصي أنا دلوقتي عايزاكو كلكوا في خدمة العمر بالنسبة لي.. ومش خدمة عادية.. دنا هطلّع لكم عمولة.. هاتفضلوا تدعولي طول حياتكوا.
- إيه يا روح قلبي.. قولي.
- وأنا في لبنان امبارح.. كنت قاعدة مع وفد فرنساوي.. صاحب أكبر ماركات الأزياء في العالم.. وعايز وكيل ليه في الشرق الأوسط.. طبعًا بابا مايفوتش حاجة زي كده وبعتني أنا ومعايا ١٣ شخص عشان نتفاوض معاهم ويوافقوا يمضوا معانا.. والحمد لله وافقوا.. بس على ماركة واحدة بس.. وانا عايزة التانية كمان.. الوفد دا جاى في ضيافتنا في هيلتون شرم الشيخ بكرة الصبح عشان نمضي العقود.. وعايزاكوا معايا قبل التوقيع عشان هاعمل رحلة على اليخت إحنا وهما بس.. عايزاكو تنسوهم اسمهم.. والبند الشرقي بتاع عزة دا ليه تأثير السحر.. وأول ما يوافقوا على منحنا الوكالة التانية.. كل واحدة فيكوا هتاخد مني ١٠ آلاف دولار.
- كاااااااام؟!!.. بتتكلمي جد؟
- طبعًا.. إذا كان الماركة الواحدة دافعين فيها ٢٠٠ مليون جنية.. يعني ٤٠٠ مليون جنية.. وكده كده هدفع عمولة.. فكرت فيكم إنتم.. ولا ادفعها لحد غريب؟؟ يرضيكِ؟
- لا.. غريب؟؟.. إلهي ما يوعى ياخدها.. ١٠ آلاف أخضر.. يعني ٨٠ ألف جنية مصري في يوم واحد.. أنا راشقة معاكِ.

- خلاص لمي لي البنات وتعالوا لي كمان ساعتين وهانطلع بالعربية على شرم الشيخ عالطول.. مش تقولي لي شباب.. شباب إيه وقرف إيه.
- يغور الشباب.. يعني هما هايطيروا!
- طب يالا يا بطة بسرعة.. لازم تعرفي مين اللي هايدلعك بجد.. أنا ولا الشباب.إنتِ.. إنتِ جيتي لي منين.. أنا نظرتي ماتخيبش أبدًا.. أنا بموت فيكِ.. بس الموضوع دا محتاج بيات في الفندق أكيد.. طب هانقول إيه لأهالينا؟؟
- عيييييب.. دا انتِ زيزي.
- خلاص سيبي الموضوع دا عليا.. سلام دلوقتي.
- سلام يازيزي يا حياتي امووووووواه.

زيزي تفكر وتفكر، ماذا ستفعل حيال ذلك؟ اعتدلت على سريرها، ارتفع حاجبها الأيمن لأعلى واضيقت العين الأخرى، تداعب خصلة شعرها، كيف ستقنع صديقاتها؟

«**عزة لا تبحث عن المال فلديها الكثير واحتمال أن ترفض السفر، كارما يصعب عليها أن تبيت خارج المنزل، رقية أكبرنا سنًا وعقلانية تبحث عن فتى أحلامها أولًا، وما إن وجدته لن يمنعها شيء عن التقرب إليه، كيف سأبطل مفعول حماستهن تجاه الشباب**».

فجأة التقطت تليفونها واتصلت بمكتب لتأجير سيارة لموزين بسائقها، لتحضر لمنزلها فورًا، انتظرت دقائق في صمت، ثم قامت وفتحت باب غرفتها وصرخت صرخة عالية جدًا أفزعت أبويها من النوم، وسكان المنطقة كلها، هرع أبواها إليها فزعين بقلب مخلوع،

يعدوان إليها بأقصى ما عندهما ليعلما ما المصيبة التي حلت بها، فتفاجأهما زيزي بكلمتها:

ـ (**باكي**) ماتت.. (**باكي**) ماتت.. (**باكي**) ماتت يا ماما.

شاركتها أمها الصراخ.. أبيها يسأل عمَّن هي (**باكي**) من الأساس، فهو بعيد عن ابنته وحياتها.. أثناء الصراخ، تتصل زيزي بصديقاتها الثلاثة واحدة تلو الأخرى؛ لتسمعهن الصياح والنحيب المتبادل مع أمها، أوصلت المكالمات الثلاث إلى بعضها على طريقة الاجتماعات الهاتفية.. انخلعت بها قلوب الصديقات في الحال، وبدأن هن أيضا في الصراخ ورج قلوب الأباء والمناطق بالفزع بعد علمهن بموت باكينام المفاجئ.. اكتمل الفزع عند الجميع، فما يسمعنه ما فيه من شك.. لا يستوعبن موتها.

(**زوبة**) وأمها تصرخان من قلبهما.. تتجه إلى دولابها لتختار ملابس سوداء وهي تقول لصديقاتها:

ـ انزلوا.. انزلوا.. إحنا هانروح لها دلوقتي.

فزعت والدة عزة فقط من نومها ـ لأن أبيها يذهب إلى عمله والجميع نيام لا يوقظ زوجته أبدًا لأنه يُفضل المغادرة سعيدًا دون مشاكل صباحية ـ إنهارت معها من البكاء لأنها تعلم أن (**باكي**) كانت ستصبح عروسًا عما قريب، أيضًا من شدة كرمها وخدماتها اللا محدودة لصديقاتها، تعود عليهن وعليها بالنفع المطلق، فهي جديرة أن تحزن عليها.

أيقظت كارما والدتها فقط من النوم ـ لأن أبيها غائبًا عمدًا عن منزله في حفارات البترول لأربعة أشهر متتالية، منذ جاء إلى المنزل في الأجازة الأخيرة وشعر أنه غريب عن أولاده ـ تُعلمها بموت (**باكي**)

وهي في انهيارعصبي، تفتح مكبر الصوت لتسمع صراخ زيزي؛ فانهارت أمها أيضًا لفقدان ابنتها لصديقة عزيزة لن تعوض، تساعدها لارتداء الأسود للذهاب معهن إلى مكان توجدها.. لأنها أبلغتها أن باكينام وقعت بحادثة منذ قبل، وكانت ستذهب لزيارتها، وبالطبع قد ماتت على إثره.

رقية تبكي بشدة وأمها قلقة بشأنها لا تعترض طريقها.

اندفعن إلى الملابس السوداء.. أمهاتهن تُعدِّها لهن لترتدينها. تهدأنهن لأن كارما اُغم عليها من الصدمة، وعزة جرحت نفسها أثناء فتح الدولاب، ورقية كادت تسقط إثر تعثر قدميها عند هبوط درجات السلم.

اندفعت زيزي إلى الشارع تبحث عن الليموزين التي طلبتها، ركبت السيارة وتتصل لتُعلم صديقاتها أنها آتية لاصطحابهن، خرجن كلهن إلى الشوارع العمومية في انتظارها، تركبن واحدة تلو الأخرى، تسود الأجواء حزنًا عميقًا ودموعًا أكثر عند الالتقاء، زيزي تصمت، تجلس بجوار السائق تنظر إلى الأمام والباقيات في الخلف منهارات، حتى شعرن بطول صمتها وتماسكها الغريب فتماسكن هن أيضًا، ولكن طال الصمت واتجهت السيارة إلى الطريق الساحلي الدولي، ازداد القلق واندفعت الأسئلة فجأة:

- إيه دا يا زيزي إحنا رايحين فين؟؟
- زيزي ردِّي علينا.. ساكتة ليه؟؟
- يا زيزي إيه اللي بيحصل بالضبط.. ما تردِّي علينا.. فين (**باكي**)؟

تلتفت إليهن والحزن قد طار من وجهها، وتبدل بابتسامة خفيفة اندهشن منها، واعتقدن للوهلة الأولى أنها تفرح لموتها، ولكن رقية اعتقدت في مدى قسوة قلبها أن استغلت فرصة موتها لتخرج إلى رحلة ما جديدة بصحبتهن، فهذا أقبح ما تراه في إنسانة.

تقول كارما (**لزيزي**):

- إيه دا.. ماكناش نعرف إنك بتكرهيها أوي كده.
- (**ترد**) مش لو ماتت أصلًا..

انفعلن، ووجهن إليها الاتهامات والانتقادات على طريقة تفكيرها، وعدم هدايتهن إلى الحقيقة، تيقنَّ أن الموقف لم يعد كما اعتقدن، حتى وصلا إلى بوابة الإسكندرية الشرقية، حيث تنتظرهن باكينام بسيارتها، وحين رأينها تجلس داخل سيارتها، خرجن من الليموزين واندفعن باتجاه زيزي يضربنها، تلك التي احتمت في صديقتها المتوفاه باكينام لتدفعنهن عنها، أثار الأمر دهشة باكينام لما يفعلنه وما يرتدينه من سواد، إلى أن علمت بالحقيقة، وأخذن الطريق إلى شرم الشيخ ضحكا ونصرًا على الأهل.. تتناسين تأثير ما فطر قلبهن من الكذب، اعتذرت زيزي لاستخدامها هذه الحيلة في مقابل كسب عشرة آلاف دولار لكلٍ منهن؛ فازداد الإعجاب بذكائها في مقابل المال، وعدم رغبتهن في التخاذل تجاه مطلب باكينام لمساعدتها في إتمام صفقتها.

أثناء الطريق، شردن إلى لحظاتٍ تقابلن فيها مع شباب مرح طموح، لم يستطعن أن يتفوهن بعدم رغبتهن في مال في هذا التوقيت بالذات، واشتياقهن لشباب مختلفين، لا يريدن أن يفسدن الأمر الواقع اللاتي وقعن فيه الآن، فأي كلمة لن تفيد إلا الاعتقاد بسوء النية، قطع

اتصالهن العقلي اتصال على تليفون عزة بعد مرور خمس ساعات من السفر، (**فورا**) يتحدث إليها:

- حبيبة قلبي ازيك؟
- أخبارك انت إيه؟ «**ببرود**»تمام.. على ميعادنا النهاردة؟
- آه.. وماله.. على ميعادنا.
- مالك صوتك متغير شوية ليه؟
- لا أصل عندى ظروف كده.طب بقول لك إيه.. معاك ١٠ آلاف دولار سلف؟
- كام؟؟
- بقولك ١٠ آلاف دولار إيه كتير عليَّ؟
- لا مش كتير عليكِ أكيد.. بس كتير عليَّ.. أنا لو كانوا معايا ماكانش دا بقى حالي.إيه دا.. إزاي.. ولا حتى تعرف تتصرف فيهم قريب.
- ولا قريب ولا بعيد.
- طب بص يا شاطر.. روح شوف أمك عايزاك تجيب لها حاجة من تحت «**وتغلق الخط في وجهه**».

تضحك وتضحك صديقاتها، (**فورا**) أصابه الصمت والاندهاش، ينظر إلى الحذاء الجديد الذي اشتراه له أصدقائه من أجلها لتعجب به، ويغيب داخله حتى تخيل نفسه نعلًا قذرًا للحذاء، وهي تقف فوقه.

تفكر كل منهن، تتدبر، هل تجاري النهج الذي نهجته عزة، أم تداوي علاقة يجب أن تحافظ عليها إلى حين، ولكن المجاراة صداقة، وعدم المجاراة عداوة، تلقى في أنفسهن الريبة لبعضهن البعض، فهن

الباقيات لبعضهن، والشباب دخلاء فقراء، لم يكتمل الرد الوافي لدى كارما، وباغتها اتصال من صديقها الشاعر الجديد (**مدحت**):

- ألو.. كارما..
- ميكو ازيك عامل إيه؟
- بقالي يومين متلخبط.. مش لاقي كلام يعبر عن اللي جوايا.
- يااااه.. مش للدرجة دي.. «**تنظر لهن**»

طب بص بقى... أنا... «**يقاطعها**»إنتِ عملتي فيا إيه مش عارف؟؟

- يا عم أنا بقول لك...
- بلاش تقولي.. إذا كان اللي قولتيه لخبطني يومين.. أومال لو قلتي حاجة تانية.. هتعملي فيا إيه؟؟
- بقول لك إيه مابلاش الكلام دا عشان مابيدخلش عليا.
- هاثبت لك بللي أنا محضَّره لك كمان ٤ ساعات ونص من دلوقتي.. لحد ما أشوفك.

صمتت حزنًا للمصير القاسي التي كادت أن تقوله له، وترى أنه لا يستحقه أبدا، أيقظ فيها حنينا إلى مستقبلٍ تراه جميلًا بصحبته، تهيم لحظة ثم تتذكر آذان صديقاتها المنصتة، إذا اعتذرت له أو أغلقت الهاتف سيتصل بأحدى صديقاتها وستجعل منه أضحوكة ساخرة، تهمس في نفسها: «**يخرب بيت اليوم اللي اتولدت فيه.. أعمل إيه دلوقتي**»، اغرورقت عيناها، تصلَّب لسانها وكف يدها الممسك بالمحمول على أذنها، وجدنها صامته، التقطت رقية منها الهاتف وسمعته وهو يقول: «**دا انا أول مرة أكتب شعر رومانسي على إيدك**»، قالت له:

ـ مدحت أنا رقية.. بتقول لك يا ريت تفكك منها دلوقتي عشان مش فاضيالك بصراحة.. ويا ريت تفكك منها عالطول.. علشان مابتحبش حد بيحب على روحه.

وأغلقت الخط في وجهه.

تضحك باكينام وهي تقود السيارة، وتتبعها زيزي، الأخريات ابتسمن فقط، كارما تبتسم وهي تبكي، هي لم تحبه بعد لكن الحب التي تحلم به رأته من بعيد وهو يغير اتجاهه ويضيع، وحياة بائسة ستستمر.

صمت واندهاش من مدحت، عينان تتسعان وقلب ترتفع دقاته، وهو يكرر «**أنا بحب على روحي!.. أنا بحب على روحي!**»، حتى تخيل نفسه سائل بَوْلي يندرج في مرحاض عمومي يُصدر رائحة كريهة.

زيزي تسأل رقية لماذا لم يتصل صديقها بنكرياس، فأجابتها: مش عارفة شكله كده هو اللي قلبني.

ساعة أخرى وسمعن اتصال على تليفون زيزي من صديقها بوكسر، فقالت تعليقًا:

ـ «**توتو عضلات بيتصل.. عايز يطمئن على عصفورته.. عايز ينططها على دراعاته.. يالا بقى.. بالفلوس هاييجي أحسن منه.. خدي يا «باكي**».

وتعطي تليفونها لباكينام وهي تقود:

«**خدي ردي انتِ.. قولي له له أي حاجة**».

التقطته باكينام وردت فلاحقها اتصال على تليفونها أيضًا من صديقها (**زيزو**) فالتقطته زيزي بدلًا منها وردت:

ـ ألو.. أيوه يا أندر.. قصدى يا بوكسر.. أنا مش زيزي.ألو.. أيوه يا إيزو.. قصدي يا زيزو.. أنا مش باكينام.

«**أومال هيا راحت فين؟؟**».تنظر كل منهما للأخرى وتختلقا ردًا وحدًا:

ـ أصلها ماتت.. ورايحين العزاء.. البقية في حياتك.

«**هيا مين دي اللي ماتت؟؟**»لم تستطيعا كتمان الضحك، وفرت صرخاته عالية، فأسرعتا بإغلاق الاتصال.. سمع بوكسر وزيزو خبر الوفاة، وتبعه صرخات الضحك، فعَلِما أنهما وقعا في مقلبٍ وضربا على القفا، وخرجا عن نطاق الخدمة في فسحة اليوم هذه الليلةً، وهناك سبب ما تتضاحكن من أجله.

بعد صمتٍ طويل يحاول كل منهما أن يستوعب ما حدث، شعر بوكسر أنه يلهثٌ ولعابه يسيل مثل كلبٍ حقيقي، وزيزو «**قرد بصدرية**» مربوط من رقبته يتقافز أمامها يحاولً أن يستعطف إعجابها، اتصل الأصدقاء ببعضهم البعض، وتأكدوا من نفس ضربة القفا.

رسم الطريق أمامهن لوحة محيرة تهن في تفاصيلها امتزجت فيها الابتسامة البلهاء للسعادة المصطنعة بندم العودة إلى صفر الحب .. ظللن محدقات فيها حتى انتهى الطريق بشرم الشيخ.

لم تكن باكي وزيزي مهتمتين بصمت الأخريات اللاتي حاولتا في مرةٍ أن تكسراه.. وتجاهلت باكي ذلك التي ظلت ترسم أحلامًا لزيزى فيما يمكن أن تفعله ألوف الدولارات لحياتهن معًا.

مررن على أحد المولات لشراء ملابس (**آخر دلع**) يبهرن بها أحاسيس الضيوف بفاتورة جماعية تخطت التسعة آلاف جنيه.

ثم هبطن من السيارة أمام مدخل أحد المنتجعات الفارهة تلتقطن الصور التذكارية، ثم دخلن إلى قلب المنتجع وصالة استقباله، جزبن إليهن أنظار كل المحيطين نتيجة (**قفشات**) تلقيها زيزي وباكى، اضطر الباقيات مجاراتهما يحاول الجميع نسيان ما مضى كالعادة والاستعداد النفسي لما هو قادم.. فالاجتماع المغلق يتطلب الكثير من التركيز والتحضير والترتيب واتباع تعليمات باكي الحساسة لوفد من عدة جنسيات.

اتصلت بهن أمهاتهن ليطمئنن على ما جرى في الحادث الأليم الذي أدى إلى وافاه باكي، ينتابهن الحزن الشديد أثناء المكالمات، ردت كل على أمها، انتهزت زيزي الفرصة لتقنع صديقاتها بأن يحبكن القصة، وقالت لأمها أولًا وعلى مسامع الجميع" الحمد لله يا ماما الدكاترة قالوا إنها غيبوبة وفاقت منها على خير.. كانت حالتها صعبة و افتكروا إنها ماتت.. واحنا كلنا جنبها ومش ها نسيبها إلا لما نطمن عليها.. ومش أقل من يومين ما تقلقيش علينا.. إحنا قاعدين في شقتها اللي في القاهرة مع أهلها.

لا تعترض الباقيات أبدًا على نوع الكذبة، بل إنهن يُرحبن بأي منها لتخرجهن من الورطات بسهولة، فأبلغت كل منهن ذلك لأمها، سوى رقية التي تعتاد أمها الغياب في الرحلات الطويلة.

علم الشباب الخمس أن الفتيات لن يأتين في الموعد ولا يردون على الهاتف، عهد بوكسر لأصدقائه أن فتاة لم تجرؤ على هذا الفعل معه من قبل وأنه لن يمرر ذلك بسلام، تداولوا النقاش حول ما يمكن أن يعيدوا به كرامتهم المهانة، فلو كان لخلاف عادي مع الفتيات لتغاضوا عنهن، لكن الفتيات أنهين المكالمات مع كل من مدحت وفورا وزيزو

بشكلٍ غير لائق، بل فعلن بهم أضحوكة ساخرة جرحت مشاعرهم، صارحهم بنكرياس أن فتاته لم تنهِ علاقتها به بل ما زالت جيدة وهي (**رقية**) ويستطيع أن يتواصل معها لمعرفة أسباب هذه السخرية من صديقاتها، ولكن هاتفها مغلق الآن، قرر (**زيزو**) أن يبحث عنهن ليجمع أية معلومات، سأل نادل الكافية فقال له أنهن كن يجلسن كثيرًا على الكافية المجاور له، فاتجه زيزو إلى الكافية المجاور وعلم من نادله أن باكينام تعمل كمديرة لأحد محال الملابس المشهورة في وسط البلد كما أخبرته من قبل و أخبره باسمه، اتجه وأصدقائه إلى هذا المحل وعلموا من موظفيه أنها صاحبة المحل وأنها ليست موجودة وربما تكون قد سافرت إلى الخارج ولا يعلمون موعد عودتها قط.

ساور كل أم قلقًا وليس همًا، فبناتهن في موقف حرج كما أنهن للمرة الأولى يبيتن خارج المنزل، لكن حبهن وبناتهن لباكينام حطم أي قلق لهذا الاستثناء، يدعين من جام قلبهن أن يشفيها الله.

اطمأنت الأمهات ليومين ثم انقطعت جميع الاتصالات بهن فجأة، فساورهن القلق بل الرعب، اتصلت الأمهات بعضهن فوجدت أن أحدًا لم يتواصل مع ابنته، اتصلن بأم باكينام فوجدن أن رقم هاتفها قد تم تغييره ولم تعلم أيهن الرقم الجديد، ويومًا آخر وأكلهن الرعب، وساور كل واحدة منهن هواجس وخواطر قديمة زعمت أنها من أسباب اختفاء ابنتها المفاجئ، حاولت أن تتجاهله، وتعطي لنفسها أعذار مختلفة كي لا تكون المسئولة عن ذلك، تواصلن مع أزواجهن بعد مرور أربعة أيام لم تهتدين فيها إلى شيء.

من عرض البحر جاء اتصال لأم كارما يقول:

- أنتِ السبب.. منا قلت لك انتبهي للعيال شوية وسيبك من زفت المحاماه دا.. أنا ماليش دعوة زي ما ضيعتها رجعيها.. ولو جيت مالقيتش العيال بخير.. هخرب بيتك.

من أحد محال الأقمشة عاد ليقول:

- ها تكون راحت فين.. ما هي كانت جانبي في المحل وعيني عليها ليل نهار.. تربيتك ودلعك ليها اللي بوظها.. مش انتِ اللي خليتيها تبطل شغل وتقعد في البيت؟ بقت ماوراهاش غير المرقعة والمصاريف.

من عمله الحكومي فزع وأفرغ ما بداخله:

- يا دي المصيبة.. يعني طفشت؟ ما انا قلت لك مليون مرة بلاش تحبسيها في الأوضة وخلِّي البت تعيش سنها زي بقية البنات ما هي عايشة.. فضلتي تكتمي فيها لغاية ما هجَّت حرام عليكِ.. أنا هطلع على أقرب قسم وهعمل محضر.

قامت والدة رقية بعدّ بقية النقود التي تركتها لها ابنتها وتدعو من الله أن تعود قبلما تفرغ أموالها منها وتطلب من طليقها.

تحركت ثلاث محاضر للبحث عن والد باكينام للوصول إلى ابنته الخاطفة من وجهة نظر البوليس.

وصلوا إلى فندق شرم الشيخ فوجدوا أن الخمس فتيات قد غادرن الفندق في اليوم الثالث لقدومهن.

فأخرج لهم عامل الاستقبال مظروف وفي داخلة أربعة أوراق موقعة من الفتيات تفي بأنهن قد غادرن البلاد في عقد عمل مغري بكامل إرادتهن، وسوف يقمن بالاتصال بأمهاتهن في أقرب فرصة،

وتأكد الضابط من عمَّال الفندق أن الفتيات كن يمرحن معًا طوال الوقت ويلهين في أرجاء الفندق بسعادة وكانت جميع لقاءاتهن في صالة الاستقبال وعلى الشاطئ ثم غادرن الفندق في غاية السعادة.

صدم الخبر جميع الأمهات وأزواجهن في مقتل، وبعد أن استعان الضابط بكاميرات الفندق التي أثبتت صحة ما سمعه من معلومات حتى لحظة مغادرتهن للفندق، أغلق المحضر واعتبر ازعاج للسلطات، وأخبر أسرهن أنه يعتبر مغادرة للمنزل بكامل إرادتهن لأنهن لسن قاصرات ولم تثبت واقعة اختطاف قط، وأنه يعتبر ذلك نوع من التمرد.

ظلت الأمهات تبكين في غرفهن على إثر ما سمعنه من الضابط، نادمات تغرق كل واحدة نفسها في بحر من اللوم لا يعلمن ما السبب وراء هذه التصرفات المفاجئة من بناتهن، يتقربن من الله أن يعيد بناتهن سالمات ولكن...

لم يدركن أن اللوم لا يصح على سمكة تم صيدها، فالسمك الجائع الذي تم صيده من مياهه، إما أن يؤكل أو يعود إلى مياهه مرة أخرى لكن ميتًا وإن ظل داخل المياه لا يتوانى عن جمع الطعام.

اتصلت رقية ببنكرياس عبر الانترنت واعتذرت له عن الأسلوب غير اللائق الذي تحدثت به صديقاتها لأصدقائه كما اعتذرت لأنها سافرت خارج البلاد فترة غير معلومة.

أبلغ بنكرياس أصدقائه بهذه المعلومات وأضمروا في أنفسهم غيظا شديدا لهذ النوعية القذرة من الفتيات اللاتي تسعين وراء النقود، وبالطبع لم يستبعدوا منهن تقديم أية تنازلات حيال ذلك، فقرروا أن يعاملن أية فتيات تسعين للروشنة سيتعرفون إليهن في المستقبل بشكل

يشفي غليلهم، وأن يبتعدوا عن سذاجتهم وحماقتهم والتركيز على هدفٍ واحد فقط هو الروشنة والمتعة، لأن زيزو بسط لهم الفكرة من هدف الفتيات كافة من التعارف إلى الشباب ما هو إلا المتعة، وأن لا يقعوا في شرك الحب إلا لشغل الوقت، وتوصلوا إلى قرار أهم وهو أن يهتموا ببعضهم دون أن يكون مشروطًا بموعد مع فتيات، وأول ما بدأوا به هو نشر شعر مدحت السياسي على أوسع نطاق وإلحاق فورا بعملٍ مجدٍ يدر له نقودًا تكفي لشراء جميع متطلباته.

فتحت باكينام للفتيات باب الأموال على مصراعيه، فبعد أن عقدت الاتفاق مع الوفد الأجنبي الذي تطلب الاتفاق معهم ليلة طويلة من السُكر ورقص عزة المثير بقميص شفاف ألهب حواس الجميع، وأصبحوا يتبادلون قبلات ومشاعر منثورة وأعضاءًا غير مستورة، والذي أفضى في النهاية إلى ليلة حمراء فقدت كل عذراء سبب تمسكها بمنزلها، بل وهيبتها مقابل الدولارات والصديقات، وبعد أن أفقن الفتيات الأربعة وجدن أن باكينام لم تكن موجودة وقد غادرتهن ليلًا وحضرت إليهن في صباح اليوم التالي تعرض عليهن ألفين دولار فقط وليس عشرة، لكن وعدتهن بسلسلة من الألوف مقابل كل ليلية مشابهة بصحبة الضيوف في بلادهن أي يسافرن معهم، فلم تتردد زيزي في إقناع الباقيات وخاصة كل من كارما وعزة لأنهما من فقدتا هيبتهما حديثًا، وأنهما لم تعدا في حاجة إلى أسرهن بعد اليوم؛ فقد جاءت الفرصة ولا يجب تضييعها، فوجدت الفتاتان أنه لا مفر من السفر وانتهاز فرصة مغادرة جحيم المنزل، لأنهن في حالة العودة إلى المنزل سيزداد جحيم الانغلاق النفسي كما أنهما لن يهربا بفعلة البكارة وستكون

ملعونة بقية حياتها، فلم يأخذ قرار السفر في بالهما تفكيرًا طويلًا، في مقابل ذلك رسمت باكي أمامها الحياة الحقيقية التي سوف تفتح لهما قصورها وسياراتها الفارهة وأموالها الغزيرة بصحبة صديقاتهما، وأنهن في غضون عام واحد سيصبحن من صاحبات الملايين الدولارية التي سيضطر أمامهن أسرهن أن يتغاضوا عن معاقبتهن وسيسعدن بعودتهن إليهم في النهاية بل ومغفور لهن.

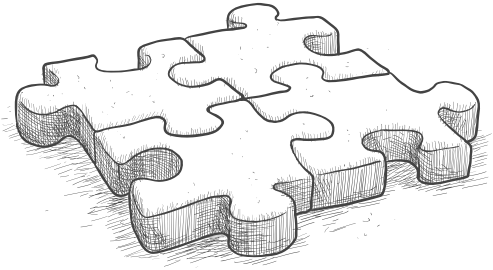

شرخ في الـ CD

كامل، خمسون عامًا، يمر بمنطقته الجديدة كل يوم عبر الزقاق الذي يسكن فيه، هذه المنطقة العشوائية التى تحفها القمامة ومخلفات البناء من جميع الجوانب، تتعثر فيها المارة وتزداد قبحًا يومًا بعد يوم.

يعود من عمله المزعوم مخترقًا الزقاق في الساعة الرابعة عصرًا، أي بعد فوات أذان صلاة العصر بوقت، يعتقد الجميع أنه موظف حكومي، كما أنه يحرص على العودة في أوقات عودة الموظفين.

دون أن يصعد إلى منزله. يجلس مباشرة على المقهى المجاور للمنزل، كالعادة ليسترح ويشرب الشاي في هدوء حتى ساعة الغروب. ينتظر صاحبه الذي يقابله على المقهى فقط، عم صبحى. يكبره بعشرة أعوام. قصير القامة، شعره قصير أبيض مجعد، نشيط نسبيًا رغم سنه. ليلعبان (**الطاولة**).

ثلاث سنوات منذ قدوم كامل إلى هذا الحي الفقير، متخفيًا وهو يتأمل ويتابع ما يجري حوله من سلوك الجيران، الذي أرغمه على متابعته.

حتى هذا العم صبحي منذ أن تعرف عليه منذ عام واحد فقط على المقهى، يحرص كامل أن يستمع إليه فقط ولا يبادله أية معلومات شخصية أبدًا، وإن اضطر لذلك، كذب وتجمّل ونسج واقعًا ليس حقيقيًا لحياته، حتى يظهر بحياة بسيطة ليس بها ما يثير الاهتمام.

كل ما يعلمه عنه عم صبحي ـ غير عمله الحكومي في أحد أركان القاهرة البعيدة ـ هو لحيته التي أطلقها مؤخرًا ونبتت بشكل غزير، وهي الآن طويلة سمراء على هيئة شيوخ المساجد.

بدأ عم صبحي منذ فترة قصيرة في سؤاله في أمور دينية بسيطة أحيانًا ومعقدة أحيانًا أخرى، لطغيان هيئته الدينية، فيشرع كامل في إجابته دون تردد، تصطبغ لغته بالعلم والثقة والإيمان، يريح من يسأله، متأكدًا من جهل المحيطين به.

تشبعه لذة الاستماع إلى الخصوصيات، فأخبار الحي كلها تروى أمامه على ألسنة أصحابها أو ناقلين عنهم، لم يتدخل فيما لا يعنيه، حتى يلجأ إليه بعضهم طالبين رأيه بأمورهم الشخصية، فينصحهم، وتتسلل الطمأنينة إلى قلوبهم تجاهه على مر الشهور، حتى اعتقد الجميع أن لحيته تنبت في أرض صالحة.

بعد لعب (**الطاولة**) مع عم صبحي وإلقائه خلالها بعض النصائح للبسطاء، وقبل أن يحين أذان صلاة المغرب، يحيّ الجميع ويغلق (**الطاولة**) بهدوء ويدفع ثمن مشروباته هو فقط ـ يعلم بذلك عم صبحى ـ ويغادر المقهى، مارا بين مقاعدها الخشبية المتهالكة في هدوء، ثم على قناة صغيرة من مياه المجارير تخرج من تحت كومة من القمامة يخطوها حتى يصل إلى منزله.

صعد درجات متكسرة يظهر منها أسياخ الحديد إلى شقته، قبل فتحه للباب يتلفّت حوله مرتابًا أن أحدا يتابعه، أسرع قليلا وهو يدخل ثم يغلق الباب خلفه برفق.

شقته مستأجرة صغيرة بها غرفتان ضيقتان إحداهما مغلقة تتكدس فيها (**كراكيب**) خاصة بصاحب الشقة، والأخرى يعيش فيها، تأكلها الرطوبة من كل مكان، الأرضية بها انحدارات تغطيها سجادة صغيرة ممتلئة بالأتربة والأوساخ، على يمينه (**الكنبة**) وهى سريره وجلسته وخزينته أيضا، على يساره ثلاجة صغيرة متهالكة بجوارها كرسى حمّام خشبى. تعلو أمامه نافذة خشبية صغيرة متكسرة، لا يفتحها أبدًا لأنها تطل على جيران ملاصقين.

من وإلى مسمار على الحائط خلع ملابسه وارتدى ملابس النوم الفضفاضة. جلس على ركبته، رفع غطاء (**الكنبة**) الصندوقي ليطمئن على كيس الأموال المتبقية لديه. الكيس به عشرة رزمات فئة (**المائة والمائتين**) جنيه. نظر للأموال. تحسسها براحة يده فتنفرج جبهته وكأنه يريد استشعار نقوشاها.

تذكر نفسه وهو يدسها في ملابسه ويهرب من العمارة الفارهة التى كان حارسًا للأمن على بوابتها. سحب منها ورقة واحدة فئة (**المائة**) وأغلق الكنبة بالقفل وعدل (**المرتبة**) من فوقها، يحرص على أخذها احتياطيًا ولا يفكها أبدًا إلا للضرورة، على نية إعادتها صحيحة بجوار زميلاتها، وضعها بحافظته الورقية بجوار خمسة جنيهات مؤقتًا إلى حين. لعله يجد أي عمل مناسب يغطي نفقاته.

تذكر سيره على كورنيش النيل أمام أحد الفنادق الراقية وبجوارها ماكينات للبنوك، كان يتابع حركة السحب عليها فطارت مائة جنيه من رجل دون أن يشعر فعبر الطريق والتقطها. استفاق. وقف ليضع حافظته بجيب بنطلونه المعلّق على المسمار، ثم تمدد فوق الكنبة ليغط في نوم نصفه هلوسات ونصفه عميق.

استيقظ رغما عنه كالعادة عند سماعه أذان صلاة الفجر، الذي بالكاد يسمعه لابتعاد المساجد حوله. اعتدل وذهب ليشعل النور. اتجه إلى دورة المياه المستترة بستارة قماشية سميكة قصيرة غير مستوية الحواف، غسل وجهه فقط عدة مرات تتخطى الخمسة ثم يخرج.

يعلم أن (**المسجد الزاوية**) بعيد عن المنزل وإلا اكتشفوا عدم صلاته، خاصة بعد إطلاق لحيته. يجلس على (**الكنبة**) يجفف وجهه ويحدق في الغرفة الكئيبة التى زادتها (**اللمبة**) الصفراء الوحيدة كآبة، مافيها من شيء يستدعي الاستيقاظ، يسحب الغطاء وينسل تحته منتظرًا أن يأتيه النوم مرة أخرى. سمع أذان الإقامة فأغلق عينيه رغما عنها ونام.

لم يطل إغلاقها وفُتحت عينه عند سماعها لنداء التسليم، أغلقها ففتحت فأغلقها ففتحت، استسلم لها وقام من نومته يستغفر الله العظيم مستاءً من قلّة النوم. لم تحن الساعة التى يذهب فيها إلى ما يحلو له من عمل. تذكر أن هناك بضعة دقائق يستهلكها في إعداد الطعام.

اتجه للثلاجة، أبعد عنها عصاه مفلطحة طويلة يسند بها بابها، ليفتحها، فينخلع عنها الباب وقد تناسى أن يصلحه منذ شهور. أسنده بجسمه وأخرج من داخلها بواقي أطعمة في طبق معدني، و(**حلّة**)

صغيرة بها (**طبيخ**) وملعقة منغمسة فيه. وضعهم خلفه على (**الكنبة**). أغلق الباب برفق وأسنده بالعصا.

جلس بجوار الطعام ينظر إلى حالته المتجمدة، نظر إلى مشعل الغاز وما يعانيه عند إشعاله في كل مرة فيعدل عن قرار التسخين، علاوة على استهلاك الغاز والكبريت، فهو اعتاد الطعام البارد، يقنع نفسه أنه نفس الطعام ونفس المضغ ونفس الهضم، فما النتيجة من التسخين سوى الخسارة؟ اكتفى بما أنفقه أمس من جنيه واحد فقط (**لرغيف الفول**) وجنيهان آخران لكوب من الشاي على المقهى.

أخرج الملعقة من الطبيخ وقام لغسلها من طرفها فقط حتى لا يطيل فتح الصنبور، لأن الحوض مكسور نصفه وتهطل منه المياه فتغرق الحمام كله وتزحف إلى الخارج. عاد ليتناول طعامه ولكن أزعجته رائحة كريهة، تفقد الطعام وما حوله فوجدها من كومة الغطاء على مؤخرة (**الكنبة**)، حركها واشتم تحتها فنفر وقد نسي أن يخلع جوربه أو يغسل قدميه أمس: «**أخ.. ما الذي سأرتديه إذن لهذا اليوم؟**»

لا يمكن أن يعطي يومًا آخر كفرصة لارتداء جوربه أكثر من أسبوع كامل مضى، فاليوم سيذهب إلى أحد الفنادق الراقية يبحث عن عمل والرائحة غير مدرجة في شروط القبول. أراد تقليل مصيبة الجورب فغسله بالماء فقط سريعًا، لم تكن النتيجة حميدة على الإطلاق وسرحت المياه بالرائحة إلى الخارج أيضًا، مر فوقها وخرج فألقاه على كرسي الحمام عله يجف. أكمل طعامه وارتدى ملابسه وجوربه المبتل وتأكد أن هناك مائة وخمسة جنيهات في حافظته وثلاثة جنيهات فضية وخرج في السابعة صباحًا.

مر بالزقاق الضيق والجميع في سكون تام. المحال المتواضعة مغلقة، نوافذ المنازل القريبة من الأرض مغلقة أيضًا، إلا ممن يستيقظون مبكرًا يتلصص عليهم خلسة بنظره.

خرج من الزقاق يسوّى لحيته وملابسه المتواضعة المستهلكة، مترجلا قاصدًا أحد الفنادق البعيدة عن منطقته وعن وسط البلد، والتى تحتاج ساعة ونصف بالمواصلات، كى لا يلحظه أي شخص يعرفه من قبل، بعد أن فكر في جميع الفنادق ومقار البنوك القريبة التى زارها من قبل، فضّل قطع الطريق سيرًا على الأقدام فبذلك يستغرق أربع ساعات ذهابًا فقط، يمر على عوالم وشوارع وأسواق وأزقة يلتقط منها أية فرصة رابحة تغنيه عن نفقات المواصلات: «**فهناك أربع ساعات تقريبًا للذهاب وأخرى للعودة منه.. وبذلك أكون قد قضيت ساعات عمل كافية تشبه ساعات العمل الحقيقى.. إلى أن أجد العمل المناسب**»

العمل المناسب في اعتقاده له مواصفات خاصة جدًا يصعب توافرها في كثير من الأعمال. لديه حماسة متجددة للسير لساعات حيث أنها تؤتي ثمارها أحيانًا:

«**ودون السير فيما سأقضي وقتي فأنا أمام الجميع موظف حكومي وعلى منزلة عليا وسط منطقتي الجديدة هذه، ويتمنى البعض أن يصبح أبناؤهم مثلي، فعليّ أن أكون قدوة حسنة**».

ترك ريفه المقفر وبهائمه وجراراته وطينته القذرة التى كان يحرسها لأحد الأغنياء بقريته، الذي فجّر داخله شعور بالحرمان والبغض من الأثرياء.

تذكر نفسه في شبابه يوم كان بصدد حراسة هذا الثرى، حيث اتيحت له الفرصة بسرقة حقيبة أمواله الصغيرة التى تحوي عشرة آلاف

جنيه من سيارته، قد استأمنه عليها وذهب لعقد إحدى صفقاته مع أحد التجار واصطحبه معه لأمانته، انتهز استئمانه وغياب صاحب المال عن السيارة وفرّ بالحقيبة مبتعدًا إلى حيث لا رجعة.

جاء إلى القاهرة وعمل بإحدى العمائر الفخمة لأكثر من عام، فاطمئن له جميع السكان، وهذا جل ما يصبو إليه، حتى سنحت له فرصة لسرقة كيس أموال آخر من أحد السكان الأغنياء، الذين استعانوا به في حمل حقائب ثقيلة إلى شقتهم، كان حرص الساكن على حمل كيس أسود صغير بنفسه، وبقية الأغراض يحملها أفراد الأمن. أصرّ كامل على حمل الحقائب الخمسة كلها، عل خطته اللحظية هذه تنجح ويلهي الساكن عن كيس نقوده، فهو اعتاد أن يراه يمر بكيس يأخذ شكل ما بداخله من أموال فهو تاجر كبير.

صعدا بالمصعد وشكر الساكن كامل كثيرا، مادحا فترة تفانيه في خدمتهم بأمانة وإخلاص. كامل سعيد بما ألقاه في نفوس سكان العمارة أجمعين، كي يتخلل بيوت الجميع ويصل إلى صيد ثمين، ويصبح هذا هو العمل المناسب له.

فتح الساكن باب شقته على اتساعه وأسرع إلى الداخل. دخل كامل بالحقائب فاختلق التعثر في قدميه وسقط بالحقائب أرضًا وهو يصرخ صرخة عالية، مما استجدى فزع الساكن وترك الكيس على أقرب (**ترابيزة**) وعاد فورا لمساعدته.

فكر كامل لأن يجعل الساكن يخرج عن رشده ويتلهف أكثر من ذلك، فجرح يده بسرعة في سلسلة مفاتيحه الملحق بها مقصفة صغيرة مدببة، فخرت الدماء ولطخت إحدى الحقائب. انشغل الساكن بالمساعدة وضمد الجرح منزعجًا من منظرها.

لحسن حظ كامل أن الساكن قرر العودة لسيارته لإحضار بعض العلاجات، وتركه كالعادة داخل الشقة بالإضافة لإصابته، وحين عاد لم يجد كامل ولا كيس الأموال، فقد استقل مصعدًا آخر وفرّ من العمارة إلى غير رجعة.

انتقل بعدها لهذه المنطقة الفقيرة النائية، هاربًا متخفيًا مطيلًا لحيته يعيش دورًا جديدا ويفكر. كيفما ينشر الطمأنينة في أهلها. وحيثما نشر الطمأنينة ما عساه أن يفعل بها، فهؤلاء الجيران والمنطقة بأجمعها فقيرة فقر العدم ولا رائحة لمال قط.

واصل سيره عبر شوارع القاهرة قاصدًا الفندق البعيد، عله يجد فيه عملًا مناسًبا أو فرصة يرى فيها نفسه، وقد مرت ساعتان سيرا ولم يصل بعد وتبقت ساعتان أخرتان. استراح قليلًا على مقعد لمحطة أوتوبيس بجوار أشخاص جالسين. التقط أنفاسه وهندم لحيته.

بفكر بما شغله طوال الطريق لماهية الطريقة التى يجمع بها الأموال من منطقته الفقيرة تلك، هذه المعضلة التي لم يجد لها مخرجًا طيلة أعوام ثلاث.

صمتَ... وفجأة، انتفض واقفًا انتفاضة أفزع بها الجالسين بجواره وكأن ثعبانًا قضمه. ظل يضحك ويقول «**وجدتها وجدتها**»، مادحًا رياضة السير التى تختلق الأفكار.

لم تسعه الفرحة وهمّ باستكمال المسير حتى وصل إلى الفندق غير مكترث بوجود عمل مناسب له أم لا، فقد التقط الفكرة التى طالما فكر فيها واعتقد أنه من المستحيل أن يستفيد من هذه المنطقة الفقيرة عديمة المال أبدًا. فكرة ستجعله غنيًا حتمًا. وهو قد ألقى بما

لديه من شِباك مسمومة في قالبها الوردي لدى الجميع منذ زمن، تدعى الطمأنينة.

لكن الأفضل أن يجد عملا هنا أيضًا فالبحر يحب الزيادة. دخل من بوابة الفندق مبتسمًا يسأل عن عمل كفرد أمن. نظر إليه أحدهم بتفحص. اعتقد كامل أنه مسئول فاستزاد لوجهه ابتسامًا، وبعد دقيقة، أحاله الشخص إلى صالة الانتظار وهذا ما كان يتمناه كامل، التقط أنفاسه وظل يتابع رواد الفندق من الزبائن الأغنياء في تصرفاتهم وجلستهم عله يجد عملًا مناسبًا بينهم، يلتقطه ويفر.

سعد بالفندق لكثرة العمّال فيه وتمنى الالتحاق به، بطول الانتظار وجد عمّال النظافة يلتفون حوله مندهشين من الرائحة التى احتاروا لمصدرها لينظفوها، حتى علموا أنها من عرقه وحذائه العفن، فجذبوه بالقوة وألقوه خارج الفندق، مندهشين من رائحة الشيخ النفرة هذه على عكس المعتاد من الشيوخ، فغادر دون انتظار الرد، واستعاض عنها بمتابعة ماكينات الصرافة الآلية القريبة منه قائلا: «**ليت حظي يصيب مثل المرة السابقة**»

تلك المرة كان قد انتظر فيها أمام ماكينة الصرافة، فوقعت ورقة إيصال عملية السحب من شخص، فالتقطها ووجد أن صاحبها قد قام بسحب تسعة آلاف جنيه، ووضعهم في حقيبة يده. تتبع الشخص حتى دخل وسط الزحام ففتح حقيبته وسرق منها الأموال وابتعد وقال لنفسه: «**بهذه أكون قد تخطيت المائة ألف**».

ولكنه لم يسترح لطريقة السرقة لأنه لم يفتح حقائب من قبل، وخوفه الذي تملكه وقتذاك، فهو يعتاد على محض الصدفة أو أن ينسي

أحدهم الحقيبة في مكان ما. فرحل من أمام الماكينات أيضًا مستعيضًا عنها بمخططه الجديد الذي سيثريه بلا شك.

إحساسه بالجوع والإجهاد والتعرّق، يقضي عليهم بتناول (**رغيف الفول**) من أي عربة فول يمر عليها خلال طريقه، راضيًا بالجنيه الذي ينفقه مقابل ذلك طوال اليوم، والجلوس تحت أي ظل ليلتهمه.

وصل منطقته أخيرًا بعد عودة استغرقت أربع ساعات لا يعانيهم أبدًا، هضم رغيفه في بطنه، وفكرته الجديدة في عقله، اتجه مباشرة إلى المقهى. متحمسًا منتظرًا عم صبحي محاولا إخفاء السعادة التى أصبح عليها منذ أن اتته الفكرة، وهو يفكر كيف سيبدؤها وما سيقوله. حيّاه جميع الجالسين على:

- صبّح يا شيخ فؤاد..

غير نافرين من رائحته التى تطغى عليها رائحة المكان. (**فؤاد**) هو الاسم الذي أطلقه على نفسه منذ قدومه للمنطقة، وبطاقته الشخصية يحرص بالطبع أن أحدًا لن يراها مطلقًا.

أتى عم صبحي في موعده شغفًا ليبادر الشيخ فؤاد بموضوع أراد أخذ رأيه فيه منذ بضعة أيام لكن منعه التردد، حتى تأزم الموقف لديه، ولم يجد أحدًا أكثر معرفة بالدين ولا أطول لحية من الشيخ فؤاد فقال مرتبكا:

- بصراحة يا شيخ فؤاد.. عايز أقولك على مشكلة ابني بس خايف اظهر لك بمظهر سيء أو حتى بخيل
- قول يا عم صبحي من غير تردد.. احنا عِشرة يا راجل
- ابني ظهرت عليه عادة سيئة جدًا مش عارف جتله منين..

- نغّصت علينا حياتنا أنا وأمه واخواته.. مش عارف امنعه منها، وقلده اخوته الصغيرين.

شجّعه الشيخ فؤاد على الاسترسال على قدر المستطاع، تغمره الفرحة، يقول في نفسه : «**يالا عجب الأقدار التي تلقي لي بالفكرة الجهنمية وأيضًا تنفيذها في نفس اليوم.. إذن فالفكرة لى وأنا لها**»، قال عم صبحى:

- يا شيخ كل ما أمه تنتهي من تجهيز الأكل وقبل ما ناكل مع بعض.. يخطف الحلة ويدخل بيها أي أوضة ويقفل على نفسه الباب وياكل منها لغاية ما يشبع.. وبعدين يفرّغ بعضها في كيس بلاستيك صغير ويرميه في أى درج أو دولاب عشان ياكله في أي وقت يجوع فيه.. لأنه بيكره يقول لأمه أنه جعان.. حاولت تعطيل ترابيس الأوض كلها راح دخل الحمّام.. ومش عارف اعمل إيه في المصيبة الغريبة دي يا شيخ!

اندهش الشيخ فؤاد من هذا الابن فهو لم يسمع بهذا السلوك من قبل، ويحتار في كيفية إبداء النصيحة له، قال في نفسه: «**بداية القصيدة كفر**»، فهو يخشى أن تتعقد تنفيذ خطته بتعقيد ما سمعه.

تدخل أحد الجالسين في المقهى كعادة أي مناقشة تدور فيها، وأعلن عن تأييده لعم صبحي وقال أنه وجد ابنه دخل المطبخ وظل يأكل من الحلة بسرعة قبلما تأكل بقية الأسرة، فعاتبه معاتبة عادية، ثم كررها ورأته أمه وأخوته البنات بعد ذلك، ولم يستطيعوا تفسير هذا السلوك أبدا. كما قالا للشيخ أنهما لم يبخلا على أطفالهم بأى شيئ في

الحياة ويأتون إليهم بكل ماتشتهى الأنفس وبكميات هائلة لا تدع لهم الفرصة للجوع حتى.

استمع الشيخ فؤاد لهما وهو ينظر خلسة إلى البيوت المتهالكة بنوافذها المخلوعة، يعلم أن الجوع هو سبب ما يحدث لأولادهم ولا صحة لتلبية احتياجاتهم أبدًا ولا حتى الأساسية منها، سرح الشيخ فؤاد لوهلة ثم استفاق وأراد صفعهم بالحقيقة أمام الجميع، بأن هذا السلوك نابع من الحرمان الذين تربّوا فيه، ولكن عدل عن رأيه وشعر بأنه سيفقد شعبيته من الفتوى الأولى، ولكي لا يشرد عن خطته، قال للجميع بفصاحة:

- اسمحوا لي أن أسألكم سؤالًا..
- اتفضل يا شيخ..
- هل أولادكم في مراحل عمرية قريبة..؟
- أيوه... أيوه يا شيخ
- هل هم يدرسون في مدرسة واحدة..؟
- آه.. لأنها مافيش غيرها في المنطقة
- إذن كيف تتعجبون من سلوك أبنائكم وأنتم لستم المتحكمين في عقولهم؟!

ثار الجميع فرحين بالسبب الغائب عنهم قائلين:

- الله الله عليك يا شيخ.. كلامك صح.. تلاقي السم الهاري اللى بيقولوه لهم في المدرسة.. شجع العيال على الأنانية والطمع..

قاطعهم عم صبحي وسأل:

- ممكن المدرسة تعمل كدا يا شيخ؟

رددوا مأكدين:

ـ واكتر يا عم صبحى.. أي والله.. طب دي العيال بيطلعوا من بيوت أهاليهم محترمين

ـ وأول مايدخلوا المدارس تحس الواد عايش في الشارع..

قال آخر مندفعًا:

ـ أنا مش هاسكت وهاروح المدرسة أعرّفهم شغلهم

رددوا بحماس زائد:

ـ وأنا معاك.. وأنا معاك

نصر متوج بالولائم شعر به الشيخ فؤاد من أول ردة فعل لكلماته الفصيحة على أذان المستمعين. هدّأ الجميع الذين أضحوا يشكرون له توعيتهم بما يجرى خلف ظهورهم بالمدارس، ثم شرعوا في إكمال اللعب وشرب الشيشة، ومنهم من غادر المقهى إلى منزله فرحا بما وجده من سبب غائب عنه ليخبر زوجته.

اعتدل الشيخ فؤاد وعم صبحي في جلستهما. انتهز الأخير الفرصة وأراد استشارته في موضوع أكثر خصوصية بعدما شهد براعته في فهم الواقع المحيط. همس بصوت خافت:

ـ بقولك إيه ياشيخ فؤاد.. كنت عايز آخد رأيك في حاجة.. بس بالله عليك.. كأني ماقولتش حاجة.

اقترب منه بشغف قائلا:

ـ لا تقلق.. وخيرًا بإذن الله.. أنت أخ عزيز يا صبحى.. أؤمر..؟

طبع رد الشيخ الطمأنينة في قلبه، فحكى له عما يؤرقه في أموره الزوجية الخاصة. يستمع له الشيخ بإمعان مدركا أن الشكاوى متشابهة في أحيان كثيرة بين المتزوجين، كما أن فتواها معروفة ونصائحها

سهلة، على عكس التى خرج منها بأعجوبة الآن. وهو يتلذذ ويستمع، ويظهر على وجهه الشفقة والمشاركة الوجدانية لهذا المتألم المسكين صبحي، مؤكدا بأنه مر بنفس المشكلات تقريبا في زواجه ـالذى لم يحدثـ، وكيفية تغلبه عليها بسهولة وبساطة.

لكنه ألقى إليه باحكام قاسية ليس بها من رحمة على الجنس الآخر، مستندًا في فتواه على خبرته المعدومة بأمور الدين، وأيضًا الزيجات التى اقنع بها عم صبحي بسهولة، مدللا بأيات من القرآن الكريم، يتذكر منها المعنى، لا النص، لتخدم غرضه الحواري. وجد عم صبحي أن الشيخ ينصحه بالتعدى على زوجته بالضرب والجلد والتهديد بالطلاق إن لزم الأمر، بل و(**الشتم**) المفتري على قول الله الصحيح (**واهْجروهن**)، حين قال له مبيناً مفسرا:

- يا أخى صبحي (**واضربوهن واشتموهن في المضاجع**) لأن الضرب يا اخى لا يأتى مفردا أبدا، وأن عصرنا الحديث الدنس هذا، لا يوجد به من يضرب وهو صامت، فلابد وأن تصحبه بعض الشتيمة أو الألفاظ الرقيقة الودّية.. التي لا تخدش حياء ولا تذهب بكرامة.

لجزالة أسلوبه اعتقد عم صبحي أن حديثه صحيح، واعتقاده الشخصي بجهله في مسائل الدين بوجه عام، متعجبا من مدى تطور الدين لمواكبة العصر الحديث وتفهّمه لضيق خلق المجتمع. حتى اقتنع صبحي وقال في نفسه: «**يالى من محظوظ أنى قابلته، لم أكن لأعلم أبدا أنهم أحلّوا الشتيمة الرقيقة لتفرّغ غضب الرجال، يا لهم من علماء دين يقدّرون المعيشة الضنكة، ويا له من دين يتطور مع كل الأزمان**»

قطع الشيخ شروده قائلًا:

- كلامي صح.. ولا أنا غلطان يا صبحي يا خويا
- **لالالا**.. غلطان إيه.. ربنا يقدرنى وانفذ نصايحك ياشيخ.. ادعي لي يا شيخ وحياة النبي
- يا رب يهدي سرّك ويجعلك من القادرين
- تعيش يا شيخ.. كمّل لعب كمّل

دخل الشيخ بالمناقشات قلب عم صبحي وأحبه حبًا شديدًا. أغلق الشيخ الطاولة، أصر عم صبحي على دفع الحساب هذه المرة قائلا:

- والله ما يحصل.. ربنا يقدرنى وارد لك جمايلك يا شيخ.

خرج الشيخ فؤاد من المقهى قاصدًا منزله. تبرق عيناه من كبت الفرحة، زامًّا شفتيه لردع الضحك، حتى يفرج عنهما في شقته. تبادلت الآراء في المقهى بعد مغادرة الشيخ في مدحه وصواب بصيرته وخلقه المشهود منذ أعوام.

وصل إلى شقته. خلع (**الجاكيت**) وأرجحه مرتين في الهواء من فرط سعادته لبدء جزء من مخططه، وهو نشر الفتاوى للمحتاجين ثم تخرج منهم الأموال برضائهم فيما بعد. جلس على الكنبة يتحسس محفظته، فتحها فوجد نقوده (**المائة والخمسة جنيهات**) كما هى فازدادت سعادته مادحًا السير على الأقدام ويمجده، لأنه وفّر النقود وأتى بالأفكار التى طالما غابت عن هدايته:

«**لماذا لم أر في هذا الحي أموالا طائلة من قبل؟ تخرج برضاهم وكانوا لن يخرجونها رغما عنهم أبدًا، لم يفلح الصمت والانطواء، ولا التصنّع بأي شيء في فقر مدقع مثل هذا، سوى الاحتكاك والاستماع**

والتعايش وحل المشكلات، حتى أنشر نصائحي، ويا حبذا ببعض من فك الأعمال، يا سلام، ثم اطلب منهم ما يحلو لى ثمنا لها، هئ هئ هئ يالذكائى، وثقوا فيّ وفي حكمتى وصواب بصيرتى، لابد من حرصى على أن يكون ذلك في محيط هذه المنطقة فقط، حتى لا يفضح أمري، أو أتقابل مع من يبحثون خلفي، فأنا أمامهم حافظًا القرآن.. وأقوالي إما مأثورة على ما أتذكر، وإما نابعة من خبرتي»

تذكر القرآن الذي لم يفتحه مطلقًا منذ سنوات طويلة، فقال بصوتٍ مرتفع:

ـ آه صحيح.. أنا نسيت.. القرآن

ثم في نفسه تذكرا سارحًا:

«حفظت أجزاء كثيرة منه منذ كنت طفلًا، هئ هئ.. هذا مصدر آخر لكسب العيش.. الله عليك، فالله جعله لنا هداية ورزق، وكل سبل الحياة فيه، نعم سأراجع على ما كنت أحفظه في صغري وأقرأ به في المآتم وعند القبور.. لا ليس ضروريًا عند القبور، فالأموات قد ماتوا ولن يدفعوا لي شيئًا كما أحيائهم بخلاء، سأكتفي بالمآتم فقط، فيها أجر وجلوس وأنوار ومشروبات ساخنة وأحيانًا أطعمة، فأنا مسرف وأريد أموالا، اخ خ خ.. ولكني أحتاج إلى ملابس أنيقة تليق بشيخ مقرئ في عزاء، ليس لدي المال لهذا، مالي لي وليس لاستغلاله بالمظاهر، العمل..العمل.. هو الذي يأتي لي بملابسه، لا أنا من يأتيه بملابسه، ما شق له قلبي أمس عندما أخرجت ورقة المائة جنيه.. من المائة ألف التي أتكئ عليها في شدائدى، أي نعم هي في محفظتى، ولكن خرجت من خزنتها».

ما إن تذكر المبلغ المتبقي لديه، نظر نظرة خاطفة إلى باب الشقة والنافذة الخشبية وتأكد من غلقهما حتى لا يسمح لأحد من الجيران أن يتلصص عليه حين يتذكر أمواله.

وقف فجأة وحاول فتح الكنبة من تحته، متأكدًا من إحكامه لغلقها، فجلس مستريحًا غير مضمر أن يجرح بقية الأموال، يتمنى إعادة ورقة المائة من حافظته إلى الخزينة التى اقشعرت لها بدنه حين أخذها، فما بال أوراق أكثر تخرج إلى الدنيا لأي سبب تافه مثل ملابس جديدة أو حتى طعام.

التقط المصحف من فوق الثلاجة، أزاح عنه التراب، وظل يحفظ ما قد نسيه منه، وبحلول منتصف الليل طرق بابه عم صبحي متسارعًا:

ـ افتح يا شيخ فؤاد أنا صبحي

فزع، فهو غير معتاد على هذا القلق، فتح له فتحة صغيرة من الباب غير مرحب به. اعتذر له عم صبحي لإزعاجه في وقت متأخر ولكن الداعي أكبر قائلا:

ـ كنت سهران مع (**حيدر**) جاري في شقته.. سمعنا بنته الصغيرة بتصرخ جوا أوضتها ومش عارفين ندخل لها.. كسرنا الباب.. لقيناها مرمية على سريرها وماسكة عينيها وبتصرخ من شدة الألم، والنبى يا شيخ تعالى وطل عليها

لمح صبحي المصحف بيده فقال:

ـ الله يفتح عليك يا شيخ.. كنت سهران بتقرأ القرآن.. الله يجعلك من أولياء الله.

تذكر الشيخ أن المصحف ما زال بيده فسعد بذلك. اعتقد فورًا أن المصحف بدأ في جلب الرزق، نظر لعم صبحي وامتعض امتعاضة خفيفه ثم أخبره:

- خير.. خير بإذن الله.. انتظرني

خرج معه بالمصحف وذهبا إلى منزل جارهم (**حيدر**). دخلا إلى غرفة الابنة، كانت تحيط بها إخوتها البنات ووالديها، أفسحوا له الطريق لرؤيتها، فوجدها الشيخ بعمر يقارب الثمانية عشر عامًا ولا تستطيع رفع يديها عن عينيها، يأمر الجميع أن يتركاهما ماعدا أبوها فقط، فخرج الجميع.

تفحص الغرفة فرأى أن لديهم جهاز كمبيوتر، اقترب منه، وجد تعرق يبلل وسادة تعلو الكرسى كانت تجلس عليها، استنتج أن الأسباب شبابية منحرفة أو ربما أفلامًا مخلّة، بادره (**حيدر**) قائلًا بخيبة أمل:

- ألحّوا علي سنين عشان اشتري لهم واحد وأنا مش بحبه والله..

رد الشيخ بحزم وغضب:

- هذا البلاء هو السبب، وأنت مخطئ يا أخ (**حيدر**) لإحضاره في وجود بناتك، لا بد وأن تتخلص منه فورا

استرجع (**حيدر**) ما قاله له عم صبحي عن هذا الشيخ وبركاته، ولا يجب رفض طلباته أو مخالفة نصائحه، فقال:

- وماله.. اتخلص منه مافيش مشكلة بس إيه السبب؟
- هذا داء يصيب العين والقلب ويفسد الصالح ويحبب الطالح حبًا شديدًا والعياذ بالله، وإن استمر عندك طويلا.. ينتهي الحال ببناتك إلى الجحيم.

- أعوذ بالله... يغور في داهية من هنا

(**حيدر**) غير مدرك لأخطار الكمبيوتر الحقيقية ولم يسمع بأن أحدًا تحدث عنها من قبل، غير أن بناته أردن تقليد أولاد أخيه فقط.

نظر الشيخ إلى ابنته المستلقية على السرير، حاول أن يجعلها ترفع يديها عن عينيها فلم تستطع ففتح المصحف، اصطنع اختيار سورة معينة ليقرأ منها، واضعا يده على رأسها، وبمتابعة القراءة هدأت الابنة بعض الشيء.

رفعت يداها عن عينيها التى بدت شديدتا الاحمرار، أمر على الفور بإحضار كمادات شاي دافئ وضمدها به، وبعد دقائق رجعت لما كانت عليه.

فرح الأب فرحًا شديدًا لمداواة ابنته، ولم يفكر أبدا أنه إن فعل ذلك بدلًا من الشيخ لشفيت أيضًا، ولكن اعتقاده ببركات الشيخ أعمى عقله.

رغب كل منهما في ألا يتكرر هذا الداء مرة أخرى، فأوصاه الشيخ بالتخلص من هذا الجهاز فورًا، بل وعدم أخذ ثمنه إن باعه، وأن يستعيض الله فيما أنفقه عليه فداء لبناته. فاقترح الأب إعطاءه لابن أخيه. فعارضه الشيخ بقوة وحذره من ذلك الفعل قائلا:

- إن أعطيته لابن أخيك سينتقل إليه الداء، وإن فكرت طويلًا وغاب عندك، سينتقل الداء إلى بقية بناتك، ولن نسيطر على الوضع أبدًا، فتخلص منه فورًا، أو أقول لك.. سآخذه معي لاتخلص منه بطريقة آمنة وشرعية، ولا يتأذى منه أحد مرة أخرى.

تخيل (**حيدر**) الوباء يدمر بناته ويَضيّعهنّ كلهن متألمات على السرير وعلى الأرض، فلم يتردد في حمل الجهاز مع عم صبحي وسارا عائدين خلف الشيخ إلى منزله.

أوقفهم أمام باب شقته لا يسمح لهما بالدخول، فوضعا الجهاز أمام الباب برفق. ودّعاه عائدين ذاكرين أفضاله وبركاته. يحمدا الله على تخلصهما من الجهاز في الوقت المناسب.

دخل (**حيدر**) منزله فوجد بناته الثلاثة يبكين، فطمئنهن أن أختهن ستصبح في خير عن ذي قبل، ولم يعلم أنهن يبكين على الكمبيوتر نفسه ومدى عشقهن له.

فرحة فؤاد عارمة بما حصل عليه من أجهزة حديثة مجانًا بالفهلوة. فالرزق يتوال بصحبة المصحف. ولابد أن يجتهد في التركيز على الأعمال التي لا تخلو منه.

حمل الكمبيوتر إلى ركن ضيق بجوار الثلاجة، فوق كرسي الحمام. يفكر أن يسأل غدًا عن طريقة تشغيله عند متخصص ما بعيدًا عن شارعه، بدّل ملابسه، نظر للثلاجة، تذكر أنه قد أكل بالأمس، فتناول زورق المياه المغطى بقطعة خشبية وشرب منه لدقيقة تقريبًا حتى سدّ جميع فجوات جوعه إلى الصباح. ثم تحسس سريره وانكب فوقه مغمضًا محاولًا النوم.

ابنة مستلقية. جهاز كمبيوتر. رجلان يحملانه. ازدحام بالغرفة. قراءة بالمصحف. دق مسرعًا على الباب. خوف على الأموال. النظر للنافذة. محاط بالجالسين. دقات الطاولة. التحدث بفصاحة. دفع الحساب للقهوجى. فتح خزينة الكنبة. السماء تمطر أموالا.

–

استيقظ متأخرًا في اليوم التالي. ارتدى ملابسه وخرج في العاشرة صباحًا، أسرع الخطى ناظرًا إلى الأرض محاولا عدم لفت الانتباه إليه، فالزقاق امتلأ بالمارّة، السكان فتحت نوافذها، انتشر البائعون على الجانبين، خرج إلى الشارع العمومي، هدأ من خطوته ليبدأ رحلة جديدة في البحث عن عمل يدر عليه أموالًا إضافية.

قصد الأحياء الشعبية غير الملاصقة لمنطقته، باحثًا فيها عن دار مناسبات أو شادر يقام لمأتم، فقد حفظ بعض الآيات ليلة أمس، والترتيل يعرفه والصوت متوفر. مارًا بالحي الشعبي الأول ومنه إلى أحياء أخرى متفقدًا بعناية.

أخيرًا وجد عزاءً يقام بجوار مسجد زاوية، تحمّس ودخل إليه يعرض نفسه كمقرئ مآتم. فوجئ أن صوت المقرئ نابع من مسجل كاسيت، فقابله شيخ مجتهد يدير الزاوية، الذي أخبره بندرة إقامة المآتم في هذه المنطقة لضيق مساحتها «**فالعزاءات هنا تقام في المنازل**»، أو أن عليه التوجه إلى المسجد الكبير فهو كثير المآتم لاتساعه.

وافق فؤاد وقبيل أن يغادر سأله دون استحياء لكي يطمئن على مقدار الأجر الذي سيحصل عليه.

ـ وما هو مقدار الأجر في قراءة الليلة؟ فإنك تعلم ضيق الحال وغلاء الأسعار.

ـ خمسون جنيهًا تقريبًا.. والله أعلم

شعر بسعادة لأنه سوف يعيد الورقة فئة المائة إلى خزينتها عما قريب، متوجهًا إلى المسجد الكبير. قابل في طريقه شيخًا لحيته بيضاء طويلة جدًا يمر بجواره، أوقفه وبادر بالسلام، فرحّب به الشيخ ترحيبًا مبالغًا مبتسمًا وكأنهما أصدقاء، قائلًا:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أخي في الله..
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. هلّت البركات أأمرنى يا أخي..
- الأمر لله وحده.. ألا تعلم يا أخي أين دار المناسبات هنا؟ فأنا غريب وابحث عن واحدة
- ولماذا دار مناسبات يا أخى؟.. أأصابك مكروه أو شخص لديك توفي..؟
- لا ولله الحمد.. ولكن أردت أن أقدم لهم نفسي لأني مقرئ وأريد العمل.. وكما تعلم يا أخي.. لا يسعنا أي من مجالات العمل الدنياوية الأخرى.. أنت تعلم مقدار الفتنة فيها
- أعلم بارك الله فيك.. ولكن أى عمل حلال يفى بالغرض.. الحلال كثير أيضا
- أعلم.. ولكني لا أجد فيه نفسي، وانفر سريعًا إلى الله بعدما أرى طبائع الناس وتكالبهم على المال مضيعين حقوق بعضهم البعض.. وأستريح بالقرآن
- جزاك الله خيرا.. فالفتن والموبقات استشرت إلى حد الوباء، لكن دار المناسبات بعيدة عن هنا كل البعد، وإن أراد أهل المنطقة عمل عزاء أقاموه في منازلهم أو أقاموا له شادرًا صغيرًا وكان الله بالسر عليم
- اااه.. يظهر أني سأعود لأولادي خالي الوفاض وبخُفيّ حُنين
- ألديك أولاد؟
- ستة

- ستة أولاد.. ما شاء الله ولا قوة إلا بالله.. يظهر أن ظروفك ضيقة الحال فعلا.
- جدًا يا شيخ
- إذن.. انتظر

تلفّت حوله ثم جذبه من يده وتوجه ناحية الشارع العمومي الذي يؤدي إلى أحد الجوامع الكبيرة، واستطرد:

- فى هذا المسجد سنجد لك ما يعينك على أولادك بإذن الله.. فادع بالخير.

فبادر فؤاد بالدعوة قائلا:

- يا رزاق يا كريم.. ارزق من لن تنضب عنده نِعمك
- ارزق من لن تنضب عنده نِعمك؟
- هذه دعوة جديدة وجميلة يا شيخ فما اسمك؟

بدون تردد قال:

- أخوك الشيخ ياسين
- فتح الله عليك وزادك من علمه يا شيخ ياسين
- وأنا أخوك في الله الشيخ عمر.. أنا استرحت لك كثيرًا وسأبذل قصارى جهدي لتنال عملا مناسبًا

وصلا إلى بوابة المسجد الكبير. دخلاه. سلّم الشيخ عمر على أفراد يعرفهم، متجهين مباشرة إلى غرفة إمام المسجد (**الشيخ أمير**) دق بابه وفتحه، استقبله الإمام بحفاوة:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. كيف حالك ياشيخ أمير؟
- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. كيف حالك يا شيخ عمر.. فينك يا راجل؟

- لن أطيل عليك فقد حانت صلاة الظهر.. أُقدم لك أخي في الله الشيخ ياسين.. يضيق به الحال ويبحث عن عمل كمقرئ أو ما شابه.. لأن لديه ستة أولاد ويشق عليه أن يعود إليهم بدون عمل.

انزعج الشيخ أمير وظهر ذلك على ملامحه:

- وكيف ذلك؟ لن يصلح لنا الله أمورنا إن لم نصلح لأخ محتاج أموره إن استطعنا..

نظر الشيخ ياسين إلى الأرض خجلًا قائلًا:

- وسّع الله من تقواك وأحاطك بها في الجنة بإذن الله

وقال في نفسه «**ما أجمل ديننا الحنيف كرمه زائد وخُلُقه في رفعة ويسر**»

رد الشيخ أمير:

- الله يفتح عليك.. يا لها من دعوة جميلة.. كما يظهر عليك التقوى والورع.. اليوم بإذن الله سيتم تسجيل اسمه في كشف المقرئين التابع للمسجد وسنحتاجه بالتأكيد في القراءة، فقط اترك لنا الاسم والتليفون ونكون على اتصال بإذن الله
- ليس لدي تليفون.. ولكني سآتي لأصلى الظهر من كل يوم ولا تكون هناك مشكلة اتصال
- عظيم وتشرفنا بك يا شيخ ياسين.. ولكننا لم نُدردش لم تخبرنى أين تسكن وأين موطنك الأصلي وهكذا؟

فاجئه السؤال وتردد قبل الرد، فهذا هو السؤال الذي يخشاه دائما وبسببه قام بتغييرات في شكله واسمه ومسكنه، فماذا سيقول؟، ليس كمثل ما أخبر به عم صبحي ذات مرة كذبا؛ أنه من الصعيد وعاش

حياته في القاهرة. هل يتجه إلى الدلتا هذه المرة مع الشيخ «**أمير**»، فمحافظات الفلاحين كثيرة واللهجة تتلاشى وتتشابه، «**إذن فهذا مناسب**».

فكر وفكر بسرعة، أغمض عينيه لحظه، هاجت أفكاره، ردد في نفسه «**الفلاحين ولا الصعيد، الفلاحين ولا الصعيد**» وأخيرًا استقر وقال للإمام:

- أنا أساسًا من سوريا.. ولكني عشت طيلة حياتي في مصر.. اتنقل بين إخوتى في المحافظات.سوريا إخواننا.. وشعبها شقيق.. مرحب بك في بلدك الثانى مصر.

صافح بعضهم البعض وخرج الضيفان من غرفة الإمام. هم الشيخ ياسين بمغادرة المسجد فأوقفه الشيخ عمر قائلا:

- أين ستذهب يا شيخ ياسين..؟ صلاة الظهر اقتربت.. ألن تصلى معنا الظهر قبل أن تغادر؟
- نعم بالتأكيد.. ولكنى سأتصل بأولادى عند الجيران لاطمئن عليهم قبيل الصلاة.. وابشرهم.
- طبعًا.. فهناك سنترال عند آخر الشارع ولكن أسرع قليلًا
- حاضر.. السلام عليكم
- وعليكم السلام.. في سلامة الله

تأكد كامل أنه غاب عن نظر الشيخ عمر وعن الصلاة وانسل في أحد الشوارع الجانبية، وفر من المنطقة بأكملها في طريقه للعودة.

لم يدر من أين أتت له حيلة الأولاد تلك في وقتها المناسب. أما اختلاق اسم جديد فيتعمد ذلك حتى لا يذاع صيته وتبدأ المخابرة عنه.

لديه القدرة على الاختلاق، واستغلال لغة التأثير العالمية ـ الأطفال ـ لإثارة الشفقة. لا يخبر أحد بما لديه من أسرار قليلة قوية ليس عليها خلاف بجميع لغات العالم على حد اعتقاده.

يذكرهم لنفسه موقنًا أن «**الدين والطفل والعجوز أو المريض**» سلاح روحي فتاك. طبعت أهمها على وجهه بمحض الصدفة متمثلة في لحيته. عاش الأخرى وعلم بتأثيرها من أمه، التى كانت تستخدم طفولته للتأثير على مشاعر الجيران لجلب بعض متطلبات المنزل بدافع السلفة أو المنحة.

أما الأخيرة فقد عاصرها وعايش تفاصيلها وثروتها الروحانية التى تخضع قلب أي شخص حين يرى العجائز المرضى في دار المسنين؛ حيث استطاعت أمه أن تلحقه ليعمل بإحداها في القرية، بهدف زيادة دخل الأسرة قليلا، وليتعلم طاعتها عند الكِبَر بجانب حفظ القرآن، وذلك بعد وفاة ابيه إثر تبادل إطلاق نار عشوائى في مشاجرة بين عائلتين أثناء عمله كغفير مواشي لأحد الأغنياء.

كانت نظرته للمسنين تثير شغفه، لما وجده من تلبية رغباتهم بسهولة مهما عظمت ومدى التفانى في خدمتهم من المقيمين على الدار. حتى تمنى أن يصبح عجوزا كى يطلب ما يحلو له من الدنيا.

أخطأت أمه وإن كانت تريد له الصواب. رغبتها في إصلاح أخلاقه منذ صغره كان يحفها الجهل في جميع تصرفاتها. فالحاقُه بالعمل في دار مسنين نمّى داخله الصبر والطاعة، لكن كانت حين يعود إلى المنزل تنسف ما قد تعلمه في الدار.

كانت تستغل طفولته ووجهه السمح للتأثير على من تشاء، رغبة دفينه داخلها لتلبية متطلباتها واحتياجات المنزل. الفقر الذين عاشوه

بعد موت الأب لم يحفه العفّة مطلقا. توغل الحرمان سريعًا، لم تدرك أمه أن الفقير يمرض بفقره إن لم يتوج بالعفة. بغياب الأخيرة أصبح كل ما تعيشه أسرته هو سبيل لقمع الحرمان. ازادت هوة التناقض داخله، حين رأى الفرق بين تصرفاتها اللاإرادية تجاهه وأخيه الأصغر وجميع المحيطين بها من جيران، وبين ما عايشه في دار المسنين من صراحة وخلق كريم مثالى، أصبح بمثابة شرخ هائل بين عقيدته الحياتية والدينية.

لكن طغت تربية أمه له منذ الصغر وتشرّبها في أعماقه. كيف يعيش براءته بعد أن جعلته أمه يجمع أموالا على غير عادة الأطفال في سن مبكرة خلال شهر رمضان بالتحديد؟أصبحت تستغل طفولته ليحنو عليه كل من يسأله المساعدة، وكعادة الأطفال أن يأخذوا (**الفوانيس**) ويمرون على الجيران لجمع نقود أو حلوى. وبذكاء أمه كي تستغل هذه العادة، أن أتت إليه بورقة بيضاء وكتبت عليها (**فانوس**) وفتحت بأعلاها فتحة ليمسك منها، وأعطتها له ليمر مع بقية الأطفال.

كانت الجيران فور أن تجد في يده ورقة مكتوب عليها فانوس بدلا من الفانوس الحقيقى مثل زملائه، تفطر قلوبهم الناظرة إلى عينيه الذابلتين، ويدمع البعض لشدة فقره ولا يبخلون عليه أبدًا بأموال أكثر، ويعود لأمه غانمًا، وكانت تحرص على أن يذهب لجيران جدد في كل مرة، ورغم ذلك كانت تبخل عليه وأخيه مثل أبيهما.

حفرت بوجدانه أكثر مما يجب أن تحفره الدروس التعليمية أو الدينية في المدرسة أو (**الكتاب**) اللتان لم يتممهما، فترغيبه لجمع المال في باكورته، طبعت على مقدمة رأسه ضرورة أن يأتى به فقط لا

غيره، حتى أصبح وبات ينظر لمعاملاته الحياتية على ضرورة وجود أموال باستمرار كي تسعد به أمه.

ماتت أمه أثر مرض البلهاريسيا في ريعان مراهقته، مما أسقط منه مبدأ آخر وهو الاعتماد على النفس، موت أمه منع عنه مصدر القرارات الرئيسي، هام على وجهه لا يعرف هدفًا يجب تحقيقه، ولا طرقًا للكسب سوى بالاستعطاف، حتى بعد الانتقال للعيش في منزل خالته، حكت له أن أبيه لم يفعل شيئًا مفيدًا مدى حياته، وكان يعيش على الأجر والهبات من سيده. كما فعلت أمه أيضًا بتصرفاتها الخبيثة.

لم يستطع التخلي عما قد طبع داخله، رغم طول بقائه في منزل خالته إلا أنها لم تؤثر فيه أبدا، وظل يتنقل بين العديد من الوظائف التي لم ترض عنها غرائزه المالية، رغم اكتنازه لراتبه إلا أنه لم يفكر في الزواج والاستقرار مثل أخيه، لأن الزوجة هي امرأة ما ستحصل على أمواله بطريقة أو بأخرى بدلًا من أمه، فخاف من الزواج خوفًا مريبًا، حتى سنحت له الفرصة لسرقة أموال سيده وفر بعدها هاربًا إلى القاهرة وانقطعت أخباره.

«**يالها من أحجيات لا يعلمها الكثير، دائمًا أقابل بالتوفيق حينما تجرح مشاعري في أموال نقصت لدي، وأفكر كيف أستعيض عنها على الفور، آه يا منزلب كم أنا سعيد لأنك تقترب مني، سأضع ورقتي مع إخوتها عما قريب.. هئ هئ هئ.. هيا يا منزلي هيا**»

نغصه الجوع، بحث عن طعام، وقعت عينه على شادر آخر يقام. نسي الطعام وفكر أن يذهب ليتحاور مع أصحاب الشادر، ولكنه تذكر أن ذلك أقرب من منطقته عن الأول بنصف ساعة فقط، فهذه مخاطرة

لا يضع لنفسه شركًا فيها. «**ربما يكون أحد الجيران متواجدًا هنا فيفضح أمري**».

تجاهل الشادر متجهًا إلى عربة فول قريبة. جلس بجوارها يلتقط أنفاسه ويتناول رغيف الفول الذي اشتراه. داعب عينه في الجانب البعيد من الطريق مطعم به ماكينة شورمة ممتلئة باللحم المشوي. فكر أن يشترى (**ساندوتش شاورمة**) ولو لمرة في العمر وينتهزها فرصة ليعيش معه يومًا خياليًا أثناء تناوله: «**آآآآآه.. رغم أن ثمنه يعادل عشرة أضعاف ثمن رغيف الفول.. بس مش مشكلة**»

أخذ رغيفه وعبر الطريق باتجاه هرم الشورمة المقلوب، وقف بجواره، ولع بمنظره الذي يتسلل منه زيت الشواء اللامع المتخلل اللحم، حريصًا على أن يشم رائحة الشواء الأخاذة التي تملأ المكان. تنحى جانبًا منها ورفع رغيف الفول إلى فمه، أغلق عينيه واستنشق مستمتعًا بالرائحة. يقضم قطعة الفول ويتخيلها اللحم المشوي. حتى انتهى من رغيف الفول بطعم الشاورمة.

أكمل السير متأرجحًا لا يقاوم مغادرة رائحة الشواء حتى غابت عنه. «**هكذا اشتريت واحدًا مجانًا.. هئ هئ هئ.. الحمد لله الذي عافاني من التبذير**». لم يطعه ضميره الإنفاق حتى على بطنه.

رأى محلًا لبيع الأجهزة الإليكترونية فتذكر جهاز الكمبيوتر. دخل المحل ليسأل عن كيفية تركيب أسلاك الكمبيوتر. رحب به صاحب المحل وأخذ يشرح له كيفية التركيب. ظل الشيخ جاهدًا يحفظ ما يقال له على مدار نصف ساعة حتى استطاع تركيب سلك واحد بالشاشة والآخر بالفأرة (**الماوس**).

شكر الرجل وخرج من المحل يكرر ويكرر اسم السلك الأول وشكله المخروطي ولونه، ثم السلك الآخر وشكله واسمه وهكذا. وصل إلى المقهى فوجد عم صبحي جالسًا في انتظاره. مر متجاهلًا مسرعًا إلى منزله لا يلتفت إليه حتى لا ينسى ما قد حفظه. صعد إلى شقته واتجه إلى الجهاز يبحث عن الأسلاك فلم يجدها، صُدم لأن الجهاز قد حضر بدون أسلاك أصلًا: «**إخص.. إيه دا؟ ولا حتى القرد الصغير دا؟**» يقصد (**الماوس**).

تحطمت آماله في العصر التكنولوجي الذي كاد يخوضه، علّه كان يثمر بشيء مفيد أو حيلة جديدة للرزق، «**يا خسارة.. ولكني كنت أريد أن أرى ما الذي يمكن أن يفعله هذا الشيء بفتاة مثل ابنة (حيدر) ليجعلها تتعرق كل هذا التعرق على كرسيها الذي لم يلحظه أحد غيري، فأنا أسمع عن الأفلام الإباحية ولم يصادف أبدًا أن رأيت واحدًا، لا أحب الجهل بالشيء فكيف لى أن أعظ بما ليس لي به علم، فلابد أن أراه لأعرف تأثيره أو نتيجة مشاهدته، أو لعل به شيئًا آخر أثّر على هذه المسكينة، وليكن.. فاللعنة على الأجهزة، اخ خ.. ولكن كيف سأتخلص منه هذا الخراب؟**».

يأس وقام من جلسته، خرج متجهًا إلى المقهى. رحّب به عم صبحي والجالسين فور رؤيته. كان بصحبة عم صبحي شاب في الخامسة عشر من عمره صامتًا عن الكلام والحراك ينظر إلى جهة واحدة فقط، قال عم صبحي:

- أقدم لك (**شادى**) يا شيخ.. أهله قصدوني أعرضه على شيخ يفك لبسه.. إكمنّه ساكت على طول.. أول حد فكرت فيه هو انت يا شيخ.. اللهم يجعلك عوناً للمحتاجين.. إعمل

معروف في أهله.. اقرأ عليه ينوبك ثواب.. يمكن الشيطان اللي راكبه يخرج.صمت الشيخ فؤاد ونظر لكليهما ولم يتوقع أبدًا أن يمارس حلمه كشيخ يفك الأعمال أو اللبس، وما سِر تلبية رغباته بهذه السرعة؟، فما إن فكر بالاستفادة من الوازع الديني وإذا به يمثل أمامه من أفواه المريدين فورا. فكّر: «**هذا عمل يأتي بالأموال الكثيرة، اطلقت لحيتي بمحض الصدفة للتنكر وها هي تؤتي ثمارها من تلقاء نفسها، ولكني لا أعلم ماهية الرقية أو فك اللبس، لكنها فرصة تأتي لي، فكلّه بالقرآن، وما أنا بمعرض عمّا يُرزق**».

قال لعم صبحي وبهدوء ورزانة:

- الله سيشفيه بإذن الله، ولكنك عارف يا عم صبحي إن الحاجات دى بتحتاج إلى وقت كاف ومجهود وتكاليف.

لاحقه صبحي بالإجابة قائلا:

- اعمل ما بدالك.. واللي تطلبه موافقين عليه.. بس تحط إيدك الكريمة دبي عليه..وتقرأ
- أنت تضعني في مواقف حرجة.. وأنا لا أعلم ما مدى التكلفة المفروضة لكي لا تكون عبءً عليكم
- يا شيخ توكل.. واللي فيه الخير يقدمه ربنا.

برقت عينا الشيخ فؤاد، فيما حفّه التأييد من بقية الجالسين على قبول المهمة وعدم التخلى عن الشاب ولا يخيب أمل أهله فيه. صمت الشيخ والجميع. يعتقدونه يفكر في القبول أو الرفض، ولكنه كان يفكر في المبلغ الذي سيطلبه مقابل ذلك، فهي فرصة يتمناها، حتى قرر في

نفسه أن يطلب عشرة آلاف جنيه كدفعة أولى. قطع عم صبحي صمته وقال وهو يبرز له ورقة نقود فئة (**خمسين جنيه**):

ـ آدي خمسين جنيه.. علشان تقوم باللازم.. وخمسين غيرها بعد ما تخلّص إن شاء الله

قال لنفسه بخبث: «**الآن دخلت ورقة المائة إلى خزينتها.. وكنت اعتقدها لن تدخل.. يا لحظي الوردى**».

ثم قال لعم صبحي: مروا عليّ الصبح في الثامنة لعمل اللازم

ـ روح يا شيخ الله يكرمك ويوسع عليك دنيا وآخرة

بادله الجالسون التحية سعداء لكرم أخلاقه. اعتدل عم صبحي على كرسيه ودعى القهوجى على الفور لإحضار الشاي والطاولة، فاعتذر له الشيخ وعزم المغادرة بحجة أن لديه بعض الترتيبات الخاصة، وغادرهم متجهًا إلى منزله.

دخل شقته، تفقد غرفته محاولا تدبر مكان يصلح لهذا العمل. اصطدمت عينه بأول شيء وهو الجهاز فلابد من التخلص منه قبل غد، كي لا يشك أحد في احتفاظه به، لا يوجد مكان آخر بالشقة فالغرفة الأخرى مغلقة ومفتاحها ليس معه. لم يبق سوى المطبخ والحمام الضيقين العفنين. قرر أن يحمله ليلًا دون أن يراه أحد ويذهب به إلى محل الأجهزة ليبيعه ويستفيد من ثمنه.

أفرغ جوال كراكيب ووضع الجهاز داخله وشاشته في آخر. خرج قبيل منتصف الليل بعد أن هدأت المنطقة وأغلق سكانها النوافذ، قاصدًا محل الأجهزة البعيد، وقد زاد الحمل مدة السير. وجده لم يغلق أبوابه، دخل وعرض عليه الشراء، تفقده الرجل، ولم يوافق على الشراء لأنه ليس لديه المال الكافي اليوم، فقال الرجل له:

ـ ادينى مهلة يومين عشان ادفع لك فلوسه.

لم يوافق الشيخ فؤاد على المهلة، فاقترح الرجل أن يبادله بهاتف محمول، أعجب الشيخ بالاقتراح فهو طريق آخر لعصر التكنولوجيا لعل اقتناء هاتفٍ يفتح له بابًا جديدا لم يكن يتوقعه.

أضاف الرجل اقتراحًا لولبيا جذب به قلب الشيخ فور سماعه، وهو نسخ كل محتويات الكمبيوتر إلى الهاتف المحمول لكى يراه مستقبلًا في أي وقت على شاشته اللمس الكبيرة. تحمس الشيخ واشترط تدريبه على استخدامه بدءً من يوم غد لأن الوقت قد تأخر الآن.

تمت الصفقة. شعر أثناء عودته إلى منزله حاملًا هاتفًا محمولا حديثًا بشاشة (**تاتش**)، أنه أصبح من الطبقة الأرستقراطية بل وشيخًا مثقفا صاحب مال وتنقصه ابنة رئيس الوزراء ليتزوجها. لكنه لم يعلم كيف يستخدمه أو حتى يفتحه فهو مظلم منذ حصوله عليه: «**غدًا سأعلم**».

أسرع الخطى مرتابا من ظلمة الليل، التى تصبح في بعض المناطق عديمة الإنارة كالقبور المهجورة، ولكن ريبته كانت في محلها هذه الليلة. عند مروره بالمنطقة غير المضاءة اعترضه اثنان من البلطجية شاهرين في وجهه أسلحة بيضاء يرغمانه على إخراج ما لديه من أموال.

دب في قلبه الرعب وعلم أن نهايته قد اقتربت، أو سيقتلاه ويلقيا به على الرصيف ويفرا هاربين. تسمّر مكانه مستسلمًا لا يستطيع الحراك أو النطق، انتظر أن يفيق من الحلم، لا تطاوعه يداه بإخراج ما لديه من أموال.

اندفع أحدهما نحوه ليفتشه، أخرج من جيبه الخارجي تليفونه المحمول، ومن الداخلي حافظته الورقية. تفقد البلطجي المحمول فلم يجد له غطاء ولا بطارية ولا خط للإتصال ـ فقد أعطاه له البائع ناقصًا ومعطلا لشعوره بجهله ـ فاعتبره البلطجى خردة فأقاه بعيدا، مزق الحافظة وألقاها في وجهه وفرا هاربين بالمائة والخمسة والخمسين جنيها.

برقت عيناه بعدما لمح أمواله تبتعد عنه، منتظرًا أن تطير منهما وتعود إليه، فلم تعد. التقط حافظته المتقطعة وهاتفه المعطل، وظل واقفًا مسلطًا عينيه على البلطجيين حتى اختفيا في الظلام.

افزعته آلة تنبيه سيارة مرت بجواره كادت تصدمه. سار يجرجر قدميه في يأس، متأملًا تفاصيل ورقتي المائة والخمسين الماثلتين أمامه في الفضاء تبتعدان شيئًا فشيئا، حتى وجد نفسه أمام باب شقته.

فتح الباب ببطء ولا مبالاة، دخل وجلس على الكنبة دون أن يغلق الباب بسرعة كالعادة، نظر خارجه إلى السلم الهابط والسلم الصاعد للعمارة، منكسر العزيمة غير مبال بحرصه على بقية أمواله. يلعن آفة النسيان التى جعلته ينسى أن يضع النقود المائة والخمسين في خزينة الكنبة مسبقًا، فقد كان منشغل البال بكيفية الاستفادة من الجهاز.

«مائة وخمسون رغيف فول أحق بها معدتي، مائة وخمسون يومًا كنت ركبت فيهم المواصلات لأعتنى بصحتي، أضعتهم بغبائي، يالا مصيبتي، لماذا لم أكن مثل شيْخى في الكتّاب، الذي جعل اللص يتوب على يديه، آآه لو كنت مثله لأخذت أموال البلطجية أجمعين، ولكنه كان بارعًا براعة لا أعلم من أين جاء بها مع إننى لدى لحية

أكبر ولدي نفس الدين، فكيف إذن، يا عقلي فكر.. فكر، فأنت بارع، فكر وقم بإملائي، فكر واجعلني أفتح أبواب رزق جديدة، النسيان آفة ضيعت أموالي ولعلها تضيع مني كل ورقة أضعها في محفظتي بعد ذلك، أعيش بالحرص دومًا فيأتي النسيان ليقتله، يا سلام.. تاني كدا؟؟، أعيش بالحرص دومًا فيأتي النسيان ليقتله، وطيلة اليوم صومًا وعصر البلطجية يفطره، الله عليك... بس برضه النسيان مصيبتي السوداء».

ثبت نظره على السلم الهابط لا يعلم لماذا. فبدله إلى الصاعد عنوة، ثم قام وأغلق باب الشقة، حاول النوم فلم يستطع وظل يفكر حزينًا في أمواله.

غلبه النعاس إلى الصباح، سمع صوت دقات النجار الأعمى الذي استدعاه إلى شقته لكي يثبّت له كل ورقة من أمواله بمسمار بمفردها في كنبته الخشبية، خشية أن يلتقطها الغراب الذي يقف على نافذته، حتى انتهى النجار من تثبيت جميع الأوراق المالية ولم تسكت دقاته، فايقظته فزعًا، فوجدها دقات باب شقته، وهو يقول: «**ما خلاص بقى ياللي بتخبط**».

سكتت الدقات، قام من جلسته ببطء ليفتح الباب، وجد أمامه عم صبحي والشاب (**شادى**) ووالدته، تردد في استقبالهم ثم قال لهم:

- إيه دا يا عم صبحي فيه إيه
- دا الواد (**شادى**) يا شيخ انت نسيت ولا إيه؟ بقالنا ساعتين بنخبط عليك

تذكر الشيخ فؤاد موعدهم فقال فاركًا عينيه:

- آه.. هناك يا عم صبحى في بيتهم مش هنا.. انتظروني

لم يدخلهم رغم تخلصه من الجهاز، فعادته في الحرص غالبة. لم يأت بالبخور ليلة أمس وأيضا بشاش للرأس وحبة حصى بيضاء وحبة ملونة كما كان يخطط لزوم حبكة الشغل، فقراءة القرآن لا تكفى عند أهالى هذا الحي، فهو يعرفهم جيدا ويفهم مدى تقبلهم لما سيرونه.

ارتدى ملابسه ونظر في ساعة المنبه فوق الثلاجة فوجدها العاشرة صباحًا وليست الثامنة. سيتأخر بذلك عن موعده مع الشيخ أمير بالمسجد الكبير، فهو لن يضيع فرصًا أخرى أبدًا في الرزق ليعوّض خسارته.

التقط المصحف وخرج معهم إلى منزل (**شادى**). دخل غرفة صغيرة كئيبة بمفرده مع الشاب، جلس على كرسي خشبي وأجلسه على الأرض بين ساقيه، وضع يده على رأسه وظل يقرأ من المصحف سورة البقرة كاملة.

استهلك بها من الوقت أكثر من ساعتين، أدخلت والدة الشاب خلالها المشروبات والطعام الشهي.

لكن خلال تناوله لنصف فرخة مشوية في الاستراحة بين الساعتين، تحدثت إليه والدة شادى بلهفة قائلة:

- إلا بقولك والنبي يا سيدنا الشيخ.. بالله عليك ما تكسفنى ولا تردني إلهي ما يرد لك دعوة يا قادر يا كريم

أجابها الشيخ فؤاد وهو منهمكًا في الأكل لا يرفع عينه عنه:

- تفضلي يا ست أم شادى
- البت بت أختي حبة عينى عليها تعرفش إيه إللى نابها فجأتن بصينا لقينا البت اصفرّت وعنيها دخلت لجوة وهيا كانت ما شالله زي الوردة تقول للدنيا اتهدّي وأنا اقعد مطرحك

راحت واخده عين يا عين أمها وكل صحابها اتجوزوا إلا هيا حكمن حواليها جيران أعوذ بالله من الشيطان.. ينوبك ثواب يا سيدنا الشيخ تشوفها لجل أمها اللي مفلوئة من العياط من ساعتها.. دي أول فرحتها يا اخويا.. دنا علمت ببركتك على البت بت حيدر. أجابها بخبرة شيخ عتيق قائلا:

- بس دي ها تبقى بطّاية يا أم شادى نصفها مشوي ونصفها ملفوف في شاش أزرق وبيضاية فيها صفارين تبيتيها في فلفل أسمر وتحطيها في الطلّ ليلة ١٤ منّه وتجيبيهالي مع أول طلعة النهار على طول.. وأشوف البت وتكون متغطية كلها ماعدا رجليها الشمال.. وكله على الله يا ست أم شادى.

شعرت أم شادى بحرفيته وإتقانه وأيضًا الثقة في كلامه، فهو بالطبع يحفظه نتيجة تكراره وفاعليته مع أخريات، وعلى الفور أجابته «**حاضر يا سيدنا**»

تدخل عم صبحي وقال مؤكدا:

- بإذن الله هاترجع زي الأول وأحسن.. سيدنا الشيخ مر عليه الحاجات دي كتير اطمني

انتهت الجلسة وشبع وحصل على الخمسين جنيها الأخرى، نظر للنقود ولم يبرح وجدانه عن التفكير فيها، حتى ذهب إلى منزله واطمئن بوضعها في خزينة الكنبة بجوار زميلاتها.

توجه مسرعًا إلى مسجد الشيخ أمير علّهم وجدوا له عملًا كمقرئ بخمسين جنيه أخرى. دون نقود حتى يشتري طعام.

أشاد عم صبحي لأم شادى ببركات الشيخ فؤاد ويده الطاهرة التي وضعها على رأس ابنها، يقنعها بتحسن ابنها بعد الجلسة الأولى.

تأخر عم صبحي عن صلاة الظهر. ودّع أم شادى وذهب إلى مسجد الزاوية. تقابل بعد صلاته مع شيخ الزاوية المجتهد الذي يعرفه. ظلا يتباحثان الأحوال والأقوال المأثورة ثم الاعتقاد في المس والجن واللبس والفك.

اقتحمت سيرة الشيخ فؤاد حديثهما وفتح عم صبحي باب المدح والبركة عليه مرة أخرى، وأشاد بتجاربه المثيرة مع الجيران، مما أثار شغف الشيخ المجتهد وطلب التعرف عليه للاستسقاء من علمه والتقرب إليه، وعده عم صبحي بأن يحضره إليه عما قريب وغادر المسجد عائدًا لمنزله.

وجد تجمعًا بشريًا من خمسة رجال من جيرانه واقفين أمام المقهى، سألهم عن سبب تجمعهم، أجابوه أنهم بالكاد عائدين من مدرسة أبنائهم بعدما أشعلوا فيها نيران الغضب على المدرسين والنظّار. لما يلقّنونه لأبنائهم من سلوك سيء زرع بداخلهم الأنانية والحرمان، مما اضطرت إدارة المدرسة إلى إحضار الشرطة وعمل محضر تعدي من أولياء الأمور بالألفاظ والشتائم عليهم وعلى المناهج التعليمية والوزارة كلها.

تصاعد الموقف، وهم يلقون اللوم على مَن دفعهم إلى فعل ذلك وهو الشيخ فؤاد وينتظرونه حتى يعود، فظل عم صبحي يدافع عنه ويهدئ الموقف.

حضر الشيخ فؤاد مبكرًا من المسجد الكبير يملأه التعرق والإجهاد، يفكر في إعداد نفسه لقراءة افتتاحية قرآنية في عرس سيقام

بالمسجد عقب صلاة العشاء قد كلفه به الشيخ أمير اليوم، وسيحصل منه على أجر ما، تمهيدًا للقراءة في المآتم الكبرى.

استقبله الرجال بغضب وألقوا عليه اللوم وساروا جميعًا إلى المدرسة.

وجد الشيخ فؤاد نفسه موضع المتهم والمحام معًا. أوضح وجهة نظره للمدير وسبب اندفاع هؤلاء الرجال وتحيزهم لأطفالهم، الذين اكتشفوا فيهم عادات سيئة نغصت عليهم حياتهم، ثم طلب الانفراد بالمدير، ثم أوضح له أنهم من الأسر المعدومة التى أحاط بها الفقر من كل مكان وما يدّعون به في أولادهم لم ينتج إلا من الحرمان المدقع، وأنهم آثروا فعل ذلك كى لا يفقدون رجولتهم أمام أسرهم لأنها الوحيدة التى تبقت لديهم، وعليه أن يعذرهم ويغفر لهم، وأضاف:

ـ وخاصة لأن الله أمرنا بالرحمة وديننا بالتسامح وخصوصا للذين أساؤا إلينا شر إساءة فيكون الأجر مضاعف عند الله.. يا بختك

اقتنع المدير بكلام وهيئة الشيخ فؤاد وقرر التنازل عن المحضر بشرط التعهد بعدم تكرار ذلك كتابيًا.

عادوا جميعًا وجلسوا على المقهى يشكرون له مجهوده لإخراجهم من هذا المأزق واعترافهم بتهوّرهم، وأوكلوه أن يصلح ما أفسدته المدرسة في سلوك أبنائهم بنفسه دون شخص آخر.

استأمرهم، فأمروا بعقد دروس منتظمة لأبنائهم ليقرأ عليهم القرآن ويحفّظهم ويعلمهم الأخلاق الحميدة ليبعد عنهم الشرور التى أصابتهم، انتهز الفرصة وقال جملته المحببة إليه:

- «**لا تغصبوا عليّ بالله عليكم.. فهذا سيتطلب الكثير من الجهد والوقت والمال**»

باغتوه بالرد:

- ماتشلش هم أي حاجة، ولا يهمك يا شيخ، المهم نطّمن على أولادنا

استطرد عم صبحي وكان الأعلى صوتًا فيهم:

- ولو مرة واحدة في الأسبوع أو في الشهر، وهتاخد على العيّل عشرة جنيه.. إيه رأيك؟

حنق الحاضرون على المرة الأسبوعية تلك، وأرادوها مرة شهريا لكي لا يدفعوا الكثير في كل أسبوع. كان عقل الشيخ وقلبه يصفّقان من شدة الفرح. ونال إعجابهم عندما عرض عرضه المثير دون قصد منه، بخلاف ما فهم الآخرين، فقال:

- يعني على الرأس عشرة جنيهات لأربع مرات فقط في الشهر؟

أجابوه جميعًا سعداء:

- نعم بالضبط كدابخبث قال:

- ولكنى أريد أن أطمئن أنكم لا تريدون هلاكي، فكم واحد سيحضر للدروس والحفظ؟

رد عم صبحي بحرارة مبالغة:

- لا يقل عن عشرين عيل، بس دلوقتي هتبدأ بخمسة أطفال، ولو زاد العدد هرتبلك المقرأة في الزاوية، فيها شيخ مشتاق يشوفك، وبيدعوك لخطبة يوم جمعة

- أنا.. أنا أخطب الجمعة؟!!

- أيوه يا شيخ.. أنت مش حاسس بنفسك ولا إيه، دا أنت كلامك بيمر على القلب الرَضي يصفيه زي البفته البيضاء، شفت الراجل المدير اتنازل عن المحضر إزاي!!

لم يشعر الشيخ فؤاد في نفسه ما يقوله عنه عم صبحي، ولكنه أرجأ حلاوة كلامه إلى المستمعين لا إلى قناعته الشخصية، قال في نفسه: «**صحيح إن المرء لا يشعر بموهبته في الكلام إلا إذا اكتشفتها أذان تقنع**».

ازدادت حيرته وخوفه، فقبول القراءة لأطفال في المسجد ومنه إلى خطبة الجمعة. خطر محتمل فالمساجد ترتبط ببعضها ويخشى أن ينكشف أمره في وقت ما. همس: «**لا.. سأحصل على الأموال من الأطفال فقط وكان الله بالسر عليم وخلصنا، لا صلاة الجمعة ولا صلاة الأحد**».

قاطع عم صبحي صمت الجميع وقال للشيخ:

- الليلة نجيبهم لك تقرأ عليهم
- لأ ما انت عارف يا عم صبحي شقتي ضيقة، كما إني غير متفرغ بإذن الله
- خلاص يا جماعة يبقى بكره نكون جاهزين إن شاء الله.. إيه رأيكوا؟

أجابوه بغير حماس لأنهم غير مستعدين ماليًا بهذه السرعة، وشعروا بتوريط عم صبحي لهم:

- موافقين.. بس الدفع مؤخر مش مقدم.. آه الدفع مؤخر طبعاً

أجاب صبحي بالنيابة عن الشيخ قائلا:

ـ وهو كذلك، الشيخ فؤاد لا ينظر للتفاهات والماديات دي أبدًا

قال الشيخ في نفسه «**لعنة الله عليك.. أنا برضه لا أهتم؟!**»

وافق الجميع وهمّوا بالمغادرة، وجلس عم صبحي والشيخ في انتظار الطاولة والشاي، فعلّق:

ـ شاكرين تعبك يا عم صبحي والله

ـ لا يا شيخ ما تقولش كدا دا أنا بحبك لله في لله، روح يا شيخ ربنا يفتحها في وشك كمان وكمان لانك تستاهل، إحنا بس عايزين دعواتك

ـ اللهم زد صحته للعناية بالمحببين إلى قلبه دوما بإذن الله

رد عم صبحي سعيدًا وهو يفتح الطاولة:

ـ الله الله عليك يا شيخ.. العب يا سيدنا العب

لم يفهم عم صبحي الدعوة وما ترمي إليه، لكنه اكتفى بأن فيها زيادة في الصحة فحسب، اعتقاد عم صبحي بأن دعوات الشيخ تمر إلى الله فورا، جعله يسعى لكى يفتح له أي باب للمنفعة ينال بها رضائءه ونصائحه ودعواته مجانًا، ليبعد بها عن نفسه الشرور.

مر وقت من لعب النرد، استأذن الشيخ لأمر هام وغادر المقهى.

أسرع الخطى إلى محل الأجهزة متوعّدًا لصاحبه ليأخد منه هاتفًا آخر بدلًا من الخردة الذي لم يصلح حتى للسرقة. وبعد مشادة مع صاحب المحل اعتذر له عن سهوه، وأعطاه هاتفًا جديدا ينير ويطفئ وبه خط اتصال يعمل، محمل بكافة محتويات جهاز الكمبيوتر القديم.

وفور أن ولاّه الشيخ ظهره وخرج من المحل، بدّل صاحب المحل ملامحه المبتسمة ورماه بنظرة احتقار شديدة وهو يقلب كفا على كف، فقد علم عن الشيخ ما يحاول إخفاءه.

اتجه فؤاد إلى المسجد الكبير للشيخ أمير الذي أكّد عليه الموعد منذ الصباح، بضرورة الحضور لقراءة ربع واحد قبيل العرس. كان سعيدًا بهذا التمهيد لأنه سيظهر براعته وجدارته للقراءة في المآتم الكبرى.

تقابل مع الشيخ أمير داخل غرفته بالمسجد. لم يكادا يجلسان في ورع، وإذا بمحمول الشيخ ياسين الجديد يرن بصوت عالٍ بأغنية خليعة بها طبول دوت في أرجاء غرفة الإمام، فز الشيخ ياسين وهم بإخراج هاتفه ولم يعلم كيف يسكته حتى سمعه من بخارج الغرفة من رواد المسجد.

تدرج الصوت في العلو وأصبحت فضيحة في أرجاء المسجد، تلفت رواد المسجد القلائل من حولهم مذعورين باحثين عن مصدر هذه الخلاعة، سحبتهم آذانهم إلى غرفة الإمام، فزع الشيخ أمير وجن جنونه من الشيخ ياسين لعلو الصوت ولا يستطيعان إسكاته وهو يقول له غاضباً:

- إيه ده يا شيخ ياسين.. إيه الخلاعة وقلة الحياء دا، لا حول ولا قوة إلا بالله، اخرس هذه اللعنة بسرعة
- آسف يا شيخ.. أنا بالكاد اشتريته ولا أعلم كيف أسكته. اخص

فقام بدفنه مؤقتًا تحت وسادة سرير الشيخ أمير فصاح فيه مجددا:

- بتعمل إيه.. لا تضع هذه النجاسة تحت رأسي

دخل عليهم أشخاص ومنهم شباب، ليجدوا الشيخين مرتبكين، ياسين منكب فوق الوسادة والشيخ أمير يجذبه من ملابسه ليبعده عنوة، اندفع أحد الشباب فتناول الهاتف وأسكته على الفور.

شتاء من الاعتذارات أمطر به ياسين الجميع، وخصوصًا الشيخ أمير. يوضح أنه لم يكن له أي دخل بما حدث، والرجل صاحب المحل هو من ضبط هذه الأغنية على هاتفه.

اعتقد ياسين أنه قضى على مستقبله بيده ولن تغفر له هذه الفضيحة أبدًا، كما لم يتوقع أن تكون فضيحته بسبب التكنولوجيا التى لم يعرفها طيلة حياته، والتى كان يسعى جاهدًا ليخوضها، قال في نفسه «**فما بالي إن تعلمتها وتمعنت فيها فكيف سيكون مصيري**». ولكن ما حدث كان على عكس توقعه.

قام بعض الرجال بتهدئة الموقف وتوضيح سوء خلق الهواتف المحمولة، التى تطيح بمن يجهل بها أو حديث العهد باستخدامها. هدأ الشيخ أمير حامدًا الله بأنه لم يكن هناك رواد كثر بالمسجد، ولم يتجمع أهل العروسين بعد، لساءت سمعته وسمعة المسجد. دفع الشيخ ياسين للاستغفار والتوبة وغلق المحمول حتى ينتهي من القراءة.

بدأ العرس، قرأ الشيخ ياسين وانجز، بعد الانتهاء من القراءة حصل على عشرين جنيهًا من أهل العريس كتقدير له ولصوته، أراد أن يبارك للعروسين نتيجة ذلك، فاندفع سعيدا للميكروفون يدعُ لهما دعوة غريبة بعض الشيء استبدل فيها رغما عنه كلمة (**بارك**) التى نسيها لحظيا نسيانا مريبًا وقال:

ـ اللهم زِد لهما وزد عليهما واجمع بينهما في خير.

سأل نفسه حين غادر «**أين طارت كلمة (بارك)، أين ذهبت هذه اللحظة الفارقة، وكيف استبدل دعاء بدعاء؟**». لم تطر مطلقًا، ولكن لا إراديًا أبدلها بـ(**زد**) وهي الكلمة التي تشغل عقله في جميع الأوقات، فخرجت تلقائيًا. صَمَتَ بعدها أهل العروسين للحظات وقد تشوش الدعاء في ذهنهم. وبعضهم لم ينتبه، وحين أدركوا اختلافه كان الشيخ ياسين مر من أمامهم في أمان.

لم يشغل اختلاف الدعاء بال ياسين طويلا، ونسيه بعد برهة، وظل يفكر في المحمول، الذي يفضح أمر شيخ الشيوخ إن لهى عنه لحظة.

اتجه لصاحب المحل وصب عليه غضبه مرة أخرى، لأنه أبلاه ببلاء في جيبه، قال صاحب المحل:

- دا أنا يا شيخ اللي اتصلت عشان أطمنك إن الجهاز شغال ومش بخدعك نهائيًاولكني كنت في عقر المسجد يا بني آدم
- اأووووف.. مسجد؟..معلش.. عندي دبي.

غير صوت المحمول فتذكر البائع شيئا فقال وهو يشير إلى الهاتف:

- مسجد!!!؟؟ طب إزاي؟ دا مليان بلاوى
- بلاوى؟ أكثر من كدا؟ قول لي إيه هيا البلاوى؟
- لا مافيش مافيش عادي كله تمام.. ولو عندك منه تانى هات لى.
- اجيب لك إيه يا بنى آدم؟

يعلم البائع ما وضعه له من محتويات الكمبيوتر على ذاكرة الهاتف كما أخبره، والذي بعد أن تفقدها أيقن أنه (**شيخ تايوانى**) ولم يتردد أن يضع له رنة التليفون الخليعة تلك. إصرار الشيخ على تعليمه تشغيل المحمول لكي يتحكم فيه تحكما كاملًا فيما بعد رسخ لديه هذا الاعتقاده، فقال بخبث:

- من اللي بالي بالك
- بالي بالك إيه أنت باين عليك مجنون.. غور

غادر المحل إلى منزله مسرع الخطى، متلفتا حوله خوفا من التعرض للسرقة مرة أخرى، فلديه عشرون جنيها ومحمول يعمل. يلهث ويقول بصوتٍ عال:

- والله الواحد ماهو ناقص بلاوي

ثم قال في نفسه "**أعتقد إني خائف، وهذا أسرع ما لدي من خطوات، لا أدري لماذا لم نخلق بخطوات كالزرافات، لكنت في أمان من السرقة الأن، أعتقد أن من الأفضل أن أنفق العشرين جنيها هذه في الطعام الآن كاملة، كى لا أدم عليها بعد قليل أو يأخذها البلطجية على الجاهز، تكفي معدتى طيلة أسبوعين، نعم هذا أفضل**"

مر أمام أحد المطاعم فوقف يتفقد قائمة أسعار المأكولات باحثا فيها عن (**ديك رومى مشوي بالأرز والسلطات**)، حتى وقعت عيناه عليه فوجده يتكلف ثلاثمائة جنيه، فزّ في مكانه وشهق، وهرعت عيناه إلى بداية القائمة مرة أخرى، أغراه الجنيه الواحد ثمن (**ساندوتش**) الفول. لم يتردد في الحصول على عشرين ساندوتش فول. "**نعم هذا أفضل، وسآكل من كل واحد قضمة وأنام بجوار الباقين إلى الصباح، هئ هئ هئ**"

وقف أمام (**الكاشير**) وأخرج العشرين جنيهًا، سأله الكاشير:

ـ تطلب إيه يا شيخ؟

صمت قابضًا على نقوده بقوة ولم يتكلم. كرر الكاشير سؤاله. الشيخ صامتًا لم يقدر على الكلام قط. أفاقه الكاشير بصوتٍ عال. استفاق وقال فزعًا:

ـ لا يا أخى مش عايز حاجة، الواحد تعبان شوية.. حرام؟؟

التصقت العشرون جنيه بيده ولم يجرؤ على إنفاقها، فغادر المطعم ووضعها بالجيب الداخلي المجاور لقلبه، سعيدًا لأنه تخطى اختبارًا صعبًا إلى الهاوية في الملذات الدنياوية كاد الوقوع فيه.

وصل منزله قرب منتصف الليل. اختلى بالمحمول، فتحه وقلب في ملفاته عشوائيا ـ كما تعلم ـ. وعفويًا فتح ملفات فيديو، وجدها لراقصات عاريات في المنازل، برقت عيناه ودقّ قلبه وفغر فاه لما رأى، لم يقو على إيقافه أو إغلاقه، اهتزت مشاعره وتبختر قلبه في مكانه مع كل هزة طرية. علم أن لهذا السبب جن جنون ابنة (**حيدر**). فهي أجساد ولحوم تهتز. لا يقشعر بها الجسد فقط بل تطير بفروة الرأس كلها.

ظل الشيخ يقلب في ملفات الفيديو يتفحصها ويتمحصها متلذذا حتى أثار عرينه، هذا العرين الذي عزف عن التفكير بشأنه، من غلظته وفظاظة أسلوبه في التعامل مع النساء، وولعه بجمع المال، وكأنه شيء أخير في أولوياته أو منعدم من حياته. سهمان مصوبان إلى الفيديو لا يبرحانه. تنميل بالرأس واحمرار بالعينين والأذنين. لم تغمض له عين هذه الليلة ومرت صلاة الفجر مرور الكرام ولم يسمعها. حتى اختتم الفيديوهات بفيديو إباحي أخمده هامدًا مرتخي الأعصاب.

ـ

اشتدت دقات الباب في العاشرة صباحًا كعادة عم صبحى في الآونة الأخيرة، لكن لم تؤثر على مخيلته التى سيطر عليها حلم واحد.. صحراء جرداء ومنزل مهجور متهدم، يبحث فيه عن كنز، تجلس فوق الكنز امرأة حسناء، نصفها حسناء ونصفها ثعبان، يحتضنها ويقبّلها بحرارة ولعا بجمالها غارقًا بالقبلات غير مكترث بنصفها الآخر، ذيلها، الذي يدق على الأرض دقات متتالية لا يهدأ وكأنه منتشيٌ بالقُبلات.

سأم عم صبحي الطرق على الباب لإيقاظ الشيخ وغادر آملا أن يوقظه بعد قليل. فالأطفال مستعدون لتلقى الدرس الدينى الأول مع القراءة والتحفيظ، وكان يريد إعلامه أن عددهم قد كثر بفضل مجهوداته مع الجيران طوال الليل، فقد قاربوا على الخمسة عشر طفلا وشاب حديث المراهقة، فمن الجيران من انتهز فرصة كهذه لم تظهر في المنطقة منذ أعوام ليجعلوا ابنائهم يتدارسون القرآن، وقد استغل البعض الأخر هذه الدروس لإبعاد أطفالهم عن المنزل لساعة على الأقل تفى بغرض ما أو مبتغى محدد في ذهن كل واحد فيهم.

عاد عم صبحي في الثانية عشرة ظهرا يدق باب الشيخ الحالم. لم يفلح في إيقاظه أيضًا فذهب. عاوده في الثانية بعد الظهر، مغيرًا صوت الدقات وسرعتها علها توقظه، يخشى أن يرجع الشيخ عن اتفاقه بعدما أقنع الجيران كلهم. أيقظه. سمعه من الداخل وفتح له الباب. اطمئن عليه وعلى ما جعله يغوص في النوم إلى هذا الحد. تلجلج الشيخ، فبادره عم صبحي قائلا:

ـ آآه.. لازم سهرت كتير في قراءة القرآن امبارح يا شيخنا

اومأ الشيخ برأسه بالموافقة ولم ينطق. أخبره صبحي أن الأطفال منتظرون وقد أصبح عددهم خمسة عشر رأسًا. اعتصر الشيخ عينيه

فظهرت أمامه مائة وخمسون جنيه مقسمة إلى عشرات تجلس أمامه تستمع للقراءة.

حثّه عم صبحي على الإسراع وسينتظره أسفل العمارة، ارتدى ملابسه سعيدًا بالأموال التي تتوالى إليه من كل جانب، مادحا نفسه وذكاءه الذي بدأ في استعماله، فأخذ محموله سهوًا بدلًا من المصحف وهبط إليه، سأل عم صبحى:

- أين مكان تجمع الأطفال يا صبحي يا خويا؟
- المسجد
- إيه المسجد؟ لماذا المسجد؟
- لأن العدد زاد خالص يا شيخ ومش عارف مكان واسع غيره.

وافق على مضض فدخول المسجد شيء عادي، ثم تذكر ليلة أمس، فتردد وارتبك ووقف فجأة وسط الشارع قائلا:

- لأ، مسجد لأ

أفزع عم صبحي فأجاب مندهشا:

- لأ؟ لأ ليه يا شيخ؟ حد يقول على المسجد لأ؟
- أقصد مش دلوقتي
- ازاى مش دلوقتى.. مالك يا شيخ جرالك إيه؟!!
- لا مافيش أصلي نسيت حاجة في البيت ولازم أرجع أجيبها

وهمّ الشيخ بالعودة فأوقفه صبحي ولم يتركه ويجذبه لإكمال الطريق قائلا:

- آه عارف المصحف؟ انت نسيته في البيت، بس المسجد فيه كتير إن شاء الله.. ما تقلقش
- لا لا.. لكنى لا أستطيع القراءة في غيره

- ازاي بقى يا سيدنا تعالى فاضل على المسجد خطوات.. تعالى بس.

جذبه ولم يعلم لأي سبب يعارض الشيخ الذهاب إلى المسجد والعودة للمنزل بهذا الإصرار، يخشى أن تقل هيبته أمام الجيران، «**السبب الوحيد الذي يجعلني أسمح له بالعودة هو إن كان متزوجا وقد نسي أن يصلح شيئًا ما أو يتطهّر، لكن الحمد لله أنه غير متزوج**» يقول عم صبحي في نفسه.

اقترب الشيخ من المسجد مجرورا من تحت إبطه يرد الإفلات بأية طريقة لكنه لا يستطيع، وأيضًا لا يريد الظهور بعذر غير لائق أمامه، «**كيف سأدخل المسجد بمصيبتي؟ الخطوات تقل والمسافات تتلاشى، لابد من الخروج من هذا المأزق بأي شكل، افلتُ منه عنوة وأهرب؟ تضيع هيبتي، أعرض عن الاتفاق وأرفض الاستمرار، تضيع كل خططي وثروتي وتكثر الأقاويل، نعم.. اُمرض نفسي وأقع على الأرض فورا**».

افتعل الألم والإغماء، وسقط أرضًا قبيل المسجد بخطوات، اسنده عم صبحي واستدعى الشيخ المجتهد بصوتٍ عال فأتى له بالكرسي. وأدخلاه محمولا إلى المسجد ليداوونه، يقول صبحي:

- فوق، فوق يا شيخ فؤاد، شايف العيال قد إيه.

أفاقه الشيخ المجتهد ورحب به، وما إن وجد فؤاد نفسه داخل المسجد لا محالة، استفاق على مضض، قائلا لنفسه «**الصلاة فقط هي ما تشترط الطهارة ولا شيء في دخول المسجد**».

كان يتمنى عدم لمس المصحف، فلمسه بالفعل لمسة واحدة، فهو أمام الجميع شيخ، فأباح اللمسة، وظل يقرأ ويكرر في صفحتين متقابلتين دون أن يضطر لقلبها، تقليلًا للمصيبة.

بعد جلسة التحفيظ، استدعاه الشيخ المجتهد إلى الحديث معه حتى تحين صلاة العصر، لأنه يشك في بعض أحكام التجويد التى سمعها منه أثناء التحفيظ، دبت الريبة في نفس الشيخ فؤاد، أراد أن يتملّص من الحديث قبل الصلاة، اختلق كذبة جديدة لأمر هام وفر إلى منزله. اندهش الباقون من تعجله وفراره قبيل الصلاة وأيضًا اعتراضه على دخول المسجد من الأساس.

حدّث نفسه بصوتٍ عال وهو يستحم:

ـ كنت هاقول لهم إيه؟، الراقصات والنسوان توّهتني؟؟ اللي حصل في الزاوية هايبوظ كل حاجة، لازم وضروري ألاقى تبرير ماحصلش، اشتغلي يا دماغى الله يخليكي، أقول إن كارثة وقعت في بيتى؟، ولاّ مراتي جتلي على غفلة، أيوا دول عارفين إني متجوز، هئ هئ هئ فكلاهما كارثة محققة... أخ.. أين الصابونة؟ أين الصابونة؟ اخص الله يقرفك

انزلقت الصابونة أثناء ما كان يفرك بها فروة رأسه، شطف وجهه سريعًا من رغوتها، بحث عنها فوجدها قد غطست في العين السحرية للراحة النفسية أسفل قدميه، رآها تلمع ببياضها وسط الأوساخ وكأنها تغيظه وتنتهز الفرصة للفرار منه، لفظته باحثة لنفسها عن مجال آخر تذوب فيه حتى ولو كانت المجارير، خير من فروة رأس هذا الشخص الذي يكذب ويفر من الصلاة داخل المسجد ويمس المصحف نجسًا.

قال بغيظ:

ـ لأ.. مش ها تهربي منّي أبدًا

قالها بتحدٍ للصابونة وكأنه يعاقبها على فعلتها. صرخت الصابونة عندما وجدت يده تمتد داخل الفوهة غير مبال بالعواقب العالقة بها وبالصابونة. قبض عليها وأخرجها ونصفها داكن تكسوه الرائحة:

ـ اهاااااا... مش انتي اللي تخليني أضيع فلوسي على صابونة جديدة تافهة

شطفها، لأنه يعلم أن الصابون يجدد نفسه ولا يضره شيء. لم يعلم أحد بأمره، هي علمت، ولكن الكذبة التى كذبها في المسجد الكبير لم يعلمها شخص وعلمها شيء آخر سوف يعلن عن غضبه يوما ما.

انتهى وخرج من حمامه سعيدًا وقد اتكأ إلى بضعة أعذار جهنمية اختلقها تكفي للعفو عن وزير الأوقاف نفسه إن فر قبيل الصلاة، رنّ جرس هاتفه بصوت اعتيادي هذه المرة، رد:

ـ السلام عليكم، من معي؟

ـ وعليكم السلام.. كيف حالك يا شيخ ياسين

ـ بالتأكيد معي الشيخ أمير

ـ نعم صحيح

ـ أنت يا شيخ أول من يأخذ رقمي لأني بالكاد قد اشتريته قبل الموقف الحرج الذي فعله بي عندك

ـ حصل خير إن شاء الله، المهم، إني احتاجك الليلة للقراءة في أحد المآتم الكبيرة المقامة في رحاب المسجد ولأن المقرئ اعتذر لوعكة صحية مفاجئة

ـ إن شاء الله أكون عندك بعد قليل يا شيخ أمير، أنت تؤمر

- الأمر لله، ولكني كنت أريدك الأن لنتباحث بعض أمور التجويد التى تنقصك قبيل القراءة
- بالتأكيد يا شيخنا.. فأنت خير معلم، سآتي على الفور
- فى انتظارك.. في حفظ الله

أغلق الخط وقال سعيدًا بصوت مرتفع:

- يا سلام على التكنولوجيا، يا أخى برضو ليها فوائد مثلما لها عيوب، إزاي كنت هعرف بالرزق دا من غير السفروت دا؟ دنا ماكنتش رايح له النهاردا خالص، اللهم العن العيوب وزد في الفوائد يااااارب، أخ.. أنا لازم أتعجل واركب المواصلات لأني لو مشيت المسافة دي هوصل بعد ساعة ونصف وخصوصًا إني همشي من سكة تانية بعيدة عن المسجد الزاوية، هئ هئ هئ.. قال عايزين يوقعونى قال، هذا العيّل الهلفوت عامل نفسه شيخ.. ويعدّل على أحكام تجويدي؟، و (**الفرقع لوز**) صبحي يرغمنى إلى هذا الحد، يا نحسي ابعد عنّي، وقرّب منّي ناس يدفعوا لي، يعنى كان لازم الميت يموت اليوم، فيها إيه لو مات بكرا كنت أروح على مهلي من غير فلوس مواصلات.. الله يخرب بيت المواصلات على المآتم في يوم واحد، مش كانوا دفعوا لي في منزلي وأخذوا صوتي على شريط؟؟ اعتقد أنه سيمنحنى ملابس تليق بشيخ في هيبتي كما وعدني الشيخ أمير وسأعود غانمًا. هئ هئ هئ.

ركب سيارة ميكروباص لأول مرة منذ زمن بعيد، وهو يردد دعاء الركوب ويؤكد جهرًا على جملة (**وإنا إلى ربنا لمنقلبون**)، أجّل دفع الأجرة حتى وصل لمكانه أولًا متجاهًلا نداء السائق بالدفع، عله ينسى، ذكّره السائق خلال الطريق مرارا، فيرجئه حتى ينزل، ليتأكد من سلامته لحظة الوصول، نزل ودفع الأجرة لاعنا السائق على أخذه للنقود.

وصل إلى المسجد، دخله وهو يتخيل الخمسين جنيها الجديدة التى سيأخذها هذه الليلة متربعة على بابه مستقرة في حافظته، لا يعلم أن أجر المقرئين قد يعد بالمئات، فما يمكن أن يصيبه بعد علمه بذلك؟، فقابل الشيخ أمير وبجواره الشيخ عمر في أبهى هيئة، وشيوخ آخرين. العزاء يجمع كبار شيوخ المنطقة والمناطق المحيطة، وعلماء وفقهاء الدين، وفجأة رأى من بينهم على مسافة ليست ببعيدة الشيخ المجتهد شيخ الزاوية، الذي كان يصوب إليه نظرة ريبة دون أن يقترب منه، فهو غير مستعد لإلقاء الأعذار الأن، عن سبب مغادرته قبيل صلاة العصر، ارتبك حين تذكر أن اسمه في منطقته يختلف عن اسمه هنا. «**يا نهار اسود**».

شعر أنه وقع في شرك خشي الوقوع فيه طيلة فترة إقامته في منطقته الجديدة، وكان يبتعد قدر الإمكان في بحثه عن عمل لهذا السبب، فلم يفد الابتعاد، «ماذا أفعل؟، فقط أحاول ألا ألتفت إلى أحد.

قطع الشيخ أمير شروده وقال:

- الفرصة لا تعوض لكي ينتشر صيتك ويسمع صوتك الجميع يا شيخ ياسين، فالمتوفى شيخ معروف وكان يحتل المناصب العليا، فتجمع تحت عزائه المئات، وسبحان الله رغم أن

الحزن عمّ الجميع، إلا أن هناك من يسعد بذلك سعادة غامرة، لمستقبل مشرق له إن شاء الله

بدل الشيخ ياسين ملامح ارتباكه سريعًا وابتسم ابتسامة مكتومة وكأنه يوائم دعابة الشيخ أمير، فأضاف الشيخ عمر:

- نعم هذا رزق أولاده الست، هذه الفرصة ينتظرها الكثير من المقرئين المتواجدين
- حولنا الآن وينظرون إلينا، فالأعين جميعها ستكون مصوبة إليك، فأحسن وتوكل.. فإن الله يعطي على قدر النية

ازدرد الشيخ ياسين ريقه بصعوبة وحاول الإجابة بسعادة:

- بإذن الله سأرفع رؤوسكم عالية على حسن اختياركم

ويقول في نفسه متوعدًا: «رزقى لن يأخذه غيري، وسوف ترون شيخًا لم تروه من قبل، ولن ينكشف أمر اختلاف اسمي بمجرد مرور القراءة بسلام، هئ هئ، لن يضيع مجهود سنوات كدْ، اطمئن خلالها الجميع لي، وإن حدثني هذا الشيخ الصغير الصعلوك ـ يقصد الشيخ المجتهد ـ سأقول له اسم الشهرة يختلف عن اسمي في البطاقة الشخصية، هئ هئ هئ، يا لبراعتى هئ هئ هئ «

توافد الوافدون إلى مقاعدهم منتظرين موعد بدء المقرئ في القراءة. وسمع كامل بعض أحكام التجويد بطريقة سريعة من الشيخ أمير في غرفة الإمام.

اعتلى كامل كرسيه، يستوي عليه بعدما ارتدى العباءة والعمة الحمراء الممنوحان له، يقوم البعض بتعديل الميكروفون ليقابل وجهه مباشرة، ألقى كامل نظرة خبيثة على الجالسين فوجد أعدادًا اعتقد أنهم تخطوا الألف، تخيل على كل كرسي تجلس خمسون جنيها تلوح له.

قبيل القراءة بلحظة، نظر إليه الشيخ أمير الذي اتخذ من أقرب كرسي للمقرئ مجلسا له، وأشار إليه بغلق الهاتف المحمول. تذكر كامل على الفور وشكره لملحوظته الهامة، فهمّ بإخرج هاتفه من جيبه وفتحه ليقم بإطفائه.

وإذ بهاتفه يصدر صوت صرخات مدوية داخل الميكروفونات، اثقبت أذان نصف سكان القاهرة عن طريق السماعات الضخمة في جميع الأرجاء، آهات للفيديو الإباحى المسجل على هاتفه، فقد نسي كامل أن ينهي تشغيل الفيديو ذاته قبل غلق الهاتف بعد مشاهدته ليلة أمس، فزع وفرّ الهاتف من يده إلى حجره، ومن حجره إلى الأرض، لم يستطع التقاطه مرة أخرى ليتحكم في الصوت المتوالي الدفقات، ما اقشعرت به أجساد الحاضرين والمستمعين وأذهلتهم صاغرين، وقد لَفَظَه هاتفه المحمول نتيجة تصرفاته هذه المرة.

ذهل الشيخ أمير والشيخ عمر لهذه المفاجأة الصاعقة، واندفع إليه جميع الحاضرين وجذبوه أرضا من فوق كرسيه منهالين عليه بالضرب بالأقدام والنعال وتحطيم الهاتف ليخرسوا الصوت، يتوعد له الجميع بإبلاغ الشرطة وسجنه والبحث وراءه، وعن مكان إقامته، لتوقيع جميع العقوبات الممكنة عليه، فالمتوفى علّامة وذو مكانة، والحضور علماء مرموقون، والفضيحة مدوية، أساءت لسمعة المتوفى والحضور والمسجد والمقرئين جميعًا.

وظهر صوت يقول:

ـ أنا أعرف منزله

صوت الشيخ المجتهد، الذي على صلة طيبة بعم صبحي الذي يعرف منزله بالتحديد، سمع كامل هذه الجملة وكانت الأخيرة، لأن

بعدها تناول قدمًا على أذنه فأثقبتها، فبمجرد تسليمه للبوليس وكشف هويته الحقيقية ستنسب إليه جميع بلاغات السرقة المحررة ضده منذ سنوات وكان هاربا منها. رأى بعين خياله القضبان الحديدية الصدأة تحيل بينه وبين ثروته، لأن عينه الحقيقية تورمت من الضرب، غير مدرك تمامًا ما حدث له للتو، متحيرًا بل في شدة الحيرة يفكر في أمور عديدة جالت بخاطره دفعة واحدة تلْقى بها كل ضربة موجعة على جسده، يسأل نفسه: «**ماذا فعلت لكل هذه النهاية المؤلمة المفاجئة التى لا أستحقها؟ رغم أني لم أستغن عن القرآن الكريم في الأيام القليلة البائدة أبدًا، بل استعنت به في كل أموري، ألم يوفق الله الأذكياء طيبين القلب مثلي أبدًا؟، أم أنه يحارب الناجحين الفقراء ممن يتقربون إليه؟، أم أن الاعتماد عليه يضيع الإنسان؟، أم أن الإسلام كله كذبة؟ أين أنتِ يا أمى؟**»

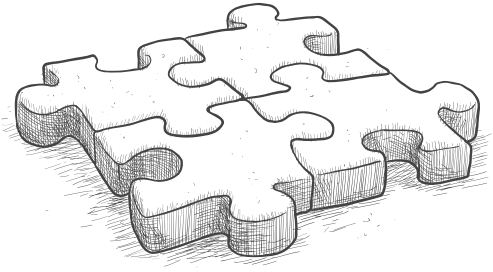

حرف الأسفلت

يختفي كريم كل صباح في مدخل أحد المنازل من أبيه، المعلم جودة الجزار، الذي يظل ينادى عليه بأقصى ما لديه من قوة وسط الشارع، فهو يتلذذ بالفرار منه بأعذار مختلفة، الذي يرغمه على الاستيقاظ مبكرًا ليعمل معه بعدما فشل في دراسته وترك المدرسة من المرحلة الإعدادية، فكريم لديه تطلعات أخرى، غير كار الجزارة الذي احترفه أبوه مؤخرًا وفتح له دكانًا في الزقاق المتواضع لمسكنهم.

هل يكتفي كريم بحبه ركوب (**التوك توك**) مع أصدقائه منذ الدراسة، ليرقصون ويلهون على أغنياتٍ هابطة ظهرت حديثًا، لمغنين يتغنون بما يشبه لغة الشارع، تعجبهم كثيرًا هذه اللغة البسيطة التي تم تحريفها من اللغة العامية المصرية الطيبة العريقة إلى ألفاظ نابية مشوهة قام البعض بتلحينها وتحريفاتها، كمن قام بتعبئة عصير قمامة في زجاجات عطور، فأنتجت قبحًا يزعج المستمعين ويشمئز الناظر إلى مصدرها، هل هذا ما يفضله كريم وأصدقائه؟يهرب ليشارك الأطفال

والمراهقين من أصدقائه ممن يمتهنون مهنة سائقي التكاتك، الذين يتجمعون في الموقف العمومي للتكاتك على ناصية الشارع أو أمام محطة المترو، يستمتعون بعملهم في هذه المهنة، وكأنها إحدى متع الحياة الكاملة التي لا غنى لهم عنها، يعلمون جيدًا مدى الرفاهية التي أصبحوا عليها؛ لأنه عمل نزيه لا يتحكم فيه رئيس مباشر إلا في نهاية اليوم، فيمارسونه بالحرية والرقص والتدخين في أي مكان.

كما يزداد كريم انغماسًا في متع الحياة حين يسير بالتوك توك المملوك لأحد أصدقائه، يقومون بمشاكسة الفتيات الجميلات المارات، فيشعرهم بجدارتهم الرجولية التي أتموها من قبل بالمدخنات والشتائم الجارحة لبعضهم البعض من قبل، فمعظم الأطفال قد أشترى لهم أباؤهم التوك توك ليعمل عليه طوال النهار، معتقدين أنهم التقطوهم من حياة الشارع والتشرد وعدم الفائدة إلى حياة المسئولية والرجولة وبناء الذات من وجهة نظرهم.

يأس المعلم جودة من كثرة مناداة ابنه، فعاد إلى محلّه وسط اللحوم يلملم (**قفطانه**) ويرفعه قليلًا ليساعد صبيه الذي أمره بإدخال اللحوم المعلقة إلى الثلاجة مرة أخرى، ليتم إغلاق المحل في قدح النهار، قائلًا لصبيه:

- الواد غار في داهية كأن الأرض انشقت وبلعته.. طالع واد فاشل زى مين؟.. مش عارف.. كان نفسى يتعلم شغلانة الجزارة قبل ما تنقفل عليه وعلى دماغ أبوه.. الواد مش عايز يحط رجله في المحل.. زي ما يكون قلبه كان حاسس إنها هاتخرب..

يقول مغتاظًا وسط الشارع لابنه كريم الغائب:

- أهِه خربت على دماغ أهلك يا ابن الكلب.. وها تنقفل الجزارة ومش هاتشوف اللحمة تاني.. وحياة أمك لجوّعك.. بقى الجزارة مش عجباك؟ أنا مش عارف مصيبة الواد ده جت لي منين؟؟.. صحيح ولاد الحرام مخلوش لولاد الحلال حاجة.

استطرد لصبيه:

- عارف يا واد يا (**سكّينة**) لولا الثورة المشئومة دي.. كان زمان الواحد عاش ملك.. لجل إن الحبايب كلهم دخلوا السجن.. وظهر لنا بدالهم شوية بهايم تعرفش جُم منين.. بيفتشوا في كل حاجة تافهة.. على الفاضى وعلى المليان.. قالك لازم تدبح في الزفت الخانكة دي.. السلخانة.. قلنا ماشي.. وانقصف عمر القرشين اللي كنا بنكسبهم.. وقلنا ماشي. ماكفاهمش خراب.. راح جاي قايلك عايزين ورق الدبايح سليم.. يعنى أروح للحمار اللي بايع لي البهيمة.. وأقول له ادينى ورقة بيع مختومة بـ (**الجِلّة**) على دماغه.. عشان يتأكدوا ويستريحوا.. يا عم دي بقت شغلانه تعل يا راجل.

يهم المعلم جودة واقفاً متجها إلى عمارته ـ المِلك ـ القريبة من المحل، والتي يسكن في إحدى شققها بالدور الأول، ويكمل:

- اقفل المحل ياد وابعت لي المفتاح على فوق.
- حاضر يا معلم.

يرد على صبيه وهو يهمهم بصوت مسموع:

ـ معلم إيه بقي؟.. بلا معلم بلا هباب.

ويقول لابنه الغائب بنفاد صبر:

ـ طب وحياة أمك لأغيّر الكار وانا وانت والزمن طويل

يقابل في طريقه الأستاذ عزت، في الخمسين من عمره، جاره الذي يقطن في العمارة المجاورة، عائداً من عمله في إحدى قصور الثقافة، ممسكاً في يده بعض الأرغفة وبعض الخضار والفاكهة لزوجته وأولاده، الذي رأى عبوث وجه المعلم جودة، فقال له بابتسامة سمحة ووجهه بشوش من فوق نظارته الكبيرة:

ـ ـ ما لك يا معلم جودة فيه إيه؟

ـ ـ ياعم الله يخرب بيت الثورة على اللي عملها.

ـ ـ مالها الثورة زعلتك في إيه؟ ما هي زي الفل أهِه والدنيا بتتظبط.

ـ ـ فل؟ دا فل مدخشش.. فل معطب.. بقى بزمتك انت لاقي تاكل؟

ـ ـ الحال على القد وأهه ماشيه والحمد لله.

ـ ـ ماشيه إيه.. ياعم إحنا هانضحك على بعض.. هما المليمين اللي بتاخدهم من الثقافة بتاعتك دي.. بيكفّوا الأكل والمصاريف والدروس الخصوصية لعيالك؟!!

ـ يا معلم..

ـ معلم إيه بقى.. أنا خلاص.. تبت.. ماعدتش حاشتغلها تاني.. أهِه جابت درفْها بسبب المخروبة اللي اسمها الثورة دى.. اطلع يا شيخ اطلع.

افترقا حين وصل كل منهما إلى مدخل عمارته، لا يستطيع الأستاذ عزت الرد عليه في حالته الغاضبة هذه، فدخل إلى عمارته مودعًا المعلم جودة مبتسمًا لحالته الناقمة التي اعتاد عليها.

صعد المعلم جودة السلم إلى الدور الأول حيث شقته، فتح بالمفتاح ودخل، وإذ به يفاجأ بصوت صاخب لأغنيات هابطة تخرج من غرفة ابنه كريم، منعت تبادل الصوت بينه وبين زوجته الطيبة المنشغلة في أعمال المطبخ، مما زاد من غضبه. اتجه إلى غرفة ابنه يحاول فتحها فلم يستطع فقد أغلق كريم على نفسه الغرفة من الداخل، ليستمتع بالرقصة الجديدة، التي تعلمها من أصدقائه، ولم يسمع محاولات أبيه لفتح الباب، فقرع الباب بعصبية، فزع كريم بالداخل غاضبًا متوعدًا لمن يطرق عليه الباب، واعتقدها أمه لأن أبيه لن يعود مبكرًا من محله، خفض صوت سماعات الكمبيوتر، اتجه ليفتح الباب، فوجد أبوه أمامه، صمت وتراجع عن قرار انفجار كلماته التي انفجرت من أبيه إليه، موبّخا، معنفًا يطرقه ببعض الضربات الخفيفة، يستشيط غيظًا من استهتار ابنه، الذي يحرص على الهروب من العمل معه في أي مشروع يقيمه، ويفضل هذه الأغنيات المشوهة القبيحة التي تشجع على التمرد وحياة الشارع، بصحبة رفقاء متشردين يحرضون على الفساد.

تكدر كريم، وازدادت رغبته في إعادة الصفاء الذهنى الذي كان عليه، لكن بصحبة أصدقائه هذه المرة، وما أن دخل أبوه دورة المياه، تسلل إلى خارج الشقة قاصدًا صديقه (**على**).

خرج المعلم جودة من دورة المياه، لاعنا يوم ولادة ابنه، يوجه كلامًا إلى زوجته وهي تقوم بتحضير الغداء:

- يعني يا ولية ماكونتيش عارفة تخلّفي كام عيل تاني غير المقصوف على عمره ده!!
- يووووه.. وأنا مالي يا حاج.. دي حاجة بتاعت ربنا.. وانت حاجج بيت الله.
- طب حضري نفسك يا اختى.. عشان ربنا بيقول أربعة.

لم تعتد أم كريم على سماع كلام عن شركاء لها، فحزنت وصمتت ووضعت بقية الأطعمة على الطاولة بانكسار، شعر أبو كريم بذلك ولكنه لم يصمت، وفضّل أن يوضح أسباب انفعاله التي أدت به إلى قول كلامه الجارح:

- مش كفاية القرف اللي الواحد فيه.. أنا هسيب الكار.. اللحمة وانطربقت فوق دماغنا.. والتموين ومفتح عينه قد كدا.. والرجالة التمام بتوع زمان اللي كانوا بينفعونا اتسجنوا.. وابنك خايب الرّجا.. مش عايز يتعلم حاجه تنفعه.. وصايع في الشوارع ورا شوية الصيّع بتوعه.
- يا أبو كريم ما انت لسه قايل بعضمة لسانك.. إنك هتسيب الكار.. زي كل مرّة.. عايز الواد يتعلمه إزاي؟.. واللي هايتعلمه هايعمل بيه إيه؟
- يا ولية أهي حاجة يعرفها.. بدال ماهو حمار عمالين نعلف فيه على الفاضي.. ما أنا قدامك أهه.. بفهم في مليون حاجة.. من كتر ما جربت واتمرمطّت.. وأعرف أجيب القرش من الهوا.. لولا بس الظروف اتشقلبت في المخروبة دي.. وقال بيقولك هاتتعدل.. واللي جاي أحسن.. ابقوا قابلونى.

- طب وهاتعمل إيه يا اخويا في القرش اللي شكله هايطير مع اللحمة دا؟
- لاااااء.. يطير؟؟.. ما بقاش أنا المعلم جوده ابن العطار.. إن ما عملت له عشّ جديد.. بكرا تشوفي.. هو أنا عمري خسرت يا ولية؟؟
- طب كل يا حاج.. وأنا هادخل اشوف كريم يجي ياكل له لقمة معانا.
- نادي عليه ابن المنفوخ دا من جوه.

اتجهت أم كريم إلى غرفة ابنها وقد تخلّت قليلًا عن حزنها، بعدما علمت بعفوية زوجها نتيجة نيته بإغلاق مشروع اللحوم. فتحت باب الغرفة فلم تجد كريم، علمت أنه هرب كعادته.

اتصلت بوالدة صديقه (**علي**)، فأخبرتها أن كريم قد حضر وخرج مع ابنها، فاطمأنت وأغلقت الخط، وذهبت لتكمل الغداء.

انطلق كريم إلى موقَف التكاتك المتكدس أمام محطة المترو حيث يلتقي برفاقه المحببين منذ الدراسة، (**علي**)، و(**سيد**) صاحب التوك توك، وصحبتهم التي يراها لا تعوض، يجذبه صوت الأغنيات الصاخبة بتقسيمات طبولها المثيرة التي تثير كل ذي موهبة في خصره، من النساء والرجال، فالأغنيات لها تأثير رهيب على تحريك أعضاء جسم الإنسان، فتتميز بأن دقاتها وكأن ثيرانًا ضخمة تنطح في طبلة عملاقة، لم يتمالك سائقي التكاتك أجسامهم فيرقصون بجرأة أمام أملاكهم (**التكاتك**)، ومن يستطع تمالك نفسه من المارة يمر وسطهم ضاحكًا على مشهدهم، حتى انتقلت عدوى الرقص الى تلابيب عقول الفتيات المارات، فالفتيات لسن بالساذجات لدرجة الرقص

في الشارع، فسعين بجدية في الحصول على مثل هذه الأغنيات من أصحاب التكاتك أو من خلال الإنترنت لتتعاظم تقصعاتهم اللولبية داخل منازلهم وفى غرفهم الخاصة فقط، فاندمج هذا التلوث السمعي سريعًا مع التلوث الذي في العقول وأصبح غذاءً للجسم لا غنى عنه.

يسرع كريم للاندماج معهم مبتسمًا يكافئ في قرارة نفسه على هروبه من المنزل الكئيب إلى هذه الحياة الحقة، يتخلل خلف المارة من الشباب والفتيات والعجائز بين التكاتك الواقفة بعشوائية، مثلما يتخلل القطن كرة الشوك، حتى يصل إلى رفاقه، يلقي عليهم السلامات السريعة وكأنه يضرب الذباب على كفوفهم، والقبل الفردية على ناحية واحدة من الوجه وكأنه يقرف من الاقتراب لصاحبه، وبحركة لولبية وقبل كل شيء دخل توك توك صديقه سيد يبحث عن كيس صغير به مثبت للشعر، فوضع بعضًا منه فأوقف شعره كالأهداب من أعلاه، والجانبان دعكهما فجعلهما كأغصان الأشجار العتيقة المتدلية الميتة، ينظر بالمرآة ليتأكد من جاذبيته، خرج لرفاقه فناوله أحدهم سيجارة فاسكمل رجولته بكل ثقة وهو يحملق في مؤخرات الفتايات المارات كجميع أصدقائه، يحرص بعضهم على انتقاء الزبونات الجميلات فقط ليقوم بتوصيلهن، وتكون سعادة غامرة إن ركبت إحداهن مع صديقه سيد فيقفز ليركب بجواره وينطلقا، ويتباهى وسط زملائه بها وكأنها عروسه، يتناوبان النظر إليها خلسة وإلى المرايا المنتشرة داخل التوك توك المسلطة على أجزاء متفرقة من جسم الزبونة توضح تضاريسها المثيرة وأفخاذها المتلاصقة، وسريعًا يدور حوار فكاهي يبدأه سيد مع كريم في محاولة لإثارة ضحك الزبونة، تتخلله جمل إيحائية ترمي إلى معانٍ كثيرة تستفز "**شقاوة**" الزبونة، وإن لم تستجب يتطرق إليها

بأسئلة متعلقة بالمكان المقصود، بغية أن يستقطبها كصديقة في النهاية، لا يعلم أن الفتيات لم يعدن ساذجات إلى هذه الدرجة حتى يعجبن به، ومن ييأس منهن يصطنع محادثة تليفونية مع محبوبته عبر هاتفه المحمول ليثبت أنه مرغوب فيه فعلًا، وهو يحاول أن يعيطها إحساسًا أنه يتكبر على جمالها، أو يعاملها بعجرفة عند مد يده ليأخذ حسابه كأي أجير آخر.

لا يهتم كريم برد فعل الزبونة، فهناك العديدات الأخريات اللاتي ينصعن لصداقات سيد وكريم؛ هذان المراهقان خفيفا الظل، ويكونا في نظرهن فارسا الأحلام لأنهن هاربات أيضًا من منازلهن، ولم يعرف أحد عنهن أية أخبار، لا يتوانى كريم عن الخوض في أي مفردة من مفردات تلك الحياة الممتعة، وفقد عذريته سريعًا مغلفا رجولته بتدخين المكيفات في ليال أنس داخل التوك توك في مناطق نائية.

وبعد المرح داخل التوك توك، يعودوا ضاحكين، يتراقص كريم بجوار صديقه (**علي**)، الذي يشاركه السعادة، على إثر أغنية غير مفهومة يرتفع فيها صوت دقات طبولها عن كلماتها، لتزعج المناطق بأكملها مسيرة التوك توك، يقودهما (**سيد**)، الذي يتفرغ لقيادته بعد مواعيد المدرسة، ليصطحبهما ويشقوا الطرق بسرعة الريح مزهوّين بحالهم لفترة فسحة لا تنقطع عادتها، حتى يحين موعد الدروس الخصوصية، فالصديقان (**سيد**) و(**علي**) أكثر ذكاءً من كريم، فهما على دراية بأن الدراسة أمرٌ هامٌ ولابد من استكماله، لكنهما لا يظهران ذلك أمام بعضهم، وكل منهما يظهر سأمه منها أمام كريم، حتى وقع كريم في الفخ، واقتنع بأن الدراسة لا فائدة منها، فترك مدرسته نهائيًا لفشله وطالب أباه بشراء توك توك له لكنه رفض، فيأس ونقم على أبيه منتويًا

العيش بلامبالاة تحت كنفه، حيث أقنعه أصدقاؤه أن أباه مجبرًا سوف يوفر له كل متطلباته دون عناء.

فى ذلك اليوم انتهى المرح مبكرًا؛ حيث حرص سيد وعلي على الدروس، وصل الأصدقاء الثلاثة إلى المركز التعليمي الخاص بالدروس الخصوصية، قام (**سيد**) بركن التوك توك أمام المركز، وما زال صوت الأغنيات على علوها المزعج، هبطوا منه يتراقصون في دائرة مغلقة، فاستفز صوت الأغنيات زملاءهم القادمين للدروس، فشاركوهم الرقص جميعًا، يتقاسمون الحركات بخيالهم الواسع شاهرين في الهواء أسلحة بيضاء وهمية، مناورين بعضهم البعض وكأنهم في خناقة راقصة، وأصبح فرحًا شعبيًا أمام المركز التعليمى يحييه طلاب العلم، الذين اعتقدت وزارة التعليم أنهم تواقون لمعرفة السر وراء عمل الخلية الحيوية أو مكونات النواة في جسم الإنسان.

خرج إداريو ومديرو المركز التعليمى هلعين إلى الخارج، ليوقفوا هذه المهزلة المزعجة لبقية الدارسين بأية طريقة، وفى أيديهم العصى، مندفعين بغلٍ إلى الراقصين، ففروا جميعًا من أمامهم منتشرين في البيوت والأزقة وخلف السيارات وفوقها، ولم يستطع أحد الإمساك بأحدٍ منهم، حتى (**سيد**) صاحب التوك توك قد اختفى. يحاول الإداريون إخراس أصوات الأغنيات التي تشوش على جميع الدارسين في المركز لكن دون جدوى، فقام أحد الإداريين بتخريب جهاز المسجل الخاص بالتوك توك فأخرسه نهائيًا، وفور أن سمع (**سيد**) أن الصوت قد سكت، انزعج وخرج من خلف صندوق القمامة مغتاظًا، متجهًا للتوك توك، يعلم أن جهازه لا ينطفئ إلا بالريموت كنترول الذي في جيبه فقط، وليس به مفتاح غلقٍ يدوى، وهو يقترب ليتبين ماذا حدث، فاتضح له أن أحدهم

ما زال يقوم بنزع أسلاكه من مكانها بطريقة وحشية، لا بها من رحمة لوسيلة (**أكل عيش**) ضعيفة مثل هذا التوك توك الصغير، فجن جنونه، وراح يدافع عن ابن أمه ـ التوك توك ـ، اندفع إلى الرجل، جذبه بعيدًا متبجحا فيه، فناوله الرجل بالعصى على ساقه، فاشتبك معه (**سيد**) وهو يصيح بشتائم، فخرج جميع المتخفيين من مخابأهم يساندون (**سيد**)، حتى تطور الوضع والتحموا مع بقية الرجال وأصبحت خناقة كبيرة، تعطل على إثرها أيضًا جميع الدارسين، الذين تجمعوا حول النوافذ ليشاهدون الخناقة التي احتدّت أوصالها، يتجمع كل ثلاثة أطفال فوق رجل ليضرب فيه، فانسحب المدرسون والإداريون هرباً إلى داخل المركز درءً للموقف وللإصابات. يريدون تصعيد الواقعة أو اللجوء إلى الشرطة لإدراكهم أن الاستغاثة بالشرطة في ذلك الوقت سوف لن يكون في صالحهم نهائياً، برغم أنهم هم أصحاب المركز وتم الاعتداء عليهم لكن وضعوا نصب أعينهم ما قد يفعله أهالي المراهقين ما إن علموا بموضوع الشرطة والقبض على أولادهم. فلديهم القوة فوق قوة الشرطة. كانت بعض أقسام الشرطة مغلقة أو محروقة بعد أحداث ثورة يناير، ولم يتم تجديدها أو إعادة بناء المتهدم منها بعد. وما قد تم ترميمه كان ولازال غير قادر على الدخول في الخدمة حتى بعد مرور عام كامل، ومن دخل في الخدمة لم تكن له السطوة الكافية لردع أي مكروه عن أي مواطن بالقدر الملائم، فالخوف الحقيقى الآن من أهالي أطفال لم تتعدَ أعمارهم الخمس عشرة سنة. ولذلك اضطروا للانسحاب وعدم إبلاغ الشرطة، لكن فوجئوا أن الأمر لم ينتهِ بانسحابهم. فقد هجم عليهم الأطفال، الذين زاد عددهم على الخمسة عشرة، مقتحمين مدخل المركز التعليمى، بعصيهم التي انتشلوها من الشوارع والقمامة، وما

ادخره (**الأصدقاء الثلاثة**) داخل التوك توك من (**الشوم**) تحسباً لأي خناقة مقصودة أو عابرة، راحوا يحطمون زجاج الأبواب، والنوافذ، والمكاتب، والكراسي، والأجهزة الإلكترونية، وكأنهم في معركة فتح مبين لطرد المشركين. فاضطر الإداريون للهرب إلى الأدوار العليا، مما تسبب في إثارة الذعر لدى بقية الدارسين والمدرسين في المركز ككل، وسادت حالة من الفوضى على شاكلة اقتحام إرهابى مدبر، وما هو في الواقع إلا روح ثورية اكتسبها الأطفال خلال الثورة عن طريق الخطأ من بعض البلطجية، وأفراد لديهم سابق إجرام، ظهروا وكأنهم أبطال ثورة حقيقيين أمام العديد من الأطفال، في عمليات السرقة والنهب والاعتداء، كأسلوب للعيش، حتى اعتقد الأطفال أنه الأسلوب الأمثل في إظهار القوة الواجبة في جميع المواقف، فاتخذوهم كقدوة حسنة للشجاعة، وساد هذا الانطباع لدى مختلف الأعمار ممن تقاطعت أعينهم على نفس الطريقة المتبعة من البلطجية خلال الثورة، وعلى استعداد باتباعها.

لم يعرف أحد من داخل المركز التعليمي أن يردع هذا الاقتحام، وفضّلوا أن يتراجعوا ويصمتوا داخل غرفهم حتى يهدأ المعتدون، وقد حاول أحدهم الاتصال بالشرطة، ولكن لا جدوى من النداء لإن رجال الشرطة لم يردوا عليهم، وحين قام أحدهم بالرد أغلق الخط مرة أخرى فورا أن علم أن هناك حالة اعتداء، فلديهم الكثير من بلاغات الاعتداء والسطو في جميع أنحاء المحافظة، فوق طاقة أي سلطة على تلبية هذه البلاغات، في هذا الوقت الحرج من الاضطراب الأمني الذي لم يستقر بعد.

اتحد الأصدقاء الثلاثة في ساحة الدور الأرضي للمركز، ممسكين بعصيهم ينتشر من حولهم بقية أصحابهم الذين تعرفوا عليهم لحظياً قبل قليل، الذين راحوا يفسدون في المركز تحطيمًا وسرقة، فقال الصديق (**سيد**) مخاطبًا أصحاب المركز بعنجهية:

ـ انتوا مفكرين إننا مش رجالة ولا إيييييييه؟

فيرد (**علي**) مباغتا:

ـ انزل يا جبان.. انزل لو كنت راجل.

ثم يكمل (**كريم**) منتهزًا هذه الفرصة ليثبت للجميع أنه رجل خطير:

ـ انزل لحسن أطلع أجيبك من بطن أمك.

وكان صوت كلًا من (**علي**) و (**كريم**) ما إن سمعته عبر الهاتف اعتقدته صوت فتاة من نعومته، وهما يحاولان أن يجعلاه خشنًا مثل صديقهم (**سيد**) فلم يخرجا بنتيجة مرضية.

تأكدوا من استسلام أصحاب المركز، فخرجوا متباطئين تملأهم الثقة والرجولة والشموخ؛ متجهين إلى الباخرة التوك توك، يلسمونها بنعومة، ثم يركبونها ويتجهون إلى موعد الدروس التالية في أماكن أخرى، على حسب جدول الحصص المقررة في ذلك اليوم، لكن الدرس المرة التالية في منزل أحد الأساتذة بذاتهم.

وصلوا إلى منزل الأستاذ وهم يتحاكون بأعماق احساساتهم لما فعلوه من أعمال بطولية أثناء الدفاع عن التوك توك، وأثناء الاقتحام المهيب، ضاحكين على منظر الإداريين المذعورين الذين اختبئوا كالفئران أمامهم، وما وصلوا إليه من حالة ثقة بالنفس، اعتادوا عليها منذ أفعال التخريب الذين شاركوا فيها بالمصادفة أثناء الثورة.

نزلوا من التوك توك معتدلين يهندمون ملابسهم، ينفضون ما علق بها. ربط سيد باخرته بالجنزير إلى الباب الحديدي أسفل عمارة الأستاذ. اتجه كل من (**سيد**) و(**علي**) صعودًا إلى الدرس، وينظران إلى كريم ويدعوانه إلى الانتظار في الشارع حتى ينتهيا من الحصة، فقال لهما بثقة:

ـ لا.. خد راحتك أزميل (**يقصد يا زميلي.**).. طب آجى معاكوا؟!!!

فضحكا، وضحك معهما، وعاد ليحرس التوك توك كالأسد أمام عرينه، يلتفت يميناً ويساراً مراقباً الشارع، محدقاً في المارة، وكأنه يستفزهم للخناق.

طال به الوقت، آلمته رقبته من الالتفات، اعتدل وسكن في هدوء لدقائق، تذكر مشاهده البطولية أثناء الاقتحام مرة أخرى، وضحكاتهم أثناء الطريق، ثم تذكر صعود صديقيه وهما متحمسان إلى درسيهما لدى الأستاذ، حريصين على عدم ضياع الحصة بعد كل هذا التشرد.

فرقعت في أذنه صيحات ضحكاتهم، وهما ممسكان بالكتب والأقلام، وهو ممسكٌ بمقبض القيادة داخل التوك توك، فطرد هذه التفاهات، محاولا استرجاع مواقفه البطولية أثناء الإقتحام، فزالت وانتهت سريعاً، وظهر أمامه جلوس صديقيه أمام الأستاذ مرة أخرى، وهو جالسٌ أمام كومة قمامة وبصاق المارة، فطردها من ذهنه عنوة، فظهر أمامه أبوه وهو يوبخه على تركه للمدرسة، بصوته الزاعق وحدقتيه المنتفختين، فخرج من التوك توك غاضباً، متردد الخواطر والخطوات، فأوقف أحد المارة من الشباب، يطلب منه سيجارة، أعطاه المار سيجارة وأشعلها له، جذبته قدميه إلى كومة القمامة وهو يتذكر أبيه وهو يصرخ:

''أصحابك كلهم هاينجحوا، وانت اللي هاتبقى صايع وبلطجى يا ابن الكلب››

ابتعد عن التوك توك، وتكاسل عن العودة إليه، لوّح بيده بعدم مبالاة، تذكر رجولته التي يعتمد عليها أصدقاءه في حراسة التوك توك، أخرج تليفونه المحمول، واتصل بصديقه (**سيد**) داخل الحصة، وأبلغه أنه غادر التوك توك وعليه أن ينتهي من الحصة سريعًا ليهبط إليه.

وبين دخان سيجارته وشرود خطواته، وصل إلى منزله، صعد إلى شقته، قبل أن يدخلها يفاجأ بصياح أبيه وهو يتحدث عبر التليفون، فاطمأن أن الصياح لشخص آخر غيره وليس وعيداً آخر له، فتح باب الشقة بمفتاحه، ودخل، فقال أبوه للمتصل:

- أهه وصل أهه.. أنا هعرف شغلي معاه..

اندفع إليه أبوه، يجذبه من ملابسه غاضبًا وهو يقول:

- انت إيه يا واد يا ابن الجزمة اللي عملته في المركز دا؟.. انت وشوية الصيع صحابك..
- فيه إيه يا عم؟.. معملتش حاجة.. هما اللي ضربونا الأول.
- تقوم تعمل زي البلطجية وتكسر لهم الحاجات بتاعتهم يا بن الكلب.. دنا مربيك أحسن تربيه.. ومش مخليك عايز حاجة..
- يا عم وأنا مالي.. هما اللي كسروها وأنا كنت واقف ما عملتش حاجة.
- وكمان بتكدب.. يا خسارة تربيتي فيك.. كنت عايز أعمل منك راجل.. وأشوف لك شغلانه تاكل منها عيش انت وأمك بعد ما اموت.. انت مفكر إن الموضوع هايعدى سهل

كدا؟.. دا انا هاروح وهدفع لهم ثمن كل الحاجات اللي انت كسرتها.

- وتدفع ليه.. ما يغوروا في داهية.. وتديهم لي أنا أولى.
- أديهم لك يا صايع؟ دا انت اللي ها تغور في داهية بعيد عن البيت ده.

هائجًا قذفه بكوب زجاجى، فابتعد كريم، فارتطم بالنافذة الزجاجية فحطمها، يهرب منه في أرجاء الشقة، سمع جاره الأستاذ (**عزت**) صوت التحطيم، فخرج فزعًا بالبيجامة من النافذة المجاورة، فتأكد أن المعلم جودة في حالة هياج زائد على غير عادته،، فأغلق النافذة واندفع إلى شقتهم، يطرق الباب قلقًا على ما يمكن أن يرتكبه المعلم جودة مع ابنه، اندفعت أم كريم إلى باب الشقة تفتحه ليدخل (**عزت**)، الذي اندفع بدوره إلى (**جودة**) ليهدئه ويبعده عن ابنه، الذي أخذ يلتف حول ترابيزة السفرة يوقع كراسيها أرضاً ليعرقل أبيه، وأمه متعلقة بالأب لا تقدر على تهدئته، فسحبه (**عزت**) بالقوة إلى غرفة الجلوس ليفسح الطريق لابنه للدخول إلى غرفته، مؤقتاً.

لم يهدأ بركان غضب (**جودة**) إلا بعد أن أغلق (**عزت**) باب الغرفة، وأشعره أن هناك من يقلق لشأنه، أجلسه وناوله كوب من المياه، جلس بجواره يلقنه الاستعاذة والتوحيد بالله. على عكس بقية الجيران الذين اعتادوا ذلك ولم يبالوا بتكراره مهما عظم.

- دا أنا عملت كل حاجة عشان أرضيه.. وما أخليهوش ناقصه حاجة.. ابن الكلب نقّص بيا قدام الناس.. هيقولوا مش عارف أربي ابني، ولا أشغّله معايا، وفى الآخر جايب لى مصيبة..

يرد (**عزت**) قلقًا:

- مصيبة إيه تاني؟
- الواد راح يكسّر المركز اللي كان بياخد فيه دروس السنة اللي فاتت.. زي ما يكونوا أعدائه.. دول بيعلموك تبقى راجل يا ندل.. أنا وانت والزمن طويل.. أنا بقى ما ورابيش حاجة وعايش عشان أخليك راجل.. وهاروح وهدفع لهم ثمن الحاجات اللي اتكسرت يا ابن الكلب.. عايز تخش السجن؟؟

ظل (**عزت**) يهدئه، ويجعله يخرج ما في جعبته من ضيق حول ابنه. أحضرت أم كريم كوبين من الشاي لهما وخرجت. أفاض (**جودة**) بما كان يؤرقه، حتى تطرق إلى مشكلته العويصة بتفاصيلها، وهي اللحوم، وما حدث لأصحابه الذين كانوا يقومون بتوريد المواشي له، بأسعار رخيصة وتخفيضات هائلة مستغلين سلطتهم في التعافى من رسوم كثيرة مختلفة، ثم أفصح جودة عن نيته في تبديل نشاط الجزارة نهائيًا الذي ظل يمارسه لخمسة أعوام كاملة إلى نشاط آخر مربح أكثر، فقام (**عزت**) بمجاراته فيما يفكر، لكي ينسيه حادثة ابنه، فهو يعلم أن جودة متغير النشاط كل بضعة أعوام، قائلًا:

- طب ونويت تفتح إيه يا معلم جودة المرة دي؟
- والله يا عزت يا خويا.. قدامى حاجات كتير كنت لسه بفكر فيها من شوية.. لولا الواد ابن الـ... اللي عكر مزاجي.. وأنا بعمل كل ده عشان خاطره.. عشان ما يطلعش صايع ورَد سجون.. ويعرف يصرف على الغلبانة أمه بعد ما أموت.. اللي نفسها تجيب غيره ومش عارفة.

أثرت كلمات جودة في نفس عزت كثيرًا، لأنه علم من التفاصيل ما لم يكن يعلمه من قبل، وقد اعتقد أن المعلم جودة يعيش دون منغصات العيش بمشاريعه المتعددة الرابحة تلك، وتذكر عزت ما رزق به من الابناء الأربعة، متغاضيًا عن قلة حيلته في توفير المال الكافي لهم؛ لكنه تمنى لو كانت لديه نفس عقلية (**جودة**) التجارية هذه، ونفس علاقاته تلك التي تجعله يتنوع كل بضعة أعوام بمشاريعه الرابحة التي فور أن تكسد ينتقل إلى الأخرى ليزداد ربحًا، مثل ما كان يشتغله منذ خمس سنوات في تجارة قطع غيار السيارات المستعملة المستوردة، ومن قبلها في تجارة لعب الأطفال، وكان يطلق عليه تاجر السبوبة الرابحة، فأدرك حكمة الله، في زيادة أمواله، وحرمانه من راحة البال أو زيادة العيال بالإضافة إلى قلقه على أرباحه المستقبلية أن تذهب هبائًا، بواسطة ولده الذي يهدد ما تبقى لديه من آمال بعد موته.
قطع شروده صوت جودة قائلاً:

- صح؟.. مش كدا برضه يكون أحسن؟

أجابه عزت تائهًا:

- لا مؤاخذة.. هو إيه اللي أحسن؟
- لا.. انت مش معايا خالص.. انت رحت فين يا عم؟
- لأ أبدًا.. أنا معاك.. أصلي سرحت شويه.. كنت بتقول إيه يا معلم؟
- بقول لك.. مشروع المطبعة يكون أحسن؟مطبعة؟آه إيه رأيك؟
- والله.. أنا مابفهمش لا في المطابع ولا في التجارة من أساسه.. إحنا هانيجى جنبك فين يا معلم ..

- إزاي يا عم؟ ..مش انت راجل بتاع ورقه وقلم وثقافة؟؟
- آه.. وأنا حيلتي غيرهم.
- طب والورقة دي جايه منين؟ مش من المطبعة؟! يبقى ازاي ما تعرفش؟؟!! ولا انت مش عايز تتكلم معايا؟
- لأ العفو.. أنا بس ما خطرش على بالى الموضوع دا.. من اللحمة للثقافة نوبة واحدة.
- آه أومال إيه.. دا أنا عايزك تنصحني وتقول لي أعمل إيه؟ وأطبع إيه؟
- والله يا معلم أنا مش عايزك تفتكر إني بحبطك.. بس مش عارف.. أكيد هاتطبع كتب..
- حلو أديك قولت لي كتب.. شوف بقي؟.. طالما الموضوع في الكتب يبقى الكورة في ملعبك انت.
- وأنا دخلى إيه؟ في ملعبي إزاي يعني؟
- قلت لي إزابي.. بقى انت يا عزت يا خويا بتفهم في الكتب أكثر منى وتعرف الكتاب المطبوع كويس والمطبوع أي كلام.. صح ولا لا؟
- صح..
- وتعرف كمان الكتابة إذا كانت نكش فراخ ولا كتابة موزونة متهندسة متمسطرة بالمسطرة.. صح؟
- صح..
- خلاص يبقى هاتشتغل معايا.. قلت إيه؟

عجبًا من هذا المناور، كيف أن هذه العقلية السجيّة، أن تقوم باستكشاف وتحليل واستنباط ما قد يعود عليه بالمنفعة والربح من

شخص ما مثلي؟، لمجرد محادثة عابرة معه في يوم عادي، ثم يقوم بتحديد أهدافه ويوجه الجميع إليها، علاوة على انتقاء مشاريعه ومن ثم الأشخاص المناسبين لها، فهو لم يكد ينتهي من مشروع اللحوم الذي شعر أنه سيوشك على الخسارة، فخرج منه سريعًا، ثم اختار المطبعة ليبدأ في ربح جديد، هي بالطبع مربحة طالما وقع اختياره عليها. لكن هل بالفِعل سيُخرج مني رجل أعمال كان مختفياً داخلي؟ هل سيجعلنى صديقًا من أصدقائه الجدد الذين يربحون من خلاله ويربح من خلالهم؟ فيزداد دخْلى على إثر ذلك كثيرًا، وأقوم بتعويض أولادي الأربعة بتعليم أفضل، وطعام أحسن؟ وملابس ومنزل أرقى؟» حالمW! يقول عزت لنفسه منفصلا عمن حوله، ثم يقول بصوت عال:

- يا رييييييت

اخترقت الكلمة مسامع زوجته التي تجلس بجواره ممددة في هدوء على السرير، يستعدان للنوم، فقالت:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. خضيتني.. يا ريت إيه يا عزت؟ ما لك يا اخويا؟
- آه لو يحصل اللي نفسي فيه؟
- انت لسه بتفكر في الموضوع ده؟
- مش انت قلت ما بتفهمش في التجارة وممكن الراجل يزعل منك؟
- لأ.. الراجل المعلم جودة ده.. راجل عقر بصحيح.. عرف يجر رجلي ويخليني أشتغل معاه في الحاجة إلى بفهم فيها بس.. لا أكثر ولا أقل.
- وهيا إيه بقى الحاجة دى؟

- إني أكون متخصص في متابعة الكتابة ومراجعة الأخطاء الإملائية والنحوية.. وهيدينى مرتب ما أحلمش بيه.. وأهو يسند معانا.
- آه صحيح.. ما انت كنت شغال في التصحيح ده من زمان.. ده انت كنت عبقري ولا حدش قدك.
- آه والله.. هو كان فيه حد يستجر يعدّل على كلمة واحدة؟
- خلاص يا عزت يا حبيبى.. طالما في الحاجة اللي انت تعرفها.. إيه المانع؟
- انتِ شايفه كدا..؟؟
- طبعًا.. دا العيال عايزه كتير ومصاريفهم بتزيد يا اخويا.

كان المعلم جودة يخطط ويفكر في المشروع الجديد، الذي أشار عليه به أصدقاؤه الجدد بدلاً من المسجونين بعد الثورة، فبطريقة ما تفرض عليه ظروف السوق نوع المشروع الذي سيلاقي الدعم العلوي نتيجة إقامته، فقد علم بأنه سيوشك على غلق مشروع اللحوم منذ عدة أشهر، ذكاءه التجارى الذي اكتسبه من معظم عائلته وبالأخص أبيه الذي تنوع الكسب من عدة مشاريع صغيرة وكبيرة، كان له عظيم الأثر عليه، فكان يحرص على اصطحابه معه في كل أعماله حتى توسعت مداركه وجرأته على الخوض في المشروعات، كل حرصه حاليًا هو إشراك ابنه (**كريم**) فيما سيشرع فيه مجددًا، محاولا انتشاله من أصدقاء السوء، وأن يحاول أن يجعل المشروع الجديد شيئاً محبباً إلى قلب (**كريم**) منذ البداية، كى يعمل معه فيه ويتمسك به ويحب استمراريته أيضًا، فالمعلم جودة يطوّر من طريقة تفكيرة بخصوص التافهم مع ابنه باستمرار، ولم ييأس من ايجاد الطريقة المناسبة التي سيصلح بها ابنه.

جلس المعلم جودة في ركنه المفصل في منزله، به (**كنبتين**) متقابلتين. أتت له زوجته بالشيشة وصينية عليها براد الشاي والنعناع والقرنفل والليمون، ليسكن إلى نفسه صامتاً لفترة، حتى انتصف الليل وهو ينظر باتجاه غرفة ابنه، الذي لم يخرج منها طوال الليل واضعًا موسيقاه في سماعات أذنه.

اعتصر جودة عقله محاولاً أن يتخلى عن الرجعية التي يسمع عنها أنها تفسد العلاقات بين الآباء والأبناء، محاولاً انتهاج الحداثة التي يجب أن تقرب الفوارق بين عادات أزلية وموجة حديثة لا سبيل لتجاهلها، حتى وإن كانت سيئة، فالموجة لطمت في ابنه بالفعل وشكلت تفكيره، بل وجهت أفعاله بسهولة أكثر مما كان يبذله هو وزوجته في تربيته .

انتهى من مشروباته ودخانه إلى قرار جريء سيقدم عليه خاص بابنه.

فى الصباح الباكر اتجه المعلم جودة إلى محله، حيث وجد الصبي (**سكّينة**) يخرج اللحوم إلى سيارة نصف نقل ثلاجة، كما أخبره، استعدادًا لتصفية محل اللحوم، ويستبدله بالمخزن الملحق بعمارته ليصبح مقراً لمطبعته الجديدة.

مر عليه الأستاذ (**عزت**) مبتهجًا وهو في طريقه إلى عمله باكرًا، فوجده قد اتخذ قراره بالتنفيذ، ويقوم بالتخلص من بقية اللحوم التي لديه بالبيع لجزار آخر، في الوقت الذي يستقبل فيه سيارات أخرى على ظهرها معدات المطبعة وأدوات ومقصات تقطيع الورق، وسيارات أخرى تحمل ورق الكارتون ولفائف ورزمات من أوراق مختلفة. يقوم العمال بتفريغها على رافعات يدوية ويدخلونها إلى المخزن أسفل العمارة.

لم يكد الأستاذ عزت يلقي السلام فباغته المعلم جودة على الفور:

- بقولك إيه يا أستاذ عزت.. والنبي شوف لي فواتير البضاعة دي كلها عملت كام وقول لي المبلغ على بعضه.

اعتبره جودة واحد ممن يعملون لديه، مما أثار اندهاش الأستاذ عزت كثيرًا بطريقة جديدة لم يعتدها في كبر سنه، معجبًا بصرامة هذا الرجل الذي لا يضيع وقت السلامات والمجاملات الفارغة، كيف استقر على أن مشروع المطبعة مفيدًا دون غيره، يعلم جيدًا أنه ليس لديه أي خبرة عنه، ومن الذي دلّه عليه، هل أصدقاء من رجال أعمال أو من أصحاب سلطة جدد؟، تم إحلالهم بالذين سجنوا؟ ولو كذلك من أين آتي بهم بهذه السرعة؟''صحيح... الفلوس ما بتروحش غير لأصحابها.. الفلوس بتحب الراجل العملي.. زى المعلم.. الله أكبر عليه.. أومال الفلوس هاتجي لي أنا؟؟ أنا اللي رابط دماغي في ساقية الحكومة.. وآخر الشهر زى ما يكون بيقبضونا برسيم.. أخيراً الواحد هايدخل عالم الأعمال والبزنس من أوسع أبوابه.. لأ وإيه.. مع واحد عارف بيعمل إيه وازاي وليه.. الراجل خلانى أجمع الفواتير عشان أعرف إنها معدية نص مليون جنية.. وإن الموضوع كبير مش صغير.. وكأنه بيقول لي المسئولية كبيرة.. بس يا ترى.. هاعمل إيه في المؤلفين اللي قال لي أدوّر عليهم دول؟؟.. دا كل فين وفين لما بشوف حد فيهم.. بقوا خايفين ليه معرفش؟ ومحدش بقى بييجي قصور الثقافة ولا حد بيعبرها، وخصوصًا في الأيام الصعبة اللي إحنا فيها دى''.

وصل عزت إلى عمله بعدما قام بجمع مبالغ الفواتير للمعلم سريعًا، تدور برأسه تساؤلات حول هذه الشخصية التي دخلت إلى حياته بغتة،

أكثر مما سبق كونه جارًا عاديًا، والذي جعله ينظر إلى الحياة بنظرة جديدة يملأها الأمل في كسب إضافي غير متوقع لا يستطيع رفضه، غير عمله الروتيني فوق مكتبه الخشبي بلونه الداكن الذي تخرج منه رائحة الزمن العتيق، الرائحة التي ظلت تنخر في أنفه لسنوات، حتى تسربت لباقي جسده فعطنت أعضاءه وأصابها الجمود أيضًا، بعكس ما كان عليه في بداية تعيينه، وما كان قد حلم به في تحقيق طفرة ثقافية وتنويرية في مصر، خطط لها طوال سنوات دراسته في الكلية، غايتها تحقيق الآمال الثقافية العالمية على أرض الوطن، يكون هو المشرف على تنفيذها، ويصبح رائدًا للحركة الثقافية القومية في الألفية الثالثة، وبالفعل عُيّن حينها بوزارة الثقافة وتقدم متحمساً بمشروعه إلى الإدارة المركزية لشئون الدولة الثقافية، فلم يتلقَ حينها سوى الترحيبات الضاحكة المستبشرة له بالخير على سلامة الوصول ليس أكثر.

أدرك بعد كفاح في عرض دراسته على كافة المستويات، أن ضحكاتهم ما كانت إلا على ضحية جديدة، تم ذبحها لتفرغ نزيف الحماسة في حب الوطن والثقافة على مهل، حتى هدأت وسكنت إلى الأبد، ومع مرور السنوات، تصيبه نوبة من الضحك كلما تذكر سذاجته في فهم الواقع. وخصوصًا حين جاءه رد من مجلس الإدارة بالموافقة على اقتراح آخر ذكره كملحوظة في أخر ورقة، رأته الإدارة واجب للإرتقاء بالمستوى الشكلي العام ومن ثم الثقافة ككل، وهو تقديم زجاجة مياه معدنية على طاولة الضيوف أثناء اللقاءات الثقافية، ما يزيده هلاكا بهستيريا الضحك على خيبته.

’’من اليوم وصاعدًا سوف يكون الانتظار مجدياً، مجدياً جداً، مجدياً برائحة المسك الذي يعطر به المعلم جودة جميع أعماله،

وسوف يظهر مجهودي على الفور، وسوف يذاع صيتى في مختلف المطابع طالبين مشورتي وخبرتي في مراجعة الكتب وتحسينها كما رؤيتى النقدية والفنية التي أأتمتع بها فطريًا، وسأصبح في يوم من الأيام مديراً للمطابع الأميرية لا محالة»

من تعاسة الركود إلى بهجة الأمل يتنقل عزت ويلهو مداعبًا مخيلته حتى انتهى من يوم العمل.

يتكاسل كريم في غرفته، لا يريد الاستيقاظ، تلحّ عليه أمه برفق فلا يستجب، تحاول أن تحفّزه، فتقول له أن أبيه سوف يقيم مشروعاً جديداً خصيصاً له وسوف يحبه كثيراً، ولأنه لا يريده أن يفشل في دراسته وعمله معًا، استفاق كريم قائلاً:

- مشروع بحبه؟!.. يعني إيه؟.. هايبقى بتاعي أنا؟!
- يعني زى ما بقولك يا حبيبى.. إنزل بسرعة.. وصالح أبوك وقوله ما تزعلش منى..
- إصالح إيه!!.. إنتِ بتحلمى؟!.. بعد اللي عمله فيا امبارح.. هوه اللي ييجي يصالحني.
- يا واد مهما يعمل فيك بردو بيحبك وعايزك تبقى راجل.. قوم بوس دماغه..
- أبوس إيه؟!.. دا أنا أصحابي قالوا لي إني ممكن أسجنه.. عشان مافيش أب بيضرب ابنه كدا.

صرخت أمه فجأة صرخة عالية لا إرادية (**إيه؟؟؟**) افزعته وقفز لمترين فوق سريره، فهجمت عليه تنفجر غيظًا وأخذت تضربه وتعضه، بدموع ونحيب، باكية بحسرة على ابنها الذي تمنى سجن أبيه الذي يحبها ويحبه، وهو يستغيث منها، ومن غلّها الذي فاق قسوة أبيه. حتى

تمكن من الهرب منها فاراً إلى خارج الشقة، هابطاً السلم بسرعة، فوجد أبيه يقابله صاعداً منزعجًا بعد سماعه لصرخة زوجته، فهي لم تصرخ بذاك العلو من قبل، تأكد أن كريم السبب في ذلك. وفى لحظة انفلت كريم من جانبه متجاهلاً نداءه، واختفى عن الأنظار بملابس نومه، صعد جودة ليجد زوجته تجلس على سرير ابنها تبكي، انزعج وسألها بعصبية ولهفة عما حدث؟، نظرت إليه ولكنها لم ترد أن تكرر ما سمعته درءً لغلّه الأعمى قائلة:

- ابنك عايز يهاجر ويسيبنا يا أبو كريم..
- يا شيخه.. تقومي تعملي كل ده.. ما انتِ عارفه إنه كلامنجي.. لا لا.. ماتزعليش نفسك.. بكرا تتفرجى عليه.. دا لسه طايش

هدّأ من روعها قليلًا، فدعته إلى الترويى في معاملته قليلًا، فأخبرها بأنه يعلم كيف سيعيده إلى رشده في القريب العاجل.

-

انتهى الأستاذ عزت من وجبة الغداء بعد عودته من عمله، ثم توجه إلى مقر عمله الجديد، العمارة المجاورة، الدور الأرضي. فخلال ساعات النهار، ما زال المهندسون عاكفون على تركيب معدات المطبعة كاملة، وهو يمر من بينهم يتفقدهم، أخبروه أنها ستكون على أتمّ التشغيل الشهر القادم، وكان يسأل نفسه ما الذي ستطبعه المطبعة؟، وما الذي يخطط إليه المعلم جودة؟، ظل يفكر حتى جاء المعلم جودة ليلًا، ليكلف الأستاذ عزت بمهمة استعادة ابنه المختفي منذ الصباح، وصارحه بالمفاجأة التي ينوى إشراك ابنه فيها بالتحديد.

يعلم المعلم جودة أين ذهب ابنه ولم يقلق عليه، فهو لدى أحد أقارب صديقه (**سيد**)، الذي أخذه بالتوك توك إليهم، معتقدًا أنه أخفاه

عن أبويه، لكن لا يخفى شيء عن المعلم جودة الذي تغمر أفضاله رجال المنطقة ومن بينهم والد (**سيد**) نفسه، الذي أعطاه عنوان تواجد سيد وكريم بالتفصيل.

يعلم الأستاذ عزت أن المهمة التي كلفه بها المعلم جودة شاقة وغريبة، فأولى مهماته ليست لها علاقة بصميم العمل، كما أن من الصعب أن يمتثل كريم لرغبته بهذه السهولة ويعود معه إلى المنزل، فجحود كريم، وتمرده على أبويه واتباعه لأصدقاء السوء الذين شكلوا عقليته كليًا، يجعل من مهمته أكثر صعوبة، بل مستحيلة، فكريم لا يقيم اعتبارًا لعزيز لديه، علاوة على أنه غريب عنه ولم يتعامل معه من قبل، ورغم ذلك لم يستطع رفض أولى المهام الموكلة إليه، ولا بد أيضا أن يعود منها غانماً لا خائباً.

ظل يفكر ولم يسعه الوقت الذي قطعه إلى عنوان تواجد كريم، على أن يهتد إلى الطريقة الملائمة لإقناعه بما سوف يواجهه من تشرد في المستقبل، حتى وجد نفسه وصل إلى قلب المنطقة المقصودة، وهي إحدى المناطق الشعبية المزدحمة التي يزداد فيها عدد التكاتك عن عدد البشر، تسير فوق طرق محطمة أسفل تقاطع متشابك من الكباري، لا يعرف أين يذهب بين هذا التزاحم.

فضّل أن يركب توك توك آخر ليستدل على تفاصيل العنوان بسرعة، ركب مع أحدهم، فثبتت عيناه في قفا السائق لساعة كاملة، لم يحركا ساكناً من عجلات هذا الرهوان الصغير، نتيجة تلاطم الزحام الذي لا ينتظر فيه أحد ليمرر أحد، وكأنهم يطبّقون مبدأ التلاصق والتكاتف الذي أشار إليه الرئيس عبر التلفاز لخروج البلاد من الأزمة، لكن بطريقتهم الخاصة.

سار الرهوان ببطء السلحفاة، حتى دخل إلى دهليز سكني، بالكاد يتسع للتوك توك، ولا يستطيع الراكب الخروج منه إلا في أحد مداخل البيوت. فوجئ الأستاذ عزت أنه داخل المنزل المراد مباشرة، لعلم السائق بمنزل صاحب العنوان الشهير (**رجب أبو علاّمة**) ميكانيكى التكاتك، هو شاب وهو أيضًا الخال الصغير لـ (**سيد**).

طرق الباب، وهو ينادي على الأستاذ (**رجب**)، خرجت له زوجته، شابة في العقد الثانى من عمرها، تقول بعصبية:

- أيواا.. مين اللي بيقول أستاذ؟.. لا يا خويا.. ما خدناش حاجة من الأستذه.. دامعلم قد الدنيا.
- أنا آسف.. المعلم رجب موجود؟
- لأ مش موجود.. نقول له مين؟
- طب ممكن نمرة تليفونه؟.. عشان اتصل به.. أنا من طرف المعلم جودة.
- إيه..؟ المعلم جودة؟.. طب استنى ثانية لو سمحت.
- حاضر.

أحضرت تليفونها المحمول، قامت بالاتصال بزوجها في ورشة عمله لتخبره، ثم أغلقت الخط، ودعت الأستاذ عزت إلى الانتظار في الخارج حتى يعود على الفور، فوافقها وانتظر واقفاً خارج المنزل لساعة أخرى، حتى جاءه (**رجب**) ورّحب به وأدخله إلى شقته، أدرك عزت أن المعلم جودة له أفضال على الكثيرين، مما سيسهل المهمة قليلاً، فاتحه في موضوع كريم، وأنه لابد وأن يعود به الآن إلى أبيه، وافقه رجب وأوضح له أنه كان يريد أن يعيده بنفسه لولا أن كريم هدد بالاختفاء النهائي، فأبقاه لديه حتى تهدأ أعصابه قليلًا. وأخبره بأنه الآن

متواجدًا عنده في الورشة وسط التكاتك، يقوم بمشاركة صديقه سيد في إصلاح مسجل التوك توك الخاص به، وسيأتيان على الفور.

حضر سيد وكريم بعد ساعة أخرى، أوقفا التوك توك بالخارج أمام مدخل البيت فسدّا حركة المرور بالزقاق وتركا صوت المسجل يعمل بكامل طاقته على إحدى الأغنيات المحببة، دخلا الشقة، فوجدا الأستاذ عزت جالساً على أحد الكراسى في وضع استرخاء، وقد أنهكه طول الانتظار.

وفور أن رآه كريم قال:

- على فكرة يا عم عزت أنا مش راجع.. ما تتعبش نفسك.

يتدخل (**رجب**) قائلًا لكريم بلهجة صارمة:

- لا.. ما ينفعش كدا يا كريم.. رحّب بضيوفك الأول.. وسلّم على عمّك عزت.

تقدم ليسلم عليه، وجلس قبالته بلا مبالاه، غير مستعد لأن يسمع كلاماً إجابته واضحة ونهايته محسومة، فيقول له عزت متوددًا:

- كريم.. إنت عارف الأول أنا جاي ليه؟.. مش علشان أصالحك على أبوك أو أمك.. أنا جاي علشان شغل.. بيزنس..

اندهش كريم والجميع مما زاد من صمتهم، خرج سيد ليطفئ المسجل، ليعلموا حقيقة الجلسة التي اعتقدوها صلحًا، فأسهب عزت:

- إنت عارف يعني إيه أبوك يصفي كل حاجة ويسافر هو أمك؟؟

- يسافروا ..يسافروا فين؟؟

- ما قالش.. ما ات عارف أبوك مش بيقول أي حاجة عايز يعملها .

- هايسافروا.. ويسيبونى لمين؟
- مش عارف.. برضه ما قالش.. بس الحبايب كتير أهه.. هاتعيش عند أي حد.

ونظر عزت إلى (**رجب**) خلسة، ففهم رجب مقصده فقال مباغتاً:

- لا.. أنا عن نفسى ماعنديش مكان.. وأخري كوباية شاي.

فيكمل (**عزت**) وهو ينظر إلى سيد:

- يبقى مافيش غير حبيبك سيد.. الصاحب الرجولة.. الجدع.. هايشيلك طول العمر.. ممكن تقعد عنده الكام سنة دول لحد ما تشتغل وتجيب شقة وتتجوز،

- فينظرون إلى سيد الذي بادر بقول:

- وماله.. أنا أوضتي فيها سريرين.. وبيتي مفتوح له زي ما هو عايز.

- ويا ترى يا سيد أبوك وأمك هايوافقوا على اللي انت بتقوله ده.. بعد المصيبة اللي عملتوها في المركز التعليمى امبارح؟؟ وزمانهم مش عايزين يشوفوا حد من صحابك الصيع دول.. ولا عايزينك تكلمهم صح؟

يرد رجب وقد أعجب بالفكرة موجهًا الحديث إلى سيد قائلا:

- دول مش عايزين يشوفوه أصلًا.. والباشا الكبير سيد مطرود من البيت وجاي يبات عندي.

فيقول عزت فرحًا بموائمة الحوار للاتجاه الذي أراده:

- يعني محدش طايقكوا انتو الاثنين.. أومال عاملين رجالة على أساس إيه؟؟.. وانتو ممكن في أي لحظة تترموا في

الشارع.. وزي حبيبك سيد ماهو مش عارف يدخلك بيته.. مافيش حد تانى هيدخلك بيته.

يصمتا ولم يجدا كلامًا مناسباً لهذا المأزق، ثم يندفع كريم قائلاً وكأنه وجد خطأ فادحاً في كلام عزت:

- بتضحك علي عشان أبويا مش مسافر.. لأنه بيعمل مشروع جديد ولسه جايب المصنع النهارده الصبح .
- ما أنا جايلك في الكلام.. بس اتفقنا إنك من غيره إنت في الشارع.
- يا عم سيبك من الشارع.. أنا أصلًا ممكن أشتغل واصرف على نفسي وأأجّر شقة ومش عايز حاجه من حد.
- كلام جميل.. هل تعتمد على نفسك وتكون راجل.. بس يا ترى ها تشتغل إيه وانت مابتفهمش في أي حاجة وكنت بتهرب من أبوك وكمان معكش شهادة..؟ ولا هاتشتغل صبي ميكانيكي ولا صبي بقّال؟! أو ممكن عامل نظافة في أي مطعم.. صح؟! فيه شغل تاني؟.. وفى الأخر هاتلاقى نفسك على الرصيف زي الشحاتين.. ينفع تشتغل صاحب محل أو مشروع كبير؟؟ من صغرك؟

تدخّل صديقه (**سيد**) مباغتًا:

- مستحيل.. دا الدينا رايحه في ستين داهية.. ومافيش شغل ولا فلوس.. دا حتى التوك توك بتاعي أبويا استلف فلوسه عشان ي. ومن كترهم في الشارع الواحد مش لاقي زبون.

فيسأل عزت سيد سؤالًا محرجًا وظن أنه لن يجيب عنه قائلا:

- طب ممكن تقولي يا سيد إنت جبت فلوس كام النهارده من إيراد التوك توك؟؟

ففاجأه سيد برد مباغت:

- ولا مليم.

يرد خاله رجب:

- أقولك أنا يا أستاذ عزت.. البيه.. من الصبح يبلف في الشوارع يعاكس بنات الناس.. وفى الآخر جايلي عشان ياكل وينام.. وكمان أخد فلوس البنزين من أمه.. ولو خلص منه أنا معييش فلوس أديله.. يا دووب اللي جاي على قد اللي رايح.

- يعني شباب عيال.. وممكن بغلطة صغيرة أو خناقة تتمسكوا أحداث.. وتقضوا بقية عمركوا في السجن.. زي اللي عملتوه في المركز.. لولا أبوك.. اللي انت مش حاسس بقيمته.. اتصرّف معاهم بالذوق.. يعنى من غير أهاليكم كان زمانكم في السجن من امبارح.. يعني مش حاسّين بالراحة اللي انتوا فيها ومش عاجبكم.. وفى الآخر أبوك هو اللي مضايقك.. ممكن تقول لي ازاي؟؟! مين اللي مضايق مين؟

رد عليه كريم بيأس..

- فيه حاجات كتير أوي بيضايقنى فيها.. وبيجبرني على حاجات أنا مش عايزها وكل شوية يشتمني ويضربني.

- يعنى حاجات على الشغل والمسئولية والكلام ده.. صح؟!

- آه.. ومش بيدينى مصروف..

- بتقول تقدر تشتغل وتصرف على نفسك.. وبترفض الشغل اللي جايبه لك أبوك على الجاهز.. وعايز تأجر شقة ومش عايز البيت النظيف بتاعك.. بزمتك مش عيب على راجل زيك يقول كلام ويعمل عكسه؟

سكت للمرة الثانية، ولم يستطع صديقه أن يعارض ما يقال لهذا التناقض منه ومن صديقه في تصرفاتهم.

قال رجب:

- والله العظيم.. أنا طلعت لقيت نفسي في الشارع ولا حد بيصرف علينا ولاحاجة.. ولو كان أبويا عنده أي حاجة.. كنت عملت خدّي مداس في رجليه عشان اتعلم حاجه تنفعني.. واد يا سيد.. انت عمرك سمعت حاجة عن جدك ولا جدتك؟؟
- لأ.. إذا كان أبويا وأمي مش عارفين يصرفوا عليا ولا على إخواتي.. ولولا التوك توك ما كونتش عرفت ادفع مصاريف المدرسة.

يقول (**عزت**):

- طب انت ليه يا سيد ما سبتش المدرسة زي كريم؟؟
- لا يا عم.. كله إلا كدا.. دي الحاجة الوحيدة اللي هاتنفعنى..
- طب ليه قلت لكريم إك نفسك تعمل زيه؟؟ بتكدب عليه؟؟ ولا بتغرقه وتتفرج؟؟

تذكر كريم على الفور فرقعة ضحكات صديقيه (**سيد وعلى**) من قبل أثناء صعودهما إلى الدرس الخصوصى. فنظر إلى سيد بعين شاخصة وغل دفين، يتلهف سماع إجابته التي أقنعه بها لترك المدرسة من قبل. صمت سيد وتفكر قليلا ثم قال:

- وأنا مالي.. أنا ماغرقتش حد.. هو اللي عمل في نفسه كدا.. انتوا في الأخر عايزين تلبسوني البلاوى كلها ولا إيه؟؟.. وأنا مالي.

يرد كريم مذهولا من هذه الإجابة الصادمة، وكان يعتقد أنه سينصفه:

- يعني أنا اللي عملت في نفسى كدا؟! ما العيال كلها طلعت من المدارس.
- أومال أنا اللي أخدتك من إيدك وطلعّتك من المدرسة؟.. وعلى فكرة بقى العيال كلها في المدارس ومحدش طلع منها.. وكلهم بيضحكوا عليك عشان ياخدوا فلوسك يا أهبل.

شعر كريم بتخلي صديقه عنه، وتحمّل مسئولية أخطائه بمفرده، فلم يُرد أن يوقع نفسه في مثل هذا الشرك ففاجأ الجميع وقال لسيد:

- طب من اللي قال لي إني ممكن أسجن أبويا عشان ضربني وأقول لهم كدا عشان يخافوا مني ويعملوا لى حساب.. وأمي صوتت في وشّي قبل ما نزل لما قلت لها.

فوجئ عزت ورجب بهذا الكلام، واتضح لعزت سبب صراخ أم كريم، الذي لم يعرف المعلم جودة سببه، وصعق رجب لتورط ابن اخته سيد في إفساد العلاقة بين كريم وأسرته بهذا الشكل، فغضب منه أيضًا ووبخه بذلك علنًا، واحتد الموقف وقام رجب بطرد سيد من

شقته بلا رجعة، وتكشّف لكريم نوايا صديقه الحقيقية، الذي يتزعم بقية الأصدقاء بنفس الأسلوب، وعن طريقة تفكيره وعن طبيعة غضب والديه منه كونه مطرودًا مثله تمامًا.

فيقول عزت بعدما طرد سيد من منزل خاله:

ـ حسيت بغلطك يا أستاذ كريم؟

لم يرد كريم، وكان يشعر بصدمة جائرة، بعد أن اعترف سيد بأفعاله علانية وتخلى عنه بسهولة كي لا يتحمل مسئوليته. فاستطرد عزت:

ـ عرفت إنك غلطان؟ وإنك عايز تكون فين وأبوك عايزك فين؟.. عرفت ليه أمك صرخت؟ مافيش حد ها ينفعك إلا أهلك.

صمتٌ شربوا خلاله الشاى. قطع عزت نصف طريق المهمة المكلف بها حتى الآن، وكان سعيداً لما حققه من نتائج إيجابية الوقع على كريم، كما أعجب رجب بهذا النقاش الذي قاده الأستاذ عزت بذكاء بالغ، اعتقد أن له نتيجة إيجابية أيضًا على ابن اخته سيد لكي يشعره بتخلي الجميع عنه في أي وقت، وأيضاً بما سوف يفقده دون والديه ومنزله.

استطرد عزت:

ـ أنا مش جاي أقول لك ارجع.. أنا جاى أقول لك انت فين.. وأصحابك مين.. وأهلك عايزين إيه؟

فيقول له كريم بلامبالاة محاولًا حفظ ماء وجهه:

ـ يا عم أنا ماليش دعوه انت فين.. وانت مين.. والكلام ده.. أنا ليا دعوه إن أبويا يعاملني كويس وأنا هبقى كويس.

- لاااااء.. تقولها صح الأول.. أبوك كل يوم الصبح يضربك ولا انت كل يوم تجيب له مصيبة؟.. ما ترد؟! يبقى المفروض انت تعامله كويس وهو يبقى كويس معاك اتفقنا؟؟

(**يصمت**).. فيكررها له عزت.. فيومئ كريم برأسه موافقاً على مضض.

- أظن بقى عمك رجب استحملنا بما فيه الكفاية النهارده.. الساعة بقت١٢ ..وعايز ينام.. عندك سرير زيادة يا رجب .. كريم ينام عليه يرتاح لمدة ساعة واحدة بس؟
- ولا حتى مرتبة على الأرض زيادة؟
- خلاص.. يالا يا كريم عشان تروح تنام في أوضتك بتاعتك لوحدك.. خلاص يا رجب.. كريم فهم الدنيا ماشية ازاي.. واتفرج عليه بعد كدا.

هموا بالوقوف، صافحوا بعضهم البعض بعناق حميم، وخرج كلٌ من عزت وكريم ويتبعهم رجب ليوصلهم إلى المواصلات، قبل أن يغادرا، يقول عزت لرجب أمام كريم:

- قولي يا معلم رجب.. أنت اتعلمت في المدارس لحد امتى؟
- والله ولا شوفتها من أساسه.
- الله يعوض عليك يا معلم.. مع السلامة.
- ألف سلامة يا باشا نورتنا..

يتبختر التوك توك الذي يستقلانه بعد أن قل الازدحام في منتصف الليل، يشق الطريق، يلفحهما هواء الليل المنعش ليكمل فرحة الأستاذ عزت، وصمت كريم، الذي سرح متخيلا أن أبيه سوف

يوقظه فيما بعد يوميا برزمة من الأموال رضاءً عنه وعن أخلاقه التي تحسنت، وأمه وهس تساعده في ارتداء بذة زواجه وهس فخورة به.

وصلا إلى موقف تجمع التوك توك، هبطا منه، قال عزت لكريم وهو يشير إلى السائقين:

ـ شايف حياتهم عاملة ازاي؟.. عايز تبقى معاهم؟

ملأ الحزن عين كريم لعدم امتلاكه أية حجة يستند إليها، صامتًا وهو ينظر لوجوه طاحنة لعضها لقمة بعض، مستسلمًا بخطواته لمسيرة عزت. وهو يقول له:

ـ عم عزت.. هو أبويا وأمي مسافرين رايحين فين؟

ـ لما تكبر شويه ها تعرف يعني إيه مسافرين.

رد الأستاذ عزت بإجابة غامضة، رغماً عنه، نتيجة تضارب الأفكار في رأسه بخصوص نصف المهمة الآخر، التي اختذلها ولم يستطع تنفيذها أو مصارحته بها. فضميره يحتم عليه الحفاظ على مبادئه وأخلاق مهنته، ولا يودي بهما إلى الهلاك بيده. وما سوف يسببه إقحام نموذج شاب تافه مثل كريم في عملية حيوية مثل هذه، وما سينتج عنه من إسفاف، ومن ثم ضياع هيبته أمام نفسه أولا، ثم تستشري السفاهة بين أجيال عريضة متتابعة بعد ذلك. فهو يرى أنه أمر خطير يمس كرامته العلمية ككل.

فضل أن يترك الشق الآخر من المهمة برمتها إلى المعلم جودة نفسه، له أن يقدمها لابنه بالشكل الذي يراه صالحاً، ولا يورط ضميره فيها الذي سوف لن يتحمل عذابه فيه بعدها، وأن يتفرغ للعمل الدؤوب في المطبعة بعيدًا عن ذلك.

وصلا إلى منزل كريم، وجدا أبيه في المطبعة يتابع عملية التركيب. اقتربا منه، فاستقبلهما بابتسامة حنونه. كريم ينظر إلى الأرض. دفعه الأستاذ عزت لاحتضان أبيه، فاحتضنه صامتاً، ثم دفعه إلى الصعود إلى أمه لترضى عنه.

صعد إلى أمه، استقبلته مبتهجة، احتضنها، دمعت، ثم دخل إلى غرفته صامتا، أغلق بابه، جلس على سريره، حتى غلبه النعاس فنام في حيز من ندم لحظي بملابسه.

فوجئ الأستاذ عزت أن المطبعة في أقل من شهر على أهبة الاستعداد للطباعة، وكل الأدوات والمحتويات في أماكنها، كما أن هناك مخزون ورقى كاف، فتحت شهيته على الكسب من كل ورقة، فسأل:

- إيه أول حاجه هاتطبعها يا معلم؟! يا ترى نتائج؟.. ولا إمساكيات؟.. ولا أذكار؟؟

سار به المعلم جودة إلى غرفة الكمبيوتر قائلا:

- بص يا عزت يا اخويا.. عندك في الصندوق دا.. شوية ورق عايزين نطبعهم كتب.. همتك بقى معانا عشان نلحق نوفي بمواعيد التسليم.. انت قلت لكريم ابني على اللي ها يعمله؟!
- والله يا معلم معرفتش أجيبها له ازاي.. ابنك كان متربس على الآخر.. ودا موضوع مهم.. لازم يكون مهيأ له الأول.. فضّلت إنه يرجع البيت ويهدا شويع.. وانت تقول له بنفسك.. بالطريقة اللي انت شايفها مناسبة.
- انت شايف كدا؟!
- لما تيجى منك يا معلم هايحس أإنك بتكلّفه بحاجة مهمة.

ـ خلاص ما تشلش هم.. أنا هاتصرّف.

أخذ الأستاذ عزت الصندوق المعبأ بالأوراق وصعد إلى شقته، مرهقاً إلى زوجته، قاصدًا سريره. سألته زوجته وهي تعد له العشاء عن هذا الصندوق، فأجابها أنه أولى الخطوات نحو الرزق الجديد، سيقوم بمراجعتها وتصحيحها من الأخطاء الإملائية والنحوية، وبعدها النقل إلى الكمبيوتر ومن ثم إلى الطباعة في الشكل النهائي.

بدّل ملابسه، هم بتفقد الصندوق، فوجد به خمس رزمات من أوراق الفلوسكاب، من خلال عناوينها استنتج أنهم عبارة عن كتابين بحثيين في علم النفس والفلسفة، وثلاث روايات. فتحت شهيته أكثر على المطالعة، لكن غلبه النوم، فأكل ونام إلى الصباح.

أول ما شرع فيه صباحاً أن أخذ أوراق الكتاب الأول واتجه إلى عمله، ومن الصفحة الأولى علم بمؤلف الكتاب، فشغفه عنوانه وأراد أن يعلم ماذا يريد أن يقوله كاتب صحفي بخصوص علم نفس الثورة، تحت عنوان شيق اسمه: (**علم نفس الثورة بين الطريف والنزيف**) لكن تسائل من أين أتى المعلم جودة بكتاب يبدو عليه شديد الأهمية؟

وصل إلى عمله مبتهجًا يلقي التحية على زملائه، بمزاح خفيف على غير عادته، فنشر جوًا من المرح سعد به الجميع، انتهى من مهامه الأساسية، ثم شرع في مراجعة الأوراق.

فى الصفحة الأولى، إذ يفاجأ أن المؤلف بدأ كتابه، بجملة تهكمية عن البلاد، تبعتها جملة ساخرة عن المواطنين، تلتها جملة سافرة عن دوافعهم الثورية، وبلغة ركيكة، فغضب كثيرًا لما وقع بين يديه من تهكمات بخصوص البلاد، التي طالما أعطاها كل الأعذار في جميع انتكاساتها، فهى بداية غير مشجعة على الإطلاق، لكنه تراجع

عن غضبه قليلاً وتذكر أنه لابد وأن يفصل بين إحساسه الشخصي وبين العمل، وفضل استكمال الكتاب كي لا يظلم المؤلف، لعله يقصد أمراً هاماً وراء تلك السخرية، وشرع في استكمال القراءة والتصحيح، منحّياً دوافعه جانباً قدر الإمكان.

بمرور الوقت، لاحظ زملاؤه في المكتب، أنه بدأ في التأفف، ثم الزفر بغيظ، يكتب الملحوظات هنا وهناك، ثم أصبح يصدر أصوات امتعاض منخفضة، تتعالى أحيانًا، وأحيانًا أخرى غير مسموعة، ثم كلمات استفهامية قصيرة، ثم قلب الأوراق بعصبية، ثم يعلو صوت جر القلم على الورق بغيظ، ثم يدفع بالورق المنتهي منه إلى أحد أدراج مكتبه ويغلقه يكاد أن يكسره. فقال له أحد زملائه:

ـ ما لك يا أستاذ عزت؟!

فرد عليه مباغتاً بعصبية شديدة وهو يضرب على مكتبه بقلمه:

ـ مافيش يا سيدي.. مافيش حاجة ما أنا كويس أهه.

صعق زميله وأخذ يتراجع حزينًا، لم يعتد على رد فعل مثل هذا منه، مندهشًا لأنه دخل عليهم صباحًا في ابتهاج، عدل الأستاذ عزت عن عصبيته وقام بالاعتذار لزميله، مبرراً أنه قد استشاط غضبًا مما يقرأه، ولا يقصد إساءه، سامحه زميله على الفور، ودعاه لنيل قسط من الراحة بعد ساعتين متواصلتين من القراءة. أو أن يصرف النظر عما يقرأه اليوم. لم يستطع عزت أن يقول له أنه مكلف بتصحيح هذه الأوراق لأنه سيأخذ عليها أجْرًا، فتجمل وأوضح أنه اندمج في القراءه ليس إلا.

عاد إلى قراءته يُكن غيظاً للمعلم جودة الذي أدى به إلى هذه التصرفات اللاإرادية المحرجة وسط زملائه، وما خدش به حياءه الوطني لما يقرأه، وما أثبته له الكتاب عن انتهاجه بأكمله للسخرية المستفزة، فمنذ مشاركته في الثورة أفاقت لديه حب الوطن والغيرة عليه مجددا، حيث شعر بالإهانة الذاتية لمجرد التجريح لشعرة في رأس أصغر طفل من أبناء بلده، فهو يحب الوطن بعيداً عن اضمحلاله أو حكامه.

توقف قليلًا، تناول فنجان القهوة، ظل يفكر، ولم يدر هل يرفض استكمال التصحيح لمجرد دافعه الوطني، أم يتغاضى عن ذلك؟، وماذا إن تمسك بهذا الدافع؟، هل ستعينه الوطنية على سد الضوائق المالية والحاجات المعيشية؟، هل ستكرّمه الدولة بدرع الوطنية وتعطيه مبلغاً من المال يصد به عنها المغرضين مثلاً؟ صارعه مبدأ آخر عن مدى حُرمة ذلك، فالتحريض أو المساعدة على نشر أقوال كاملة بل وكتب بأكملها في كره الوطن ذنب يشارك فيه، وذنب من يقرأ هذه الكتب ويمتثل إليها، أو حتى يتأثر بكلمة واحدة في سطر ما وسط جملة تافهة بين فقرة عديمة القيمة في صفحة باهتة داخل كتاب ملوث؟!. فتك به الإحساس بالخيانة الذي لم يدرك قبلا أنه يمتلكه بكل هذه الحساسية.

حاول إعادة ترتيب أفكاره، حتى يخلص إلى حل مرض يتابع به مهامه الجديدة، لم يتمن أبدًا أن يبدأ عملًا ما بهذا الصراع الخاسر عديم التوازن، منذ القراءة الأولى. يعتقد ماذا لو كانت بقية الأوراق في الصندوق في مثل شاكلة هذا الكتاب، هل سيكون مسئولا عن تصحيح كتب لجيلٍ كامل من المؤلفين الهدامين للحس الوطني؟

بين خيانته للوطن وولائه، تمزقت أعصابه، عائداً إلى منزله، وقد قارب على الانتهاء من تصحيح الكتاب الأول. دخل شقته صامتاً،

يعدو أولاده إليه فرحين، تسأله زوجته عما أصابه من صمت، دخل إلى غرفته مباشرة، متجهاً في يأس إلى الصندوق ليتفقد بقية الأوراق، قرأ عنوان آخر، وهو (**الفلسفة الغربية على الأراضي المصرية**)، قلق قليلا لعله إنصافٌ ما للوطن، وتابع قراءة عناوين الثلاث روايات، فوجدها غامضة تثير الريبة، فلم يهدأ.

اعتقد أن المعلم جودة هو من أوائل المعارضين أو الناقمين على الوطن، أو ليس محايدًا كما أظهر للجميع، فتناول وجبة الغداء مع أسرته، وقام بتبديل ملابسه مستعدا للذهاب إلى المطبعة.

اندهش مسروراً حينما وصل إلى المطبعة، ورأى كريم يعمل بجوار والده بكد ومن خلفهم عمال المطبعة، يقومون بإعداد طبعة صغيرة لإذكارات وآيات قرآنية استفتاحًا بالخير، يعجبه تفكير المعلم جودة قبل أي شيء، أتى إليه كريم يسلم عليه ومن خلفه أبيه، فسأله المعلم جودة:

- مرحب يا أستاذنا الكبير إيه أخبار الشغل؟
- قربت أخلص أول كتاب وهيكون جاهز للطباعة بكرة إن شاء الله.
- الله ينور عليك.. أنا بقى عندي ليك مفاجأة..
- خير يا معلم ..؟
- كريم ابنى.. نوى يعمل اللي اتفقنا عليه..
- هوا إيه بالضبط؟!!
- الله!!!.. انت نسيت ولا إيه؟.. مش ابني ها يشتغل معايا وها يكتب... وها يبقى مؤلف قد الدنيا؟؟ والبركة فيك بقى يا أستاذنا.. تخليه يكتب كتب مظبوطة ماتخرش الميه.

لم يفق عزت من صدمة الكتاب الأول، أو من الشك في ميول المعلم جودة، لكنه لم يتوقع ما يحدث دفعة واحدة، فلم يصدم مما سمعه منه، لأنه كان يعلم بذلك منذ قبل، فهذه كانت المهمة التي كلّفه بها ليقنع ابنه في العمل معه، ولم تطاوعه مبادؤه ولا ضميره على ذلك، كيف أن يسعى في إدراج كريم في قائمة المؤلفين والمثقفين؟، وتعجب من حرص المعلم على ضياع سمعة مطبعته بهذا الشكل بالكتب الهدامة كتلك، أو التافهة من ابنه، أو من هم على نفس شاكلته، فللخبر صدمة قديمة لم يبرحه حزنها، «**كيف رأى أبيه فيه موهبة الكتابة هذه؟ لا أعلم**».

بتعجُب الأستاذ عزت، ظل المعلم جودة يقنعه، أنه موهوب منذ رآه يكتب في أوراق مدرسته، بدلا من الاستذكار حتى فشل في الدراسة، وهو ينوي استغلالها فيه بإيجابية.

"ما هذه الورطة التي غلظت تربتها الطينية وأخذتْ بقدمي إلى أسفل فجأة؟» قال هامسًا لنفسه.

أصر المعلم جودة أن يصطحب الأستاذ عزت ابنه كريم إلى إحدى الغرف، ليقوم بإرشاده عما يتوجب عليه فعله في مؤلفه الأول، كما ناوله كراسة مملوءة بمزيج من كتابات كريم. نظر عزت إلى الكراسة، اندهش كثيرًا أن هناك انتاجًا كتابيًا حقيقيًا لكريم، واستبشر خيرًا لاحتمال وجود بذرة مبدع لعلها حقيقية في هذا المراهق التافه.

خفّت وطأة صدمته قليلًا، بالإضافة إلى أنه سوف يقوم بتوجيهه أدبيًا منذ بدايته، أو يخرج منه بقدر الإمكان نتيجة مرضية. كما أنه إن رفض توجيهه، سوف يكتب كريم بلا ضابط أو رابط، وسيطبعها له أبوه لا محالة.

اتجها إلى غرفة الكمبيوتر داخل المطبعة، وأخذ يتصفح الكراسة، ففوجئ أنها تعج بتدوين الخواطر الطفولية والأغنيات التافهة الحديثة غير متناسقة الكلام أو الموضوع، كمثل أي خواطر ترد على ذهن أي كائن حي، ليس بالضرورة أن ينبع من طياتها كاتباً، كما تتفرق على الحواف بعض الجمل التي تحمل في طياتها شتائم بذيئة. امتعض منها ومن صاحبها كثيرًا، واشمئز من سرعة إحباط أي أمل داخله.

وما زاد من كآبته أنه سوف يكون مسئولًا عن مراجعة هذه المؤلفات التافهة من فاشل في الدراسة، لم يتمم حتى تعلم القراءة والكتابة على أكمل وجه من الأساس.

أحس بيأس من تحويل ذلك الشيء إلى مبدع، ندم على موافقته منذ البداية على العمل مع هذا المعلم عديم التعليم. فليس هناك ما يبشر بالخير كما كان يعتقد، سواء في الكتب أو في كريم، لكنه سأله في البداية أسئلة استنباطية فقال مبتسمًا:

- قول لي بقى يا كريم إنت بتحب تكتب..؟

فملأ كريم الغرور فورا وأجابه بعجرفة مطردة:

- أومال الكراسة دي بتعمل إيه؟
- لأ.. يعنى إنت بتكتب من زمان؟
- أومال الكراسة دي مليانة إزاي؟
- أنا قصدي عندك مواضيع كتير عايز تكتب فيها؟
- أومال أبويا بيقول لك إيه؟
- يا دي النيلة السودة.. يا كريم أنا بتكلم على الخبرة.. إنت عايز تتكلم عن إيه؟
- حاجات كتير

- زي إيه؟!
- لسه ما قررتش
- لا حول ولا قوة إلا بالله.. طب بص يا حبيبى أنا هخلص ضميري قدام ربنا.. وهديك فكرة عامة وانت حر.
- ماشي... بس عايزها قشطة بريمو
- يعنى إيه عامة بريمو؟
- يعني وصاية.. يعني تقول لي على كل حاجة
- ماشي.. هديك فكرة وصاية.. ولو احتجت حاجة زيادة هديك كمالة.
- خلاص ١٠٠... ١٠٠

ظل عزت طويلاً يلقن كريم ما يتوجب عليه كتابته، وأيضاً أنواع الكتابة من مقالات وبحوث وقصص وروايات، وتصنيفاتها كسياسية أو اجتماعية أو دينية، وهو يملأه الأسى من منظر كريم، وما أصبح عليه وجهه من ارتخاء لعضلات فمه، واحتمال سيلان لعابه، لتكتمل بلاهته بعينيه الثابتتين وهو يحدثه عن ماهية اتجاهات الكتابة الملائمة لمثل سنه، من مشاكل أسرية أو قضايا اجتماعية تخصه ليتناولها في شكل قصص قصيرة أو شعر أو مقال أو دراسة بحثية.

فقال له عزت فجأة:

- إنت فاهمنى يا بني؟
- أيوه يا عم ما أنا عارف كل ده.. أنا قاعد بس عشان أبويا مايزعلش.
- والله..؟؟!! ما أنا اللي غلطان.. ويا ترى عارف أساليب الكتابة وتركيب الجملة؟

- طبعًا.. أومال أنا كتبت إيه قبل كدا؟
- ماهي باينة من أولها.. خلاص.. اكتب بقى وابقى قابلني..
- يعني إيه؟!
- أقصد اكتب وهات عشان نطبع
- طب ما هو في إيدك الكراسة؟
- لأ.. دول ما ينفعوش ..لو طبعتهم هندخل النار كلنا.

خرج عزت من الغرفة بأسى، لاعنًا يوم اختياره للدراسة في كلية التربية..، اتجها سويًا للمعلم جودة، الذي يسأل عن مستوى ابنه، فلم يرد عزت، وباغته كريم بالرد:

- كله تمام يا بابا.. دا حكاية سهلة
- عال.. عال.. ورينا شطارتك بقى.. عمك عزت منتظر.

أدرك الأستاذ عزت عدم استطاعة كريم على الكتابة أو على الإبداع ككل، لأنه لا يمتلك موهبة من الأساس، وسوف يرفض بكل سهولة ما سينتجه في المستقبل البعيد، متحججًا بعدم جودته.

انتهت ساعات عمل المطبعة، وصعد كل منهم إلى منزله. المعلم جودة يفكر في عدد الكتب التي سيطبعها، مبتدأ بالكتاب الذي انتهى عزت من مراجعته، وهو لا يدرك محتواه، لكنه يثق فيمن أرسلوا إليه هذه الأوراق، هم أيضًا من أرشدوه إلى فكرة المطبعة، وهم من سيبيعون له الكتب المطبوعة ويوزعونها، وأيضاً من سيغدقون عليه الأرباح. سعيدًا بما سينتجه غداً من ألوف الكتب.

يشجع ويدفع ابنه إلى كتابة كثير من الكتب، لأنه سيوفر به العديد من التكاليف، ملوحًا له بالأرباح الطائلة. تحمس كريم تحمساً شديدًا ودخل غرفته. أخرج (**كشكول مربعات**) قديم لمادة الرياضيات، ما

زالت به بعض الصفحات البيضاء، وقلم رصاص، وجلس على مكتبه، ينظر إلى الصفحة البيضاء. تتردد عليه أمه من حين لآخر، تناوله المشروبات والمأكولات من العصائر والفاكهة ووجبة العشاء، وظل يأكل محدقاً في الصفحة البيضاء حتى نام عليها إلى الصباح.

دخلت أمه باكرا، فأيقظته من على المكتب وهي مسرورة بالمجهود الذي يحاول ابنها أن يبذله، مبتهجة تدعو له بالتوفيق.

نزل أبوه إلى المطبعة، تبعه كريم بعد ساعتين. مر عليهما الأستاذ عزت ليسلم لهما أوراق الكتاب الأول ممتعضاً، وهو يقول مشيرًا إلى الكتاب:

- خلي بالك يا معلم.. الناس دي بتشتم في البلد
- يا عم واحنا مالنا.. الكتب كلها بتشتم
- بس بقولك إيه.. إبقى ادخل للكمبيوتر.. عشان تقولهم على اسمك بالكامل.. عشان ينزل على الكتاب إنك المصحح.
- لأ اعمل معروف.. مش عايز اسمى ينزل على الكتب دي.. بعد اللي قرأته دا.. مش عايز..
- إزاي يا عم؟؟!!.. دا مجهودك يا عم
- لا يا معلم أنا متبرع به لأي حد غيري
- خلاص براحتك.

يذهب الأستاذ عزت إلى عمله وفى يديه أوراق الكتاب الثاني، يحاول التخلص من إثم الكتاب الأول على ضميره، مستعيضًا شغوفاً بالكتاب الثانى وبمعرفة (الفلسفة الغربية على الأراضى المصرية.

يعود المعلم جودة إلى عمله ومن خلفه ابنه يلح عليه أمرٌ غريب. وهو رغبته في وضع اسمه بدلًا من اسم الأستاذ عزت عوض، المصحح الأصلي للكتاب، فقال له:

- ياد اسكت ياد.. ما ينفعش.. دا كلام كبير..
- عشان خاطري يا بويا.. أنا أول مرة أطلب منك طلب.. عشان ابقى أستاذ واكتب كتب وتفرح بيا.. عشان خاطري..
- طب وحياة أمك.. مش خسارة فيك.. يعني هو فيه حد هايسأل؟طار كريم من الفرحة لأن اسمه سوف يطبع على كتاب يتباهى به أمام أصدقائه، وأنه سصبح مشهورًا. دخل مسرعًا إلى غرفة الكمبيوتر، يؤكد على تواجد اسمه ضمن الصفحات الأولى من الكتاب تحت عنوان مراجعة وتدقيق لغوي وإعداد الأستاذ كريم جودة.

سعد المعلم جودة كثيرًا بفرحة ابنه التي غابت رؤيتها طويلا، وتمنى أنه أنشأ المطبعة منذ سنوات، ليظل ابنه سعيدًا تحت طوعه، يخرج منه مثقفاً مشهورًا على مهل.

ظلت طباعة الكتاب الأول عدة أيام. يتكاسل خلالها الأستاذ عزت في مراجعة الكتاب الثانى، بعد قراءة افتتاحية له مخيبة للآمال، فلقد أكمل مسيرة سخرية الكتاب الأول، مع تشويه بعض حقائق النضال الوطني المعروفة، ونسْبها إلى أفّاقين مدّعين، وإرجاع الفضل في تكوين الكيان الوطني إلى هيئات أجنبية دخيلة منظمة.

عاودته صراعات ومخاوف عدة، نتيجة طريقة عمله وكسبه ككل، ومن ثم بطون أولاده. تألم وهو يمسك بقلم كالسكين يقطّع

ضميره، وينشره عبر السطور، بل عبر العقول والقراء كافة. لم يكمله وتركه بضعة أيام يمر فيها على المطبعة مرور الكرام.

لم ينتبه إلى وضع اسم كريم على الكتاب مطلقاً، حتى صدر الكتاب، دون أن يهتم لرؤيته، لكرهه له. أعطاه المعلم جودة أجرًا كبيراً نظير مجهوده فيه. فرح عزت بالأجر فرحًا شديدًا، لأن أجر هذا الإسبوع فقط كان يتخطى راتب شهر كامل، تعمد المعلم جودة زيادته قليلًا ليهتم بابنه في الأساس. سعى عزت يشتري كل ما ينقص أولاده، الذين فرحوا ونسى بفرحتهم ما كان قد قرأه وما أغضبه، وشعر أن فرحتهم تجعل مضغ المر حلوًا، وتحمس للانتهاء من الكتاب الثاني، يفكر في أجر شهر آخر خلال نفس الشهر.

أصبح يصب تركيزه على حروف الكلمات، لا على معانيها، على تركيب الجمل، لا على تحريضها، يلعب أطفاله على سطورها لا على مبادئه، منتظرين أموالها لا يبالون كآبته. حتى انتهى من الكتاب الثانى عن آخره، وشرع في قراءة الأوراق التالية.

يشعر المعلم جودة بيأس الأستاذ عزت، في كل مرة يأتي له بكتاب، فتعمد أن يعطيه أجرًا مرتفعاً قليلًا، وكانت نتيجة ذلك كما توقع، أن جعله يسعى إلى الكسب التالي دون تردد.

حان وقت استلام المفاجأة الكبرى. أوراق لم يتوقع أن يستلمها الأستاذ عزت بهذه السرعة، لم يمر سوى اسبوعين لكي تتحول إلى حقيقة من الأساس. حين اصطحبه المعلم جودة مسرورًا، بل يطير من الفرحة، وهو يدخل به إلى غرفة الكمبيوتر ويطلعه على هذه المفاجأة، وإذا به يعطيه كشكول مربعات الرياضيات. فيتناوله ويفتحه ليجد نصفه الأول مملوءً بالمعادلات الرياضية والجزء الأخير ممتلئًا بالكتابة

المنكوشة إلى آخره، فيسأله الأستاذ عزت عن ماهيته، فيجيبه المعلم جودة، أنه كتاب ابنه كريم، صعقه الاندهاش، ولم يدر هل يفرح على إنتاج من عديم الفهم، أم يحزن لرداءة المكتوب حتماً؟، لم يدر ماذا يقول، فبادره المعلم قائلًا:

- إيه رأيك بقى.. الواد عقل وبقى راجل أهه.. مش قلت لك؟ يالا.. همتك مع الواد.. أنا بشكرك يا عزت ياخويا ..كل ده بمجهودك وتعبك.
- لا يا معلم ماتقوليش كداطب مش عايز تشوف مجهودك شكله إيه؟
- مش ضرورى يا معلم
- ازاي بقى.. تعالى معايا

سارا إلى مخزن الكتب المطبوعة بالشقة الأرضية المقابلة. أعجب عزت بكثرة كميات الكتب التي تم طباعتها طباعة فاخرة، علق جودة أن هذه الكتب سوف تخرج في الصباح الباكر كلها إلى الأسواق دفعة واحدة، وسيقبض ثمنها ليتفرغ لطباعة الكتب التالية، فيلتقط عزت كتاباً منهم ويهم بفتحه، فيفاجأ أن الكتاب قد تم إعداده بواسطة المراجع كريم جودة، فيصعق للمرة الثانية ويصيح:

- إيه ده يا معلم؟!!

فقال جودة متوددًا:

- معلش بقى الواد عايز يفرح.. وأنا ما صدقت يتلهي في حاجة مفيدة ما هو زي ابنك برضك.. مش انت قلت مش عايز اسمك يكون على الكتب؟

- أيوا بس تقوم تحط اسم الواد الصغير؟!!.. ولو حد سأل.. أو صاحب الكتاب عرف.. هيقول إيه؟!! ممكن يرفع قضية.
- لا ما تقلقش المؤلفين حبايبنا.. وبعدين أهم حاجة المراجعة تمام.. يبقى خلاص محدش هايسأل.. والزباين هاتكتر.. وانت لو عايز تطبع اسمك.. قول لي والصبح يكون على الكتب الجديدة.

بدون رد، أخذ الأستاذ عزت جملته الأخيرة، والتف صاعداً إلى بيته يملأه الأسى، يفكر في هذا اللغط وهذه الكوميديا، يحمل نفسه مسئولية ما يحدث كله، بعدما تخلى عن حقه في المراجعة، فقد تنازل عن مجهوده إلى أكثر أنواع البشر رفضاً للمسئولية، جعله يتحسر على تعب عينيه التي كادت أن تدمع من حرقة المعاني القاسية والمحرّضة، لا يدري هل يصحح خطأه ويستعيد مكانته العلمية على أغلفة الكتب؟، أم يظل خارج نطاق الشبهات لما يصدر من كتب معارضة؟أخذه التفكير في مجهوده الضائع، يطغى على الكارثة المحتملة بين يديه، وهو كشكول مؤلفات كريم، هذا الذي أيقن تمام اليقين أنه يستحيل على مراهق لا به سوى البلاهة، أن ينتج عملاً أدبيًا كاستحالة أن يجعل من الطين كهيئة الطير، حتى نظر إلى الكشكول مرة أخرى وراجع نفسه وتوكل على الله وتذكر قوله تعالى: "**أو تتخذونه هزوا**"نام أطفاله سعداء بعدما أحضر لهم أشياء جديدة وهدأ المنزل، دخل مع زوجته إلى غرفة النوم، هي استلقت على السرير هامدة من الإرهاق اليومي، وهو اتخذ ركنه المفضل بنفس الغرفة، على كرسيه المبطن أسفل أباجورة للقراءة.

هم بفتح الكشكول، وإذ يفاجأ في الصفحة الأولى بصورة جمجمة قبيحة ملونة يلفها ثعبان أقرع. سيطر عليه الاشمئزاز، قلب الصفحة بسرعة، وفى الصفحة التالية، وجد رسومات أخرى لأساور معدنية يرتديها الشباب في معصمهم، فقلب الصفحة مستهزءً. وجد لفظة البسملة مكتوبة بالخط الكوفي، فقلب الصفحة وهو يستغفر الله. وجد صاعقة تقول: ‹‹ويعتقدونها الحياة.. والحياة الحقة ليست بها، يعتقدون الموت انتهاء.. كلا.. فالحياة بعد موتها››، اندهش كثيرًا من هذا البيت الشعري، ومن أين أتى به؟، لم يعلم شاعرًا قاله. قلب الصفحة متربصاً، فوجدها تبدأ بعنوان صاعق لكن في الاتجاه المعاكس، وهو: (**عضمتين حنينين**)، والمقصود لغويًا هو.. عظمتين بهما حنان.. وقف لحظات أمام هذا العنوان، «**كيف يكون هناك عظمتين بهما حنان؟، يا له من عنوان غبي وملفت**». أراد أن يكمل الموضوع ليعلم ما العظمتان، شرع في القراءة، وإذ يجد أن الموضوع كله عن مراهق يتحدث عن تراقص فتاة بتضاريسها المختلفة تتبختر في سيرها بجوار توك توك يقوده حبيبها، على دوي سماعها أغنية، تتناغم الدقات مع التبختر اللزج من جسم الفتاة، والذي استطاع بانتهاء الأغنية أن يلفح الحبيب حبيبته على ظهر التوك توك، ويطيرا إلى السماء ليختفيا وسط السحاب.

بالرغم من بساطة الفكرة التي لم تتخط الثماني صفحات فقط، إلا أن بعد انتهائه من قراءتها، وجد تعبيرات وجهه متغيرة وكأنه كان يمضغ نصف ليمونة، نتيجة قذارة الأسلوب، وبذاءة الكلمات، وقبح اللغات المستحدثة والعبارات الفاضحة لجسد البنت بكل صراحة، إلا أن فكرة القصة استطاعت أن تجعله يتابعها حتى نهايتها، بالرغم من

بعض السقطات التي تعترض تتابع المضمون، إلا أنه تعجب مما قرأه. لم يستطع أن يقيّمه بالتحديد، هل هذا غباء لغوي؟ أم خيال نضر؟!، وإن كان غباءً نضرًا، أي مزيج من الاثنين، ما عساه أن يصلح أولًا؟، فيى قصة تتشبه بالتخلف المفعم.

رفض القصة رفضًا قاطعًا، رغم أن كريم بذل فيها مجهودًا مضن لأيام طويلة، ليخرج هذه القصة، لم يؤثر عليه بيت الشعر الذي افتتح به كريم كتابته، الذي من المؤكد قد نقله من صفحات الإنترنت، ولم يرعبه كريم برسمة الجمجمة، ولا سطوته في طباعة اسمه على الكتب، يدرك عزت أن له كامل الحق في أن يرفض أو يقبل ما يملى عليه ليراجعه بكل بساطة، فهو لديه ما يكفيه من تأنيب الضمير، ولن يرتكب حماقات أخرى تتدنى غايتها إلى هذا الانحطاط السافر والتحريض على الإسفاف، غلى دمه، وقام بتمزيق الكشكول عن بعضه، وألقاه بعيدًا باتجاه النافذة المغلقة، وقد تمنى أن تكون مفتوحة ليسقطه إلى الشارع وليضحك على تفاهته جميع المارة، لاعنا يوم موافقته على العمل عند هؤلاء الحمقى، الذين يستدرجونه إلى أراذل الثقافة، وجعلوه يشم رائحة العفونة التعليمية وما تلفظه من متشردي التعليم.

أحب أن يستعيض عن هذه التفاهات بالرواية الثالثة المنوطة بالمراجعة، وهو ينظر إلى الكشكول الملقى على الأرض باحتقار. ليشرع في أوراق لأدباء كانوا أو صحافيين. ممنون جداً بالعنوان الجديد الذي بين يديه، وهو (**الهدف الأسمى**)، يقول لنفسه أن هذا ما يجب أن يقرأ.

خاض في صفحات تلك الرواية مستمتعًا بين الفاء والنون، والجمل التعبيرية الجميلة التي تمتاز بها هذه الرواية، سعيداً بما تحكى فيه عن تفاصيل دقيقة للثورة من وجة نظر شاب عاطل، كان يشارك في جميع تجمعاتها الثورية بكل حماسة. ظل يقرأ حتى استدرجته الرواية مندمجًا بتفاصيلها، إلى أن وصل إلى نصفها تقريباً، الذي جعله فجأة نظر نظرة خاطفة إلى الكشكول الملقى بجوار الحائط. وبضع صفحات أخرى، عاود النظر إليه ماضغًا نواجزه شاخصًا بعينه في الكشكول، ثم بضع صفحات قليلة، فنظر هائجاً مستثارًا إلى زوجته النائمة، مندهشًا من التأثير الذي تحدثة هذه الرواية لكيانه، ثم تابع صفحات تالية، وإذا به يقذف الرواية بعيدًا عنه، يعلق نظره على صدر زوجته النائمة أمامه وما تكشّف من ساقيها، متفرسًا في انحناءات جسدها وفخذيها، وقد أصابته حالة من رغبة اللاوعي الطائشة، التي لا تتحمل انتظارًا أو مروءة المتزوجين من استعداد أو تمهيد، رغم كبر سنه إلا أن أنفاسه تسارعت، راغبًا في زوجته، قام فجأة مستفزًا عن مقعده، متردداً، شارداً، عين إلى الزوجة وعين إلى الرواية، فلم يجد مفراً إلا أن يعلم سبب ذلك الذي أطاح بهدوئه فجأة، وإلى أن يعلم ذلك، اقترب من زوجته بحذر، ثم بهدوء قام بتقبيلها من خدها برقته المعهودة، فابتسمت وهنأت بالأحلام.

عاد هو إلى رشده مؤقتاً، نظر إلى الكشكول بعين الرأفة، بعدما ألقاه بطريقة غير آدمية، وكأنه جنى على صاحبه المسكين (**كريم جودة**)، عدل نظرته في كريم، فهو طفل ساذج ليس لديه هدف أسمى، كالهدف الذي تهدف إليه الرواية الصادمة تلك، حيث تأخذ القارئ رويدا رويدا ليعجب بإسلوبها الرقيق، ويرق قلبه لبطلها العاطل المغلوب

على أمره، حتى توقعه في شرك التعاطف مع ارتكاب الخطايا، هذا الجُرم المقنّع، فكان بطلها يتخذ من التجمعات الثورية فرصة للوطأ بالسيدات الفتيات منهن والمتزوجات، اللاتي تقعن أسيرات في كلامه المعسول، ويظل يصف تجاربه القذرة، بتفاصيلها المثيرة المستفزة الغائرة في النفس، والتى لها القدرة على التأثير فيه كرزين عاقل، فما بال تأثيرها على الشباب والمراهقين؟ حتى تفسدهم وتخرج أقذر ما فيهم حيز التنفيذ، ليصل البطل إلى هدفه الأسمى وهو عنوان الرواية مبتعداً عن أهداف الثورة، التي تعتقد للوهلة الأولى أن الرواية تتحدث عنها.

ينظر إلى هذا الكشكول الضعيف لصاحبه الأضعف، ما هو إلا بريء يجتهد، ويبحث عن مرشد له، ليضع قدميه على بداية الطريق الصحيح، لا يقارن بسفالة وبجاحة مؤلف الرواية الأخيرة تلك، الذي لا يريد سماع اسمه ولا يتشرف بمراجعة أوراقه. فأشفق على كريم، وقرر أن يأخذ بيده بكل إخلاص، حتى لا ينحرف مثل ذلك المؤلف المنحرف الذي يريد بالأجيال كامل انحراف. مثيرًا داخلهم أو داخل ضعفائهم رغبة التنفيذ.

غالبه النوم، لم يستسلم له. أقسم أن يساند كشكول ذلك المسكين كريم قبل نومه. شرع يصلح ما به من أخطاء، يستعيض عن كلماته السافرة بأخرى أدبية، ويتعمق بالجمل العابرة، ويتفنن بالألوان البلاغية، عازمًا أن ينجيه من الموجة التي يسير أبوه على خطاها، مع المؤلفين الجدد هؤلاء، ظل إلى الصباح عاكفًا على قصة كريم يتخذها ابنه العاق الذي يصلح من تربيته، حتى انتهى من صفحاتها الثمان كلها أخيرا. وهو سعيد بما أخرجه في شكله الجديد.

اتجه إلى عمله مسدل الجفون، منهمر التثائب، تعزف قدميه شخيرًا مع الأسفلت، حتى وصل إلى مكتبه، ولأول مرة في حياته يأخذ إجازة عارضة لينام في ركن من أركان قصر الثقافة الواسع، ولا يعود إلى منزله، حتى انتهت ساعات العمل، فأيقظه زميله ليكمل الإجازة على سريره.

استقبله المعلم جودة كالعائد من الحجاز، يطمئن على كتابات ابنه ليطبع له كتابه الأول، فقال له عزت:

- جرا إيه يا معلم؟! كل ده عشان الواد كتب شوية كلام فارغ ما ينفعوش ينطبعوا؟
- ازاي مينفعوش وانت موجود.. دي حتى تبقى عيبة.. دا البركة فيك يا أستاذنا
- يا راجل..اتقي الله.. فيه حد يكتب الكلام ده؟؟... دي شتيمة وقلة أدب.
- يا أخي أديه بيتعلم.. مش هانحبط الواد من أولها.. لو ماخدناهوش ع الهادى حايهج مننا.
- خلاص.. انت حر.. هجيب لك القصة بس على شرط..
- اشرط زي ما انت عايز
- الرواية اللي اسمها (**الهدف الأسمى**) دى.. تقطّعها قدّامي.
- يا عم تغور الرواية في ستين داهية مش مهم
- خلاص إذا كان كدا اتفقنا.. هاجيب لك القصة بالليل.. بس دي ٨ صفحات وماتنفعش كتاب
- ومالو.. ماتشغلش بالك.. خلي الواد يفرح

صعد الأستاذ عزت سعيداً إلى شقته، بالثقة التي ربحها، وهي مساومة المعلم جودة، بالقصة في مقابل تقطيع الرواية الفاجرة التي تسمى (**الهدف الأسمى**)، التي تدعو إلى الفحشاء، مبتهجًا بالمقامرة الأولى في حياته، كما أنه سوف يحل محلها بمفاجأة كبرى من صنع يده، سيسعد بها الجميع، ويكشف عن براعته الستار، وأيضًا لن يخجل أبداً من وضع اسمه على الكتاب كمراجع.

لم يكد الأستاذ عزت يستريح قليلًا أو يكمل طعامه، وإذا به يسمع صخب وأغنيات عالية تأتي من الشارع، فترك وأولاده الطعام، واتجهوا متسابقين إلى النوافذ، ليشاهدوا سبب الصخب، وإذ يجدون مجموعة من خمسة تكاتك مصطفين، يهلل أصحابها حول كريم، يتراقصون سوياً ويرفعون الكتاب المدون عليه اسم كريم كمراجع ومن ضمنهم المعلم جودة، اندهش الأستاذ عزت وتسائل عما يكمن وراء هذه الفرحة الأولى من نوعها، استبعد أن تكون فرحتهم بقصة كريم. انتهى من طعامه وتسارع إلى المطبعة، ومعه كشكول القصة، وجد البهجة تعم أرجاء المطبعة وأفرادها، استقبله المعلم وفى صحبته ابنه كريم ممسكاً بكشكول آخر، ويقول:

- وشك وش السعد علينا وعلى الواد يا أستاذنا
- خير فيه إيه؟؟
- كريم كتب حاجات تانية وبقى راجل وقد المسئولية.. وهايبقى كاتب قد الدنيا إن شاء الله.
- إيه ده؟؟!! هو لحق يكتب تاني.. دا ماعداش ليلتين
- أومال.. مش قلت لك

صدْمته، قابلتها فرحتان، فلم يقو على المجادلة، واكتفى بالتهنئة المصطنعة، سلمهما القصة، وأخذ الكشكول الجديد وعاد إلى منزله. ازدادت سعادتهما بانتهاء قصة كريم الأولى، الذي أخبر أصدقاءه فرتبوا له زفة فرحين بفنه، اتجه الأب والابن إلى غرفة الكمبيوتر تمهيداً لطباعتها، يشاركهما عمال المطبعة الفرحة والتفكير في كيفية جعل ثمان صفحات كتاباً كبيرًا كاملاً، معتصرين أفكارهم المهنية لحل هذه المعضلة.

اقترح أحدهم أن يجعل حجم الخط كبيرًا جداً، واقترح آخر بتوسيط فقرة في كل صفحة، وآخر بتصغير حجم الكتاب كروايات الجيب، حتى انتهوا إلى أفضل الحلول.

فوجئ به الأستاذ عزت، فور أن رأى كتابًا مكونًا من سبعين صفحة أرسله إليه المعلم جودة، بعد إسبوع كامل من تداول الأفكار حول طباعته في شكله النهائي.

حينها نحى ما كان يقرأه جانباً، وتصفح كتاب كريم الأول.

فى البداية انبهر بالغلاف الصلب ناصع الألوان انبهارًا شديدًا، الذي يتوسط أعلاه اسم كريم. يليه اسم الكتاب، الذين اختاروه بـ (**العاشق**) يخرج من زهرة رقيقة تعلو بستانًا جميلًا تقبع بجوارها فتاة حسناء، أحب الغلاف كثيراً، فتح الكتاب، فوجد العشر صفحات الأولى، بيانات الكتاب وآيات قرآنية وإهداءات طويلة، ومقدمة مدح راقية في مؤلفه الأسطورة، صاحب الأسلوب واللغة الرائعين، والأخيرة بها اسمه اسم عزت عوض كمراجع، تلاها العنوان مرة أخرى على صفحتين متقابلتين، ثم سؤال استفهامي هام عن جدلية العشق، وآخر عن جدواه وآخر عن شرعيته، ما استهلك عدة صفحات أخر، وأخيراً

بدأت القصة. وجد فقرة من ثلاثة أسطر في وسط الصفحة تحفها الورود، في مقابلها صورة توضح حال الفتاة الحسناء مطابقة للفقرة، ثم تتوالى الصفحات المتقابلة بفقرة قصيرة وصورة فقط ككتب الأطفال، حتى استهلكت السبعين صفحة، وبخاتمة لطيفة وصورة شخصية للمؤلف، انتهى الكتاب.

ابتسامة بلهاء ثبت عليها وجه عزت، لم تفارقه حتى بعد أن أغلق الكتاب، لم تُفلت أصابعه الكتاب، لم تبرح عيناه غلافه البرّاق، لم يلتفت إلى ما حوله لدقيقة لما ألقاه فيه الكتاب من طهر نفسي. حيث رآه للمرة الثانية أهون من ازدراء الأديان التي اتبعته الرواية الرابعة.

كان قد شرع في قراءة الرواية الرابعة ليهمّ بمراجعتها، بعنوانها الجاذب، (**حنظل العسل**)، يتعجب الأستاذ عزت من براعة اختيار تلك العناوين البراقة للمؤلفات وهذا الأخير الذي أثار لديه تساؤل عن كيفية ما يمكن أن ينتجه العسل من حنظل، فهي فاتحات تجذبه إلى داخل الكتاب بكل قوة، وبعد الخوض في قراءتها حيث وجد نفسه تحت رحمة بطل الرواية الذي بات يرزق بكفره بالله، مبتعدًا عن كل ما هو صالح، أكثر بكثير من رزقه حين يؤدي مرغماً طاعة ما، أو فرض صلاة، توضح له أن المؤمن مصاب دومًا، وهو لا يريد أية إصابة كانت من خلال هذا الإيمان، بنية اختبار الله له، في أيهما أكثر رزقًا ليتبعه، الإيمان قليل الرزق أم الكفر كثير الرزق؟ حتى ابتعد البطل عن جميع أنواع الطاعات التي تزيده فقرًا ونقمة، وأصبح يثبت لنفسه ولمن حوله بمعسول الكلام، رؤيته في هذه الفائدة الإلحادية. فتبعه كثير من الغاويين من الشباب حديثي التخرج من المدارس والجامعات ضعيفي الدين أو معدوميه.

تفاهات كريم، أحاسيسه النقية، نواياه الحسنة، لن يبخل عليه الأستاذ عزت أبدًا في حصوله على فرصة جادة، فهو يتحسس الخطى نحو كاتب أفضل يفرح به أبوه، في خضم الهجوم الشرس الذي يتبناه بعض المؤلفين على الشعب والوطن بعد الثورة يساعدهم فيه المعلم جودة غير مبالٍ بنتائجها فالمهم لديه المكسب ورضاء داعميه عنه، والذي كاد أن يقنع هو نفسه بأفكارهم، الذي انصاع لهم المعلم جودة ولإرادتهم معميًا.

انتفض واقفًا فجأة، ارتدى ملابسه وذهب إلى المطبعة ليلا، يبحث عن المعلم جودة متلهفاً لرؤيته، وكانت الساعة الأخيرة من عمل المطبعة، فلم يجده، اتصل به هاتفياً، فوجده في أحد الفنادق الفاخرة يقوم بحجز قاعة كبيرة، الأسبوع القادم، ليقيم فيها احتفالا بكتاب كريم الجديد وبمبيعاته، فقد خطط لذلك أثناء ما كان يطبع الكتاب منذ فترة، كما أبلغه بالدعوة الخاصة به، فباركه وأغلق الخط محبطاً، متعجبًا من عقلية المعلم العملية المنجزة تلك.

لم يعلم بالتحديد لماذا بحث بلهفة عن المعلم جودة في منتصف الليل، ماذا كان سيقول له، تضارب لديه العتاب بالتهنئة، قبل مغادرة المطبعة، ناداه أحد العاملين قائلًا:

ـ أستاذ عزت.. المعلم جودة كان سايب لك الظرف ده.

أخذ عزت الظرف ولم يفتحه وصعد إلى شقته، دخل إلى غرفته ومن خلفه زوجته التي سهرت لقلقه، فتح الظرف فوجد داخله مبلغاً كبيرًا من المال، بهت، وفرحت زوجته فرحاً شديداً، تبارك النقود وترقيها وتحمد الله عليها، وأخذت تصارحه في احتياجهم لملابس بدلا من البالية، فأعطاهم لها دفعة واحدة، أخذتهم واتجهت إلى

أطفالها سعيدة توقظهم من نومهم لتخبرهم بشراء ملابس جديدة غدًا، ولم تنتبه أن زوجها أصابه الصمت ومن خلفه الغم.

أغلق على نفسه الغرفة، جلس على كرسيه المفضل، ينظر إلى كشكول كريم الجديد من ناحية والرواية المتبقية من ناحية أخرى، وفى أي منهما سيوجه مجهوده، الروايات عناوينها مخادعة، ولم ينفك أن يصل إلى منتصفها حتى يجدها صادمة، منحرفة، محرضة، تصيبه بالغم والكآبة لفترة، كما أن أجرها ضعيف بالمقارنة بالكشكول، الذي يغدق فيه المعلم نقوداً فرحاً بابنه، التي تنعكس على سعادة أطفاله، فقرر أن يتفرغ للكشكول، متغاضياً عن محتواه نهائيًا هذه المرة، همّ بفتح الكشكول ليجده أكبر قليلًا عن السابق مملوءً بخواطر متفرقة ليس لها أي علاقة ببعضها مكتوبة بلغة عامية رخيصة، فهو اعتاد على هذا الإسلوب من كريم واعتاد أيضًا على إصلاحه، كما لن يتوقع عدوله أبدًا، وكرّس ذهنه في تبديلها وإصلاح الممكن منها ليقدمه للقرّاء ذا قيمة في النهاية. قانعاً رافضا مراجعة المزيد من تلك الروايات التي سيعف بها أجيال قارئه من بذاءتها.

قضى كريم الليلة التالية مع أصدقائه يحتفلون بيوم مولده الخامس عشر، على إحدى المراكب النيلية على كلفة أبيه، وتوزيع نسخ مجانية من كتابه الجديد على أصدقائه سائقي التكاتك، فقد زادت شعبيته ومعجباته، يجلس وسطهم غاية في الأناقة في أعين الفتيات وهو يمسك بتليفونه المحمول باهظ الثمن، ويرتدي البنطال الجينز المتقطع المخرز بأزرار من النيكل، و(**الحزام**) بقفله الذي على هيئة جمجمة ذهبية ملفتة، والـ (**تى شيرت**) المطبوع عليه شبح الموت بألوان براقة، وتسريحته المنتصبة كأعواد الصبار الأسود، مرحين راقصين حوله على

نغمات أغنياتهم المحببة، وتزيد الفتيات من رقصهن اللولبي بحركاتهم الجريئة المثيرة تدفعنه إلى المزيد من تدخين المكيفات التي أحضرها صديقه سيد، وشرب المسكرات اللاتي أحضرنها على حسابه ليعجب بهن ويغدق عليهن بالأموال، ويعد الجميع باقتراب طباعة كتابه الجديد في القريب العاجل.

عاد موكب التكاتك بكريم صباحًا بعد خروجهم من المركب النيلي متجهين إلى منزله، ثم تفرقوا وبقي سيد وعلي برفقة كريم في غرفته ينتقون الملابس المناسبة لحفل توقيع كتابه الأول «**العاشق**» بعد بضعة أيام، فلم يجد صديقيه سوى الملابس (**الكاجوال**) فاقترحا عليه شراء بذة أنيقة باهظة الثمن، وبالفعل طلب كريم من أبيه نقودًا لذلك، فأعطاها له أبوه سعيدًا بكيان ابنه الجديد، وقضوا يومهم للبذة، مرحين يتسابقون على الأفكار التالية الذين سيشاركونها كريم في كتبه.

اقترب موعد الحفل وشدد المعلم جودة على الأستاذ عزت أن يتواجد بالحفل لأنه من الضيوف الأساسيين، ولأنه أكثر من سيتحدث عن كريم بصدق، كما أبلغه ببعض التعليمات الضرورية التي خطط لها، والتى أجّلها جودة خصيصًا لهذه المناسبة منتهزا فرصة كبيرة للضغط على ابنه وتوجيهه بالرأي العام بالحفل، وكان مغزاها هو مفاجأة الجميع بإصرار كريم، الذي عاند رغم عدم إكماله لدراسته إلا أنه لم يستسلم للفشل، وما دفعه الكتاب الجديد والكتابة عموما إلى العودة بإصرار إلى الدراسة، ولابد للجميع أن يشجعوا أبناءهم على ما يحبوه، ولم ييأسوا أبدا كونهم فاشلين، لأن هناك سبلًا أخرى ناجحة بلا شك.

اندهش الأستاذ عزت من كلام المعلم جودة ومن تعليماته، فما زال هذا الرجل يثير دهشته كل حين وحين، وظل الإعجاب به قائماً

بعدما بهت قليلا، بل وجد شئياً غريباً لم يفكر فيه من قبل، فبذكائه يستطيع أن يفضح أمر كريم أمام الجميع بشكل جميل ليجبره على العودة إلى المدرسة، ثم يحول فشله هذا إلى ميزة، ليرفع من شأنه إلى عنان السماء، بل ويجعله قدوة لجميع الشباب الذين في نفس سنه، ثم يصبح مسئولًا وحيًدا عن نفسه أمام الحاضرين ليغير مجرى حياته ويستمر في نجاحه الذي بالطبع سينتظر الجميع سماع نتائجه.

استيقظ المعلم جودة وابنه نشيطين في صباح اليوم التالى، وقاما بتحميل ألوف الكتب التي قد تم طباعتها من كتاب (**العاشق**)، على سيارات نصف نقل، تنفيذًا لخطة توزيع إقليمية دقيقة، قد خطط لها أصدقاء المعلم جودة، ليقوم هو بتنفيذها فقط، بالإضافة إلى كمية كبيرة سترسل إلى الفندق لتوزع مجاناً على الضيوف، ذلك ما أفضى به من تفاصيل إلى الأستاذ عزت في الصباح الباكر، قبل ذهابه إلى عمله، مؤكدا على سرعة الانتهاء من الكشكول الثانى، فتذكر عزت على الفور أن يساومه للمرة الثانية، على التخلص من الرواية الرابعة (**حنظل العسل**)، ولكن لم يجرؤ، حتى لا يعتقد المعلم أنه رافضٌ لكل الكتب أو يرفض العمل معه من الأساس، فدعا لهما بالتوفيق وواصل طريقه إلى قصر الثقافة، متسائلا عن كمية الكتب الهائلة المحملة على السيارات، وكيف حقق الكتاب هذه النجاح المفاجئ بهذه السرعة؟ بما فيها من سرعة الإعداد والطباعة والانتشار، وما يضاهيه من سرعة في التأليف. ماذا سيكون شكل الاحتفال الذي ذهبت إليه كل هذه الكتب إذن؟ ومن هم ضيوفه المثقفون هؤلاء الذين يعرفون كريم جودة ويهتمون بحضوره؟!.

وصل إلى عمله وتحت إبطه صاحب التساؤلات.. الكشكول الثانى، ووصل المعلم جودة بكتاب كريم إلى جميع مكتبات القاهرة كافة، ومن تحت إبطه كريم.

صبيحة يوم الاحتفال، ذهب الأستاذ عزت بالكشكول الثاني بعد تعديله ومراجعته إلى المطبعة، الذي عانى فيه كثيرًا لكثرة صفحاته وتشتت كلماته وتيه خيط قصته، لم يجد المعلم جودة بالمطبعة، فكان في الفندق يشرف على تجهيز الاحتفال. وجد في قبالته كريم في هيئة أنيقة ببذته الفاخرة تفوح منه عطور نافذة، لكن استقبله جامد الوجه غير مرحب، التقط منه الكشكول بتعال لم يسبق لعزت أن قوبل بمعاملة كهذه، صدم عزت فسارع في سؤاله:

- ما لك يا كريم.. فيه حاجة مضايقاك؟
- أصلي مخنوق شوية
- مخنوق على أستاذك؟!
- أستاذي..؟!.. آآه..عمومًا هانت.. وأنا بعد كدا هكتب الكتاب وهطبعه على طول.. أنا فهمت كل حاجة.

تدرج الأستاذ عزت إلى شدة الغضب، لكن لم يحالفه الحظ أن وجد أمامه كريم أو أبيه ليفرغ فيه غضبه، لأنه كان قد سار في ذهول حتى وصل إلى منزله مذهولا. لطيبته وهدوئه، لطالما لم يستطع أن يغالب أحدًا في الكلام حتى وإن جنى عليه، وقد انتوى أن غضبه سوف لن يمر بسلام، وسيفاجأ به من يفاجأ، ولكن كيف وماذا سيحدث، لا يدرى.

هاتفه المعلم جودة، يوصيه أن يلقن كريم ما يجب أن يقوله أثناء الحفل، لم يشأ إغضابه بما حدث له من كريم، وبعد ثوان من التردد،

قرر أن يوافق على إعداد كلمة ترحيبية وتعريفية لكريم، بدأ في كتابتها على الفور محاولا التخلص من غضبه، لكنه لم يستطع.

انتهى عزت من كتابة الكلمة، وزفر بألم، جاءت له سيارة فارهة بتعليمات من المعلم جودة، لاصطحابه وكريم إلى الفندق، ودون أن ينطق أحد منهما ببنت شفة، وصلا إلى القاعة بالفندق، اتجه كريم إلى أبيه مسرعًا، الذي وجده مرتدياً بذة أنيقة أيضًا لا تقل أناقتها عن بذته، وكأنه تحول إلى رجل أعمال مثقف، يقف في دائرة بشرية مكونة من ستة رجال، اقترب يقول له:

- أبويا.. أنا عايز أقولك على حاجة مهمة..

وضع أبوه يده فوق كتفه مبتسمًا وقدمه إلى أصدقائه ليتعرفوا على بعضهم للمرة الأولى، الذين أعجبوا كثيرًا بأناقته، فاستأذنهم ونحى بكريم جانبًا يقول:

- إيه يا كيمو.. عايز إيه؟
- أنا مش عايز اللي اسمه عزت يطلع يتكلم خالص.
- ليه يا كريم؟.. ازاي الكلام دا؟.
- يابويا أنا مش عايز حد يكون ليه الفضل عليا.. وأنا دلوقتي بقيت مؤلف وعندى كتب وبعتمد على نفسي.

وكان كريم يختلس النظر إلى صديقيه على وسيد الواقفين في أحد الأركان البعيدة يتابعان رد أبيه، فهما من أشارا عليه بهذا المطلب منذ عدة أيام.

رد عليه أبيه بحنكة ردًا مفاجئًا وهو يبتسم في هدوء:

- إنت عارف يا حبيبي.. أنك من غيره كان زمانك نايم على الرصيف؟!

نظر إليه كريم بغيظ لم يقدر على الكلام، فتذكر أبوه شيئًا ما، فاستطرد مباغتا:

ـ واد يا كريم.. إوعى تكون عملت له حاجة تزعله

فيغضب كريم ويقول وهو يبتعد عنه إلى صديقيه:

ـ ما عملتلوش حاجة.. أهه عندك أهه

توقع جودة حدوث خلاف واستنتج سموم أصدقاء السوء، جال ببصره إلى مدخل الفندق، فوجد الأستاذ عزت يقف وحيداً وكأنه ينتظر شيئًا ما، فنادى عليه ليقدمه إلى أصدقائه المقربين.

صافحه جودة مرحبًا واصطحبه باتجاه أصدقائه، اقترب عزت منهم، تطلّع إلى أصدقائه، اندهش كثيراً من هيئتهم التي خالفت توقعاته، فقد اعتقدهم مَعلمين وأصحاب مِهَن مثله. الإعجاب بالمعلم جودة يثبت جدارته يومًا بعد يوم، فهم رجال في غاية الأناقة والرشاقة، تلمع رابطات العنق لديهم، تعكس أحذيتهم وجه من ينظر إليها، فارهي الهواتف المحمولة والساعات اليدوية، أعمارهم لم تتجاوز الخمسين عاما، التي تجسدت على شعورهم الفضية. يفكر عزت حثيثا فيما سيقوله ليتلائم مع أرستقراطيتهم. فأول ما ورد إلى عقله، أن يرجوهم العيش معهم بدلًا من المنزل والمنطقة والوظيفة الباليين تلك. نظر إلى المعلم جودة مبتسمًا معقود اللسان، فباغته أحدهم بصيغة ودية قائلا:

ـ انت بقى الأستاذ عزت؟

اندهش عزت لمعرفة أحدهم به، فقال:

ـ حضرتك تعرفني؟!!

ـ طبعاً.. خير المعرفة.. إحنا نقدر ننسى الراجل اللي وقف جانب جودة بيه وابنه؟

ـ العفو.. المعلم.. قصدي جودة بيه.. زي أخويا وأكتر.. وكريم يبقى زي ابني.

ـ ما هو ده العشم برضو.

أكمل شخص آخر الحوار مع عزت:

ـ جودة بيه قال لنا انك عامل مجهود كبير.. واحنا شفناه في كتاب كريم والكتب التانية..

ثم وجه خطابه للمعلم جودة:

ـ إوعى يكون الأستاذ عزت زعلان منك يا جوده بيه؟

ـ أنا؟ دا أنا مش عارف أرْضيه ازاي

قال عزت متواضعًا:

ـ العفو.. دا خيرك مغرّقنى

يسعد جودة بحلاوة ما يقوله عزت في حقه أمام أصدقائه، فقال له متوددا:

ـ دلوقتي الحفلة ها تبتدى.. وانت هتكون من الضيوف الأساسيين.. يا ترى عملت حسابك في اللي ها تقوله؟؟

فوجئ عزت بطلبه قليلًا وتذكر غضبه من كريم، وأيضا تذكر حسن معملة جودة، وفكر أنه ليس من اللائق أن يوجه الأذى إلى طفلٍ أباه نعم الرجل، فقال:

ـ هه؟ أنا؟ آه كله تمام.. كله جاهز يا جودة بيه.

ـ اوعى يكون الواد كريم زعلك في حاجة؟

ـ إيه؟.. لا أبدا.. ما احنا عارفين انه طايش حبتين.

ـ تمام.. ادخل انت بقى يا عزت يا خويا.. واحنا جايين وراك.

يستأذن عزت ويدخل إلى القاعة ليجدها تتسع لما لا يقل عن ألف شخص، مفترشة بترابيزات مستديرة، وعلى رأسها منصة من فوقها ترابيزة طويلة، من خلفها خمسة مقاعد محددين بالاسم، وإذ يقترب ليجدها أسماء لشخصيات أدبية عملاقة أقل من فيهم منصبة دكتور جامعة، في المنتصف مقعد كريم، وفى أقصى اليمين مقعد واسم الأستاذ عزت عوض، مقعده.

اقترب قليلآ ليتأكد من اسمه، ثم التفت إلى اتساع القاعة، رهب هيبتها وتناسقها، نظر إلى الأوراق التي بين يديه وما سيقوله وسط هذه الجموع، ذهب إلى مقعد آخر ليجلس عليه منتظرًا، تعد الترابيزات بمشروباتها، استعدادا لتتدفق الضيوف، الذين تمتلئ بهم القاعة تدريجيا، يتوافد الضيوف من كل لون بذة أنيقة، ومن كل حرير فستان سواريه.

دخل المعلم جودة وأصدقاؤه للجلوس على الترابيزة الأولى المواجهة للمنصة، صعد مشرف الاحتفال إلى المنصة، قام بتوجيه ضيوف المنصة إلى أماكنهم، وكانت المفاجأة له أن رأى كريم يدخل من آخر القاعة إلى المنصة مباشرة محاطًا بما يشبه الحراسة الخاصة، فردان على يمينه ويساره، ببذات داكنة، صافح الطفل ضيوف المنصة وكأنه وليّ نعمتهم، ثم جلس منتصفهم، واضطر الأستاذ عزت أن يأخذ مكانه أيضًا.

يبدأ مقدم الحفل حديثه بالشكر والثناء على الجميع، وبدأ بإعطاء الكلمة إلى الضيوف واحداً تلو الآخر، الذين بدورهم تحدثوا ببراعة ملفتة، عن قيمة الكتاب وأسلوبه الجميل بجمله الرائقة العذبة، ومدى براعة المؤلف في خلق حالة من الرومانسية الشجيّة في أول القصة لبعد

محبوبته عنه، ثم حالة من الرومانسية النجيّة والرجيّة، في محاولة للتأثير على مشاعر محبوبته تجاهه، انتهاءً بعبقرية المؤلف في الرومانسية الفتيّة، التي يأسر بها قلب محبوبته فعلًا، بما يشبه الطريقة التي أنتهجها فتيان الحب من الأدباء العظام من قبله، وما أضافه الأديب كريم جودة من جو شاعرى باختياره لذلك الغلاف الحساس والعنوان والرسومات الموضحة، منشدين باكتشاف موهبة نادرة رقيقة الحس، الذي تغاضى عن ظروفه الصعبة المحيطة ولم تتأثر إرادته بما يخطوه شباب جيله إلى الهامشية والدمار، بل يؤثر فيها وفى برمجة جيله إلى حب الثقافة والفنون، ثم أنهى أحد الضيوف كلمته بقوله «فى محاولة من هذا المبدع الصغير الذي اعتبر أصغر مبدع في مصر والوطن العربى سعى لنيل التميز وإثبات الذات".

"(**كريم؟.. كريم؟**)"، كلمة استفهامية استنكارية تعجبية تكررت في ذهن الأستاذ عزت طول سماعه لتحليل الكاتب والكتاب، متفرساً أوجه الجالسين وأعينهم الباسمة لوقع هذه الكلمات، والدة كريم التي ارتدت فستان سهرة، تطير من الفرحة لما تسمعه، يشاركها فيها زوجها جودة، وبقية الأصدقاء، متهامسين فيما بينهم بروعة ما يسمعوه.

عَلَقَتْ تعليقات المحللين في حلْق الأستاذ عزت، لم يقو على ابتلاعها، نغصت عليه جلسته، متوعدًا بكشف الحقيقة حتى لا يشارك في نفاق جماعي هوى أساسه في الأساس. يتعجب من الموجة الثقافية الحديثة الحالية والتى كان قد نسيها منذ فترة، فوجئ بمقدم الحفل ينادى اسمه ليقول كلمته، وسط تخمة أفكاره، فحاول أن يستجمع قواه العقلية سريعا وقال:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. في الحقيقة لا أعلم من أين أبدأ حديثي.. في تلك المعضلة.. التي لم أجد لها سببًا منطقيًا إلا الإبداع فقط.. فأنا أرى هذا المجهود الشاق الذي بذل من أجل كتابة هذه المؤلفة.. لهو في الواقع تجسيد حي لقول الله تعالى.. ويخرج الحي من الميت.. فتجربة المبدع كريم جودة.. ما هي إلا تنفيذ لارادة الله في عدول دفة البلاد إلى الرقي بشبابها وأجيالها المتعاقبة الذين فقدوا الأمل.. سواء في إيجاد عمل أو في فرصة تعلم حقيقية.

وبالاتفاق مع المعلم جودة، أشار الأستاذ عزت إلى مستوى التعلم في حياة كريم، ومدى مثابرة أبيه وإصراره على تربيته وتوجيهه الصحيح، ثم استهل بعض الايضاحات المطلوبة منه، ثم ختم كلمته قائلا:

- وأنا بصفتي مراجع الكتاب.. غمرني الشرف بكوني أجلس على منصة عليها عظام.. وأمامي عظام.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قصد الأستاذ عزت أن يضع كلمة عظام في خاتمته، لأنها تحمل معنيان، يقصد هو معناها الآخر الذي يدل على أن جميع الحضور بالحفل بعقولهم المنافقة ما هم إلا هياكل عظمية خاوية لا تفقه شيئا حتى يرضي ضميره ولو بجناح بعوضة.

تناوبت الكلمة إلى المعلم جودة الذي صعد وقال كل ما يريده في إصلاح ابنه، ثم تدعيم علاقته بأصدقائه الممولين، ثم شكر القائمين على الحفل. وانتهى الاحتفال بكلمة شكر وتقدير قرأها كريم متلعثماً للحاضرين من ورقة صغيرة أمامه قد أعدت له مسبقا.

بعد أن انتهى كريم من كلمته، تقدم مقدم الحفل بملحوظة هامة، بل مفاجأة للجميع، فقام بالإعلان عن مسابقة أدبية كبيرة تحت رعاية (**مؤسسة الطباعة والنشر الثقافي**) التابعة لمديرها الأستاذ جودة، التي كان لها وافر الحظ بأن تقوم بإثراء الحياة الثقافية في مصر، وستكون مباركة بالتأكيد بمشاركة المبدع كريم جودة، وجمع المبدعين في الحفل. كما أنها سوف تعلن عن جوائز مالية ضخمة للمراكز الثلاثة الأولى، وللجميع خالص الشكر والتوفيق.

ابتسم الأستاذ عزت بمكرٍ بعد سماعه بهذه المسابقة، فسوف ينتقم له القدر بدلا منه عما قريبٍ.

فرغت القاعة، تجمع البعض خارجها وغادر البعض الآخر، تباطئ الأستاذ عزت حتى انتهى المعلم جودة من الحديث مع أصدقائه، وكان يظهر عليه أنه يوافقهم على كل شيء يقولونه، واصطحبه جودة سعيدًا واتجها سويا إلى سيارة فخمة بسائقه الخاص ليستقلونها، كان قد سبقهما إليها كريم وأمه، جلست أمه بجوار السائق وقبل أن يدخل جودة السيارة خلع جاكته ورابطة عنقه متأففًا منهما، وتوسط الكرسي الخلفي للسيارة عن يمينه الأستاذ عزت وعن يساره كريم، في طريقهم للعودة إلى المنزل، يقول جودة لعزت:

- الله ينور يا أستاذنا.. على كلامك الجميل.. أصدقائي مبسوطين منك قوي.
- أنا معملتش غير الواجب يا جودة بيه.
- لأ.. بيه إيه؟..مبحبش الكلمة دي.. احنا هانرجع للمنطقة وللمطبعة والكتب زي الأول.. همتك بقى معانا عشان داخلين على الشغل بحق وحقيقي.

- انت عارف.. أنا مستعد لأي حاجة.. بس بلاش كتب الشتائم والبذاءات دي.
- ما تشغلش بالك.. صحح الكتاب اللي تشاور عليه.. والباقى سيبه.
- إذا كان كدا... اتفقنا.

تذكر المعلم جودة أمرا هو مقصده الأول والأخير في النهاية فقال:

- طب والكشكول الثاني.. هايكون جاهز امتى.. عشان هاندخل به المسابقة الجاية؟.. أنا عايز الواد يطلع الأول.. دي الجايزة تشتري عمارة من بابها.
- خلصت الكشكول واديته لكريم النهارده الصبح يا معلم.

نظر جودة لابنه الجالس بجواره باندهاش قائلا:

- ماقولتش ليه يا واد يا كريم؟

يصمت كريم ولم يرد التعليق، فوجه جودة سؤاله لعزت:

- طب ما قولتش ليه يا عزت ياخويا

أصاب عزت الصمت أيضًا، اندهش جودة ووجد أن كل منها يشيح بوجهه لينظر عبر نافذته، فقلق قائلًا:

- الله؟.. هو فيه إيه؟

وصلوا إلى منازلهم، وقبل أن يتفرقوا، قال جودة لعزت على انفراد وقد أوضح له الموقف:

- معلش يا عزت يا اخويا.. تلاقي أصحابه الاندال هما إلى قالوا له يقولك كدا.. دا ميقدرش ينكر انك اللي عملْته بني آدم صح؟.

قال جودة متواضعا بكرم أخلاقه المهذبة:

- كريم زي ابني يا معلم.

لا يفكر المعلم جودة في خسارة عزت أبدًا، ويعتبره من الأمناء الأكفاء القلائل، كما أسفر مجهوده عن عودة ابنه إلى رشده، ورقي شأن مشروعه الجديد.

يحاول جودة توجيه اللوم إلى كريم كى لا يغضب الأستاذ عزت مرة أخرى بإسلوب جديد يليق مع مكانته الأدبية الجديدة، لأنه يدرك تأثير الطريقة الجديدة التي انطلت على ابنه الليلة، يحاول بعقلانية أن يقطع الحبل الواصل بين أذنيه وألسنة أصدقائه السوء، يقنعه أنهم لن يتركوا حياة التكاتك طيلة عمرهم، وأيضًا يحاول تهئيته لكتابة عمل أدبي جاد يستحق الاشتراك في المسابقة الكبيرة المقبلة، بعد أن علم أن الكشكول الثانى عبارة عن خواطر وأغنيات فقط، كيفها الأستاذ عزت على هيئة قصص قصيرة ومتناهية الصغر، فإن هذا لا يعرقل طباعته من وجهة نظر جودة، ولكنه لا يصلح لمسابقة أدبية شديدة المنافسة.

-

اتفق المعلم جودة مع أصدقائه أن تكون جائزة المسابقة الأولى ربع مليون جنيه، والثانية مائة وخمسون ألفًا، والثالثة خمسون ألفًا، وحَرَصَ على إخبار الأستاذ عزت بقيمة الجوائز ونسبته منها، فور أن رآه بعد غيابه لعدة أيام، شرع الجميع خلالها، بتصحيح الكتب، وطباعتها، وتأليف الجديد منها. تقود لهفة الربح زمام الأمور.

يجلس الأستاذ عزت في غرفته يقرأ رواية (**التسلسل**) وهى الرواية الخامسة والأخيرة، بسلاسة، لا يواتيه خلال قراءتها وخذة أو

ألم أو حتى اشمئزاز، إلا الإعجاب بها، ولضخامتها استهلكت من وقته إسبوعين كاملين لينتهى من تصحيحها، لكنه في النهاية أسرع بها إلى المطبعة لا يريد الإمساك بها بين أصابعه، متحاشياً النظر إلى عنوانها، متذكرًا فقط الثمن الذي سيقبضه منها، لأنه وجد نفسه في نهايتها قد تمحورت مبادئه وأصبح متمردًا لا يكترث بالتعاليم الأخلاقية ولا الدينية التي قيدت معيشة الأفراد وأضاعت جميع حقوق الضعفاء كاملة في البلاد واقتنع تمامًا من خلال مأساة شخوصها أن المجتمع أصبح لا يليق به إلا العمل بالسخرة، ويكون ثوابا عظيما مسدى لضآلة عقليته.

يدخل إلى المطبعة ليجد كميات كبيرة من كتابين مختلفين، تذكر أنه لم ينته من مراجعة هذين الكتابين حتى يتم طباعتهما، فيتفقدهما وإذ به يفاجأ أن هذين الكتابين هما الروايتان اللتان لم يتمم مراجعتهما غضبًا منهما وهما (**الهدف الأسمى**) و (**حنظل العسل**).

يصدمه قرار طباعتهما ولكن لم تنهر أعصابه كعادته، فالصدمة هاجمته لحظيًا بجميع أشباح ضمائره الحية، لتتجسد جميع المخاوف التي خشى يوماً أن يراها أحد من الأجيال في طيات هذه الكتب، تتمثل أمامه في طباعة فاخرة، فلم تلبث أشباحه كثيرًا وتبخرت بسرعة بلامبالاة على غرار تأثره العميق بالرواية الأخيرة التي أيقن أن لا تستحق فيها الشعوب أن تعني بها مسئوليها أو حكوماتها من الأساس.

بوجوم ملامحه، ظل يبحث عن المعلم جودة، الذي حضر وكان يتحدث في تليفونه المحمول خارج المطبعة يتعاقد على سيارات نصف نقل تجول أنحاء المحافظة لتوزع الكتب، فيعود ليقف في مواجهته حتى انتهى من المكالمة، فيقول له معاتبًا:

ـ جرا إيه يا معلم.. هو دا اللي اتفقنا عليه..؟

يستمع إليه المعلم جودة بصدر رحب ويقول:

- هو إيه بالضبط يا أستاذنا اللي مزعلك؟
- الكتب دي مش قلت مش هاراجعها؟
- وأنا قلت لك براحتك.. بلاش يا عزت يا خويا.. أنا كدا غلطان؟
- أومال طبعتها ليه؟
- طباعتها دبي حاجة تانية.. دا عقد بيني وبين أصحابها.. لازم أوفي بيه.. ولاّ يرضيك يرفعوا عليّ قضية؟! وعلى فكرة أنا مش ناسي الشوية اللي راجعتهم في الكتابين.. هايجيلك ثمنهم لحد عندك.. آآآه أنا حقانى.

أدرك أن الكلام ليس له أي فائدة حتى لو امتلك حججًا قوية، فيبدو أن المعلم يمتلك ألف مخرج من أي سؤال أو معاتبة، فأمام ذكائه سيُغلب حتمًا، علاوة على فتور حماسه السابق تجاه وطنه، فالتعويض المالي لمجهوده يرجح كفة صمته، فابتلع ردة فعله لوهلة، فيقطع المعلم شروده قائلًا له:

- انت بس ركز في المسابقة مع الواد كريم.. وأنا عرفته غلطته خلاص.. الواد عايزينه يطلع الأول.. دا ربع مليون جنيه يا عزت يا اخويا.. وطبعا عمولتك هاتبقى ولا في الأحلام.
- ربنا يعمل اللي فيه الخير.. انت عارف يا معلم.. الفلوس آخر حاجة أفكر فيها..

يلتفت جودة إلى ما يمسك به عزت في قبضته فيقول:

- أومال إيه الورق إللى في إيدك ده؟
- دي الرواية الأخيرة.. صححتها اتفضل أهه.

يلتقطها جودة بلهفة سعيدًا:

ـ هو ده الشغل.. الله ينور عليك يا أستاذنا

فينادي جودة على أحد صبيانه من داخل المطبعة ويعطيه الرواية ويأمره بطباعتها فورا، فيودع عزت ليباشر مكالماته.

يعود عزت أدراجه إلى منزله، يحتل مبلغ الربع مليون جنيه جل تفكيره، وظل يرسم في خياله النسبة التي ستكون من نصيبه في القريب العاجل، متوعدًا في نفسه فوزًا ساحقًا لكريم، بغض النظر عن أخلاقه السيئة، فما سيعود عليه من ورائه أفضل منه بكثير، وظل يحلم بمسابقة لكل كتاب من كتب كريم وما سيعود عليه منها من ألوف الجنيهات، بالإضافة إلى النفع الذي سيعود عليه من تصحيح الكتب الأخرى في خضم حب وسخاء المعلم جودة تجاهه، متغاضيًا عن اندهاشه في دأب جودة وأعوانه على إفساد عقول أجيال، مسترجعًا مقولة «إن ما يريده الله سيكون رغم أنف الأعادي"، وما هو بمحرك ساكن يجدي.

وبعد بضعة أيام، أتمّ كريم اسبوعين لينتهي من كتابة الكشكول الثالث، أولى رواياته التي سيخوض بها المسابقة، وعلى الفور قام بإرسالها إلى الأستاذ عزت، بواسطة عمال المطبعة ليراجعها.

وصل أحد عمال المطبعة إلى منزل الأستاذ عزت وسلمه الكشكول وظرفًا مغلقًا آخر، استلمهما عزت منه وأغلق الباب، فتطير زوجته من السعادة لمجرد رؤيتها للمظروف. سلمها المظروف صامتا ودخل بالكشكول غرفته، يرتكن إلى ركنه على كرسيه المفضل، يشعر بعدم لذة الرزق الوافر الجديد الذي طالما حلم به، ويشعر بوخذة تعترض حلقومه عند ابتلاع هذا الأجر، سرح كثيرًا في إعادة تهيئة توليفة من مبادئه لتواكب مسيرة العمل كمصحح، همّ بفتح الكشكول، اندهش

للوهلة الأولى التي رأى بها شكل الكتابة داخله، فقد وجد العديد من أنواع الخطوط قد كتبت بها صفحاته، وكل خط منهم له أكثر من لون من الحبر، فأدرك على الفور، أن كريم لم يكتب هذه الكتابة بنفسه أبداً، وقد شاركه فيها العديد من أراء وخطوط أصدقائه، تأكد من ذلك وفكر، هل يبلغ المعلم جودة أن ابنه لم يكتب الرواية بنفسه أم لا؟، وهل سيوافق أم سيعترض؟. حدسه ألقاه أمام قطار يندفع بسرعة لا يعرف الرحمة أو التوقف، وغير قابل للتعطّل، ألا وهو المعلم جودة ذاته، الذي حتمًا سيبتكر عذرا ذكياً، لم يدع لنفسه الفرصة لكى يتحير كثيرًا، فاستعمل المبادئ الجديدة، فتوصل إلى حلول فورية، بأن كريم كان يقوم بالإملاء على أصدقائه ليس إلا، وهم يكتبون ما يبتكره، كما أنه سيوافق ويضحي بأي شيء في سبيل الربع مليون وإسعاد ابنه.

"**وليكن رفض المعلم جودة، وليكن تعدد ملكية القصة، فلابد وأن تفوز هذه الترهات بالمركز الأول ويأتي لي نصيبي من الجائزة المليونية هذه، ثم تباً لهذه المطبعة وأصحابها وما يطبعونه**"

وشرع في المراجعة والتصحيح في أوراق خارجية عن الكشكول، وقد أعاد كتابته من البداية بتأن وفن، يتخذ الخط الدرامى الذي يقصده كريم هدفًا له، لكن الأسلوب واللغة والصياغة وترابط الحبكة ومسميات الشخصيات ونوايا الأبطال من تدبيره هو.

إلى أسبوع مرهق آخر ولم ينته عزت من تصحيح ثلث الكشكول لما رآه من إرهاق شديد في عملية التأليف ذاتها، تم خلال الفترة إقامة احتفال بتوقيع كتاب كريم الثانى (**المجموعة القصصية**)، في بعض من المكتبات الخاصة، وكان كريم في كل مرة منها يعتذر عن الحضور

لظروف طارئة، ويقضي معظم الوقت إما مع أصحابه أو في الدروس الخصوصية تحت أعين أبيه بالمنزل.

اقترب آخر موعد لتسليم الأعمال المشاركة في المسابقة الأدبية الكبرى، التي كانت محددة بثلاثة أشهر، وقد انصرم منها شهران ونصف، ولم يسع الأستاذ عزت الانتهاء من نصف الكشكول، فقد تعثر كثيراً بين سطورها الشعثاء، وخطوطها الغبراء، مما اضطره إلى الاستعاضة عن أجزاء كبيرة منها بأجزاء أخرى من وحي خياله، ترمّم البناء السردى للأحداث، تلك التي فقدت ترابطها وعلاقتها بالشخصيات بحلول منتصف الرواية، كما فوجئ باختفاء الأبطال الرئيسة، والانتقال إلى شخوص غريبة، مثل دخول البطل الحمام ولم يخرج منه أبدًا ولم نسمع عنه بعد ذلك.

ضاع من القصة عند منتصفها منطقها، ويأس من استكمالها، ولكن غالب نفسه متذكّرا وريقات النقود من خلفها، فأخذ من بقية الصفحات ما يمكن أن يتعلق بسير الأحداث وحاول ربطه ببعضه وتوصيله إلى نهاية ملائمة.

لضيق الوقت تكررت نداءات المعلم جودة يعجّله بالانتهاء منها، فلم يستطع الأستاذ عزت تلبية النداءات إلا النداء الأخير، قبل غلق باب التقديم بيوم واحد فقط، فاتصل بالمعلم جودة لينقذ الموقف:

ـ ألو.. أيوه يا معلم.. أنا لسه ماخلصتش الكشكول.

أجابه جودة قلقًا:

ـ انت اتأخرت فيه كدا ليه يا أستاذنا؟

ـ أصلها مش رواية زي ما كنت فاكر يا معلم.. دي نقش فراخ.

ـ معلش.. معلش.. طب إيه الحل؟!

- مافيش غير انك تكلم حبابيك.. عشان يأجلوها شوية.
- هحاول.. بس انت تخلصها في أسرع وقت.. وهزود نسبتك شوية.
- يا معلم.. الفلوس مش مهمة.. المهم أخلصها على خير.

لم يخش المعلم جودة من غلق باب التقديم بالمسابقة، فهو من مؤسسيها، لكنه هيأ لعزت ضياع الفرصة متعمدًا، فضاعف النسبة لينتهي منها في أسرع وقت، فتحمس الأستاذ عزت كثيراً بالفعل، وضاعف مجهوده ليلتين أخرتين، ليجعل من أحداث القصة المملة المتكررة ألوف المرات التي اختارها كريم لروايته، والتى اعتصر فيها ذهنه مع جميع أصدقائه لينتجوها، حيث كانت تحكى عن شاب عاطل جاهل تعرف على فتاة جامعية فاشلة دراسيًا أثناء الثورة ويوقعها في حبه وخاضا سويا العديد من القاذورات ولم يتزوجها ولم تفض علاقتهما إلى شيء في النهاية، إلى قصة عاطل مقهور مجتمعيًا يحب فتاة جامعية ناجحة مثقفة وصل به نبل أخلاقه إلى تذلل أهل محبوبته له ليتمم الزواج بابنتهم رغم تشرده بلا عمل أو أسرة لإنهم لم يجدوا شخصاً مهذباً ولا مثقفاً يخاف على محبوبته أكثر منه، كما يرفض العون الكبير من الجميع في توفير عمل ومنزل للزوجية لهما وفضل العصامية فأصبحت ثقة محبوبته وأهلها غير محدودة فيه حتى أتما الزواج في سن الأربعين، بعكس بقية الشباب الذي يرفع معظمه شعار الجسد أولا.

مبتهجاً جدًا من تحويل شباب الثورة إلى عصاميين، بدلًا من الأقاويل الهدّامة التي أحاطت بهم.

انتهى الأستاذ عزت من الرواية خلال أسبوع إضافي، ولعناءه فيها فكر للحظة أن يصارح جودة ليجعلها باسمه هو بدلا من كريم، لكنه ترجع عن ذلك وتأكد أن الجوائز لا يفوز بها غريب عنهم، ولابد أن يطبع على الكتاب اسم نجل المعلم جودة صاحب الدار وشريكهم، واكتفى بنسبته من الجائزة الكبيرة، يقنع نفسه قدر تهميشه في عمله لسنوات عمره التي لم يحرز فيها أي تقدم، ودون اتخاذ جودة كمظلة يحتمي تحتها لن يكسب مليمًا واحدًا.

لم يتصل به المعلم جودة نهائيًا في الفترة الأخيرة، قلق عزت من فوات فرصة المشاركة في المسابقة وضياع مجهوده هباءً، واعتقد أن باب التقديم للمسابقة قد أغلق منذ بضعة أيام، لكن جودة لا تعيقه عائقة، فأسرع بالاتصال به ليلًا ليخبره بالانتهاء منها، ففوجئ به يقول له بفتور حماس:

- أنا بفكر يا عزت يا اخويا.. إننا نشارك في مسابقة تانية تكون مش كبيرة أوي للدرجة دى.. عشان دي وسعت علينا أوي.. والواد مش هايعرف يكسب فيها ولا مليم

صعق عزت، وطار من مخيلته صندوق الأموال الذي حلم به، وخشى أن يكون سبب التراجع جوهرياً أو قاتلًا، فالمعلم جودة لم يتراجع بسهولة عن قراراته أو ربحه، فخرج عن رشده قائلا:

- أنت بتقول إيه يا معلم.. دا على جثتي.. والله العظيم لو حصل.. ما هحط إيدي في إيدك بعد النهارده.
- الله.. الله..؟ ليه كدا بس يا ابن عمى؟!! مش تعرف إيه السبب الأول؟؟
- هايكون إيه السبب يا معلم؟

- أولا التقديم للمسابقة انتهى من كام يوم.. لكنهم غيروا في قوانينها وخلّوها دولية.. ومدّوها لفترة تانية مخصوص بس عشان عايزين شوية ناس حبايبهم من الجماعة الأدباء اللي اسمهم يساريين ينضموا للمسابقة.. وبيني وبينك الناس دى تقيلة وحاتكسب حاتكسب.. إلا قولي يا عزت يا اخويا يعني إيه يساريين؟

تجاهل سؤاله الأخير وحاول إقناعه للمرة الأخيرة يشتكي له تعبه وكفاحه في إصلاح تفاهات ابنه، وانقطاعه عن عمله وأسرته، لجعل روايته تستحق المنافسة على الجوائز الأولى، وعدم تفريطه في الثقة المتبادلة بينهم لكي لا يقصر رقبته كصاحب دار للطباعة والنشر في الأساس، فلن يكون نتيجة ذلك الخذلان، فأوكله جودة إلى الانتظار ليتفكر قليلا، فبات عزت متمنياً من الله أن يكون قد أثّر بكلامه على قرار جودة، الذي لا يؤثر فيه شيء، وأنهى المكالمة منتظرًا ردّه.

علم عزت سبب عدم قدرة روايته على الفوز، لأن جودة أكد له أثناء المكالمة دون قصد أن ممولية وشركائه يساريون ويريدون فوز أحبائهم من الأدباء اليساريين في المراكز الأولى لمخطط ما لديهم، واتضح له أخيرًا سبب نوعية الكتب والروايات المناهضة للثورة التي كان يراجعها منذ البداية، فأدرك أن روايته لن تفوز بأي حال من الأحوال، فاعتلاه غضب شديد عَلَقَ في مخيلته لم يغمض له جفن طوال الليل، متوعّدا للأموال أن يكسبها من براثن شركاء جودة مهما كانت الشروط، معلنًا الحرب عليهم.

ظل يعيد النظر في روايته مرة أخرى محاولا حذف كل ما يثبت علو شأن الثورة أو رفعة كرامة ثائريها أو حرصهم على بلادهم، وأيضا

عدّل بعض الجمل وأعاد صياغة الحوارات وردود الأفعال الدالة على ذلك بدموعه الغالية التي لم تنقطع على وطنه، لأن دموعه لم تسقط من قبل حتى في وفاة والديه، وتنصل عن فكرة وضع اسمه كمؤلف للرواية أو حتى كمراجع لها متبرءً منها، ليطمس فعلته ضمن هراءات الزمن.

فوجئ في الصباح الباكر بمن يطرق عليه باب شقته بعصبية ليوقظه، بالرغم من أنه ظل ساهرًا ولم ينم إلا أنه فزع هو وزوجته النائمة، واتجه ليفتح الباب، وإذ هو أحد صبيان المعلم جودة، يطالبه بالكشكول الثالث لكريم ليقوم بطباعته، فرح عزت فرحاً شديدا، وأعطاه الأوراق المعدّلة للكشكول وطار خلفه إلى المطبعة.

وجد المعلم جودة واقفًا وسط ماكيناته يستقبله مبتسمًا بصدر رحب، فابتسم له وعانقا بعضهما، فأوضح جودة أنه تحايل على شركائه لمشاركة رواية ابنه وسط فطاحل الأدب العربي بحجة أن تكون له فيما بعد دعما نفسيًا ليس إلا، وأنهم لا يطمحوا في جائزة أبدًا، لأن لجنة التحكيم هم من اقترحوا بتحويلها إلى مسابقة دولية، لإشراك أفراد مؤثرين مقيمين خارج البلاد بالمسابقة.فرضي عزت وشكره على سرعة تداركه وتقديره لتعبه، فبشره جودة فورًا بأنه أوصى أن تكون أول صفحتين في بداية الرواية مقدمة تعريفية بالمراجع والمصحح عزت عوض إرضاءً له ولتعبه، فصعق عزت وصدم صدمة كبيرة لأنه لم يكن يتمنى ذلك بعد تعديله الأخير بالرواية، فبذلك ثبت عنه رسميًا أنه موال لكل ما هو معاد للثورة بل ولمبادئه ككل.

فى صعود وهبوط لدقات قلب عزت يذهب إلى عمله ويعود يوميا لا تكفيه حسرة واحدة على ما فعله، ففور طباعتها سترسل نسخ إلى أعضاء لجنة التحكيم في منازلهم مباشرة، تفتك به تضارب مشاعره

وأفكاره، لا يعلم هل ينتظر موعد النطق بالحكم لتعلن فوزه بنسبته المالية العالية وتصنيفه كيسارى معاد؟ أم يتضرع إلى الله ويتمنى عدم حدوث ذلك ويظل فقيرًا يكتب فيما لا يربح أبدًا في المسابقات؟

شرعت لجنة التحكيم في تقييم جميع الأعمال المقدمة، وحددت موعد إعلان النتائج، وكان بعد شهرين فقط.

عكف المعلم جودة وشركائه على التنسيق لاحتفالية ضخمة في أحد الفنادق الفاخرة، التي سيعلن فيها عن الفائزين وتكريمهم، يصطحب كريم في جميع أعماله وصفقاته، بعدما فشل في محاولة استكمال السنة الدراسية الحالية والتى سيبدأها من العام القادم، رغم تحفيزه له بطرق مختلفة، ولفظه للمدرسين الخصوصيين، نتيجة أنه خالط دائرة كبيرة من الشباب والمعجبين، كرد فعل لشهرته، كما سعت أمه في البحث لابنها عن عروس ملائمة، فهو الأن لديه كتابان مطبوعان ويستعد للثالث، تغمرها السعادة لأنه تعلم من أبيه أصول العمل على حد علمها، معتقدة أن طباعة اسمه على كتابين هو من ثمار حب أبيه له، فجهلها يريح أعصاب زوجها جودة دوماً.

ذهب المعلم جودة وابنه في زيارة فريدة لأصدقائه، في إحدى الجمعيات الثقافية زائعة الانتشار، التابعة لهم، في إحدى المناطق الراقية بالقاهرة، انتظرا قليلا حتى انتهى أصدقاؤه من اجتماع مع مسئول أجنبي.

دخلا إلى غرفة الاجتماع، استقبلوهما مبتهجين، جلسا قبالتهم، فأعربوا عن سعادتهم نتيجة اللقاء المنصرم مع المسئول الأجنبي، الذي وافقت بلاده الأجنبية على دعم نشاطهم الثقافى في مصر بمبالغ طائلة إضافية دعمًا لمساعيهم، سيعلنون على إثرها مسابقة ثقافية أضخم العام

القادم تضم جميع الشباب، وسيوسّعون فيها دائرة الفائزين بمبالغ مالية لتشمل جميع المتسابقين بشرائح متعددة، ولكن بشروط غريبة فرضتها هذه الدولة خارجة عن إرادتهم جميعًا.

حيث يشارك فيها جميع الكتّاب الشباب تحت سن خمسة وثلاثين سنة، وأن تدور جميع أعمالهم الفنية حول أهداف محددة، تفضي إلى غرض محدد في نواياهم يستنبطونه من الشباب المتسابق داخل وطنهم، وهو تحديد مدى طموح أفكار المشارك في تطوير وتحديث بلاده، وما هي أفكاره تلك بالتحديد لذلك، وما مدى رغبته في الحفاظ على أمنها واستقرارها من خلال فنه، وما هي تطلعاته في أسلوب بلده في علاقاتها مع الدول العظمى؟ وما الوسائل التي يراها مناسبة لتحقيق طموحه هذا فنيا أيضًا؟ يحاول الشاب المتسابق أن يفصح عن نواياه الدفينة ويثبت للجميع أنه صاحب أفضل الأفكار والطموح تجاه بلاده بصدق كامل.

وسيتم تحديد مدة المشاركة بعام كامل لدعم المتسابقين على هذه الأسس، وسيقومون بتوفير إقامة مجانية للمتسابقين المميزين في بلاد أوروبا وأمريكا ليتفرغوا لإبداعاتهم، وحتى تاريخ إعلان النتيجة، ثم تقديم وظيفة وإقامة مفتوحة للمتسابقين الأكثر طموحًا لسلامة بلادهم.

فرح المعلم جودة كثيرًا، بعد سماعه لهذه المسابقة الخيالية، يرسم طريقًا ممهدة لابنه كريم إلى العالمية في المستقبل القريب، يحمد الله لسهولة توافر تلك الشروط في ابنه، حتى وإن لم تكن متوافرة فيه، فسوف يقوم بتدريبه وإعداده جيدًا عند أستاذه عزت عوض وغيره من أساتذة اليساريين، تمهيدا للإجابة على هذه الأسئلة السهلة، ليجتاز

شروط هذه المسابقة المميزة الرائعة الخيالية، واثقًا من دعم الأستاذ عزت له كعادته، التفت إلى ابنه الجالس بجواره وقام بالتوضيح له أنه سيصبح عالميًا ضمن ركب التطور، لأنه بالتأكيد لم يفهم بعد ما قد سمعه لتوه.

لم يشبع المعلم جودة من مشاركته اجتماعاتهم واتفاقاتهم المربحة أبدًا، التي تؤول في النهاية إلى ربح ضخم، بالإضافة إلى السفر الدولي لابنه كريم في المستقبل. أراد بعد هذه الفرحة أن يغادرهم ليعد نفسه وابنه كل شيء ليناسب هذه الأخبار الجديدة، ولكن لم ينتهِ الاجتماع بعد، فقد فاجأوه بهدية كبيرة أخرى، قال له أحدهم مبتهجاً:

- ومبروك يا جودة بيه على مقر المطبعة الجديدة.
- مقر جديد؟؟؟ ليا أنا؟؟
- وهاتنقل فيها الأسبوع اللي جاى.. عشان يكون ليك مقر أضخم وأرقى من بير السلم اللي انت فيه ده..
- اللهم صل على النبي.. إيه الهنا اللي أنا فيه ده.. براحة علىّ يا جماعة.
- وهتحط لنا عليه اسمك الجميل كدا.. وبطاقتك الضريبية منورة تحتيه.. وعايزينها قبل ميعاد إعلان نتائج المسابقة دي.. علشان هتكون هي الراعي الرسمي الوحيد للاحتفالات والمسابقات الحالية والقادمة.. إحنا شفنا لك مبنى زجاجي محترم هاتنقل فيه.

تتوالى المفاجآت السعيدة على المعلم جودة، وفرحة كبيرة تغمر وجهه، ودعوات لهم بالتوفيق تباركهم، يحمد الله أن عوّضه شركاء

مربحين غير المسجونين السابقين، يشاركه ابنه فرحته على دوى سعادته، وغادر الاجتماع مع ابنه حاضناً ومحضونًا.

ذهب الأستاذ عزت ليلًا إلى المطبعة، يطمئن على رواية الشاب العصامي التي كتبها كريم، وقد قام بتعديل عنوانها الذي اختاره لها في البداية وهو (**أنا مصرى.. فمن أنت؟**)، إلى عنوان جديد وهو (**هل أنا مصرى؟**).

دخل مخزن المطبعة، لم يجد إلا كميات كبيرة من كتاب مكتوب عليه (**همسات عشق**) وبقايا كتب أخرى، قلق كثيرًا على تأخير طباعة الرواية، أو عدم مشاركتها في المسابقة، اتصل بالمعلم جودة فورًا، فأخبره أنه سيحضر إلى المطبعة خلال ربع ساعة، فانتظره.

حضر المعلم جودة وابنه مبتهجين. وهو في استقبالهما قلقًا، ويسأله:

- إلحق يا معلم.. الرواية لسّه ما انطبعتش..
- ازاي يا عم الكلام ده.. الرواية انطبعت وبكرا الصبح رايح ٦ نسخ للجنة.
- أنا مش شايف ولا نسخة واحدة في المخزن..
- ازاي.. طب تعال معايا..

دخلا إلى المخزن، وإذ يفاجأ بالمعلم جودة يلتقط كتاب من تلك الكميات الضخمة المكتوب عليه، (**همسات عشق**)، ويقول له:

- أهه يا عم عزت.. مافيش غيره في المخزن.. ها اتطمنت؟؟
- مش ده الاسم بتاعه.
- آه ما أنا عارف.. أصل أصدقائى نصحوني أغيره.. وانت عارف إن السوق يحكم.. أومال هايتباع ازاااااى..؟؟؟

وبعدين دا عنوان.. لا راح ولا جه.. وبعدين بص معايا كدا شوف عملت لك إيه..

يفتح المعلم جودة هذا الكتاب على صفحتين متقابلتين في بدايته، حيث نبذة مختصرة عن المراجع عزت عوض تكريماً له، تمعن عزت النظر قليلا، وتدريجيًا انزاح قلقه وتذكر غضبه، فأكمل جودة سعادته بعبارات تهنئة رقيقة كتبت كإهداء له، لم يستطع عزت أن يعترض على ما قد طُبع، ولا على اسم الرواية، فيكفي أنها شاركت بالمسابقة أصلًا.

انصهر الوقت بين يدي المعلم جودة، حيث انتقال المطبعة إلى مقرها الجديد بسرعة البرق، وتدعيمها بمعدات أحدث، والتحضير لاحتفالية المسابقة الكبرى، التي يقترب موعدها بسرعة القطار، حتى وجد نفسه أمام بوابة الفندق الذي يحتضن الاحتفال الذي سيعلن فيه عن نتيجة المسابقة، يستقبل الأصدقاء والضيوف ولجنة التحكيم، والمؤلفين الشباب الذين شاركوا في المسابقة.

كان الأستاذ عزت أول الحاضرين في زي جديد وقد وضعت له زوجته وردة صغيرة على سترته. بتدفق الحضور امتلأت القاعة عن آخرها، بل وتكدست إلى الخارج، فالكل لديه شغف الفوز بجائزة مليونية لم يسبق لها مثيل في مصر، تحفهم كاميرات القنوات الفضائية من جميع الجوانب.

تصدّر جودة بيه منصة الحفل بصفته صاحب دار النشر الراعية الرسمية للمسابقة، وبجوراه إداريين آخرين، يلقون كلمة الافتتاح، حتى حان وقت نداء أسماء الفائزين بالمراكز الثلاثة الأولى، ليتسلموا جوائزهم المالية.

سادت لحظة صمت، تعمّد معدي الحفل إطالتها قليلًا قبل إعلان النتيجة، وفى المقابل صخب القاعة، دقات القلوب على الفور بترقب حثيث أزعجا أعصاب الجميع، فتصاعدت الهمهمات، فأخرسها اسم الفائز الأول، الذي وقع كالصاعقة على أذن عزت:

ـ الفائز الأول.. الصحفى زين التركى، عن رواية (**الهدف الأسمى**).

هاجت القاعة صراخاً وفرحاً من الصحفى تركى الجنسية وتابعيه، وتقدم إلى المنصة ليتسلم الجائزة من جودة بيه الذي ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، مهنئاً مصافحاً الفائز ببلاهة.

حسرة قلبين في جسد واحد أدركا الأستاذ عزت، وجلس مغتمًا متعرقاً، بتنميل أصاب مخه، وغمامة في عينيه، لحزنه سقوط روايته من المركز الأول، وفوز رواية (**الهدف الأسمى**)، تلك التي نقم عليها أثناء قرائته لها، لما أحدثته داخله من هياج طائش، وما سوف تحوله داخل نفوس الشباب والفتيات الضعفاء قارئي هذه الرواية، من السعى لتلبية رغباتهم الدفينة، متسائلًا كيف حدث ذلك؟ فهذه الرواية قد قام المعلم جودة بتمزيقها أمام عينيه، فمتى طبعت ومتى شاركت في المسابقة؟ وكيف سيوقف هذه المهزلة؟ مذهولًا من كيفية فوز رواية تحرض على الفجور ويرفضون روايته التي تدعو إلى العصامية والرفعة لشاب عاطل.

صمت الجميع مرة أخرى لإعلان الفائز الثانى، رفع عزت رأسه المنكسرة، ليسمع:

ـ الفائز الثانى.. مرايف القيحي.. عن رواية.. (**ملاعين**).

ومرايف القيحى فلبينى ويعيش في الفلبين من أصل قطري ويحمل الجنسيتين، قد حضر خصيصًا بمفرده ليتسلم الجائزة.

ـ الفائز الثالث.. كريم جودة.. عن رواية.. (**همسات عشق**).

ضجيج بالفرحة من أصدقاء كريم وجيرانه، وأقاربه ومعجبيه، الذين احتلوا نصف القاعة تقريبًا، كما شاركهم الفرحة كل من هو مصري داخل القاعة، لأنه المصري الخالص الوحيد الذي فاز هذا اليوم، بعد فوز الأوروبي الذي يقيم في الولايات المتحدة بالمركز الأول، والأسيوى الذي ولد وعاش في الخليج بالمركز الثانى.

صعد كريم ببذته الجديدة هادئًا مبتسمًا وقد تعلم طريقة سير وقورة وطريقة مصافحة رقيقة وتسريحة شعر جذابة لتسلّم الجائزة من أبيه، الذي فور أن رآه قفزت الدموع من عينيه فرحًا به، وسط التعريف المختصر له أثناء تسلمه للجوائز، أنه هذا المبدع الصغير المتحد العنيد واسع الموهبة والثقافة رقيق المشاعر والكلمات الذي حول فشله إلى نجاح ولم يستسلم.

لم يحرك ساكناً في جلسته، ولم يسكن متحركاً في صدره الذي توالى في الخفقان، يزيد من حزنه وصمته ويأسه، رغم سماعه بفوز روايته إلا أنه لا يستطيع استدراك أن هذا الإطراء لا يقال له هو، فإحساسه يفتك به بسبب تحول الجائزة عنه، اغرورقت عيناه وشعر برغبة جارفة في أن يصعد إلى المنصة ويفضح كريم ويظهر للجميع كشكوله الأصلي، كظم غيظه وحاول التغاضي عن ذلك وتذكر نسبته في الجائزة التي قلت كثيرًا فلم يفرح أيضًا. يهنئ الجميع كريم على إبداعه، ولم يعنِ به أحد، يتحسر على كل كلمة صاغها معاداة لوطنه من أجله.

«**أي مجهود ضاع بكل بساطة.. وأي مجهود فاز بكل وقاحة..**» قال في نفسه.

انتهت الاحتفالية، وكالعادة تم الإعلان عن المسابقة العالمية الكبرى التالية العام المقبل، والتى سيتم استضافة جميع المتقدمين المنطبق عليهم الشروط، في زيارة مفتوحة إلى البلد الراعية (**أمريكا**)، حتى ينتهوا من كتابة مؤلفاتهم الذين سيشاركون بها في المسابقة، فيما يشبه المعسكر المغلق.

انفضّت القاعة، وهو لم يبرح مكانه، يرمق من بعيد المعلم جودة وزوجته وأصدقائه وابنه يخرجون؛ تغمرهم السعادة واللهاث إلى أرباح المستقبل، حتى غادروا الفندق نهائيًا، تباطأ عزت في الخروج من القاعة وفور أن خرج، قاموا بغلق الأبواب خلفه وأطفؤا الأنوار، جلس طويلًا في ساحة الفندق يلملم أشلاء ضمائره، ثم غادر مترجلًا، نادمًا على تخليه عن مبادئه في سبيل شخص تافه ومسابقة منحطة معادية. لتظل تحفر فعلته في ضميره بئرًا من العذاب يزداد عمقه يومًا بعد يوم أمد الدهر.

اتصلت به زوجته لتطمئن عليه وعلى سبب تأخره، فهي رأت عودة المعلم جودة وابنه وزوجته إلى منزلهم ولم يعد هو بعد، فقال لها:

ـ الحمد لله شروط المسابقة الجديدة هاتخلينى مش مسافر مع كريم غصب عنه وعن أبوه.

لوغاريتم
للنشر و التوزيع
Logarithm
Publishing & Distribution